

اللصوص

تأليف : فريدرش شلر

ترجمة وتقديم : د. عبد الرحمن بدوي

مسلسلة من المسرح العالمي

سلسلة يشرف عليها

أحمد مشاري العدواني

حمد يوسف الرومي
الوكيل المساعد للشئون الفنية

د. طه محمود طه
أستاذ الأدب الإنجليزي الحديث
جامعة الكويت

المراسلات باسم :

الوكيل المساعد للشئون الفنية
وزارة الإعلام
ص.ب ١٩٣

١٤٥



من المسرح العالمي

اللصوص

تأليف : فريدرش شلر

ترجمة : د. عبد الرحمن بدوي

تصدر عن : وزارة الإعلام ، الكويت

مقدمـــة عامـــة

بقلـــم المترجم

فريدرش شلر

فريدرش شلر من انبل الوجوه في الادب العالمي ، وهو وجيته قطبا الادب الالماني • تعاصرا في النصف الثاني من القرن الثـــامن عشر ، واحتلا مركز الصدارة في الادب في العالم كله آنذاك،وانعقدت بينهما أواصر صداقة متينة ، وتعاونا في بعض الانتاج الادبـــي المشترك ، وان اختلف مزاج كليهما : ففي شلر حرارة وحماسة للمثل العليا ، وفي جيته سجو اوليمبي فيه رصانة واحساس عميق بالواقع• وجيته ظفر بالجاه والسلطان في حياته الدنيا ، أما شلر فلم يتمع بواحد منهما وان كان هذا لم يؤثر في مكانته الادبية • وليس من العدل أن نقارن بين انتاج كليهما ، لان جيته عاش ثلاثا وثمانين سنة ، بينما عاجل الموت شلر وهو في السادسة والاربعين •

ولد يوهان كرستوف فريدرش شلر في العاشر (أو الحـــادي عشر) من شهر نوفمبر سنة ١٧٥٩ في قرية مرباخ Marbach فـــي مقاطعة فورتمبرج في وسط جنوبي المانيا ، لوالدين رقيقي الحال • فالوالد كان حلاقا جراحا في الجيش ، اشترك في حرب الوراثة النسوية في جيش دوق فورتمبرج حليف النمسا آنذاك ، فارتحل الى بوهيميا حيث تـــدور المعارك بين فـــريدرش الاكبر ملك بروســيا (١٧١٢ ـ ١٧٨٦) وبين النمسا فيما عرف بحرب السنوات السبع (١٧٥٦ ـ ١٧٦٣) وانتهت بصلح هوبرتسبورج Hubertsburg (في ١٥ فبراير سنة ١٧٦٣) والتي انتصر فيها فريدرش الاكبر انتصارا عظيما جعله يلقب بـ « فريدرش الاكبر » ، وبعد هذا الصلح عاد الاب ، وانخرط في حامية لودفجز بورج Ludwigsburgh أولا ثم كانشتات Cannstadt • وبعد ذلك بعامين ، أي في سنة ١٧٦٥ ، صـــار ضابطا للتجنيد في جموند Gmund باقليم شفابن ، برتبة نقيب ،

وسمح له بالاستقرار مع اسرته في قرية لورش Lorch المجاورة. وهنا في لورش وجد فريدرش ، وهو في السادسة من عمره معلما طيبا في شخص قسيس القرية واسمه موزر Moser الذى علمه وهو في السادسة من عمره مبادىء اللغة اللاتينية ، وفي السنة التالية مبادىء اللغة اليونانية . وظل شلر يكن تقديرا لهذا القسيس ، حتى انه جعل منه وباسمه الفعلي : موزر ـ شخصية القسيس الذكي الورع في مسرحيتنا هذه : « اللصوص » وصور فيه مدافعا حارا عن العقيدة في مواجهة « الكافر » فرانتس مور . وكانت روح شلر ، مثلما كانت روح أخته التي تكبره : كرستوفين ، مليئة بالتقوى ، منفتحين لجمال الطبيعة في اقليم قرية لورش الرائع الجمال . وقد انضم الى الاسرة أخت ثانية في سنة ١٧٦٦ . ثم انتقل الاب والاسرة الى لود فجزبورج وهنا دخل شلر ما يسمى بالمدرسة اللاتينية ، وكانت الدراسة فيها في السنتين الاوليين مقصورة على اللغة اللاتينية . أما اللغة الالمانية فلم تكن تدرس الا في يوم الجمعة ، وفي كتب المتون الدينية ، على طريقة السؤال والجواب (كاتشيزم) أو الكتب الدينية المتزمتة . أما الصف التالى فكان التلميذ يدرس فيه مبادىء اليونانية وقليلا من اللغة العبرية . وتجلى تفوق شلر في نظم الاشعار اللاتينية ، وفي الوعظ باللاتينية .

وكانت الاقامة العادية لدوق فورتمبورج فيمدينة لودفجزبورج. لهذا كانت فيها أماكن الفن والترفيه كثيرة : اوبرا ايطالية ومسرح فرنسي ، وعروض للباليه (الرقص) والرقص على الحبل . فتحمس الفتى شلر لهذه الفنون ، وخصوصا تمثيل الطراجوديات (المآسي) .

وكان اعداده في تلك المدرسة اللاتينية انما هو ليصير قسيسا. والتلميذ يبقى فيها حتى الرابعة عشرة ، بعدها يتقدم لامتحان في اشتوتجرت أمام لجنة من رجال الدين ، فان اجتازه بنجاح حق له بعد ذلك ان يواصل الدراسة اللاهوتية في مدارس ديرانية . وقد أظهر شلر تفوقا عظيما في هذا الامتحان فحصل على تقدير « أ » مزدوج أو « جيد » مزدوج في اللاتينية ، واليونانية والعبرية .

وكان دوق فورتمبرج ، كارل يوجين ، Karl-Eugin قد أمر في سنة ١٧٧٠ بانشاء مدرسة حربية للايتام في بقعة تسمى « الخلوة » بالقرب من اشتوتجرت قصد منها ان تتولى تعليم الايتام ، خصوصا أبناء الجنود القتلى . ثم اهتم بها بعد ذلك حتى جعل منها مدسة لتعليم التلاميذ من اية طبقة كانوا ، خصوصا أبناء الضباط ، وغير اسمها الى « معهد » وفي نهاية سنة ١٧٧٢ رفعها الى مرتبة

« اكاديمية » عسكرية،وسميت باسم « مدرسة كارل » Karlschule ، ونقلها الى مدينة اشتوتجرت فى ثكنة قديمة كانت تقع خلف قصر الدوق وعلى الرغم من انها كانت مدرسة حربية ، فقد تنوعت فيها الدراسات تنوعا كبيرا ، وكان الطلاب يعدون لتولى وظائف مختلفة. لكن لم يكن يدرس فيها اللاهوت . وحرص الدوق على اجتلاب الطلاب المتفوقين فى كل مدارس المقاطعة . ويأمر فى سبيل ذلك بارسال من يختارون أبرز الطلاب . فأخبروه ان من هؤلاء الطلاب كان فريدرش شلر . فبعث الدوق الى أبيه يطلب منه ان يدخل ابنه فى تلك المدرسة وان يتولى الدوق كل نفقات تعليمه . لكن الوالدين ترددا فى قبول هذا العرض السخى المغرى ، لانهما كانا يريدان ان ينخرط فى سلك رجال الدين . فكرر الدوق الطلب ، معززا بوعد بتعيين الابن فى منصب جيد عند تخرجه ، بشرط أن يتعهد الوالدان ـ كتابة ـ بأن يعمل الابن بعد تخرجه فى خدمة قصر دوق فورتمبرج . واخيرا قبل الوالدان بالتعهد المطلوب كتابة ، مما سيوقع شلر بعد ذلك فى حرج بالغ كما سنرى .

ودخل شلر المدرسة فى ١٧ يناير سنة ١٧٧٣ ، وكانت المدرسة لا تزال فى ذلك الوقت فى « الخلوة » بالقرب من اشتوتجرت واختار شلر تخصصا له دراسة القانون ، لكنه استمر مع ذلك فى دراساته اللاتينية واليونانية . ولم يظهر ميلا واضحا الى الرياضيات والجغرافيا بل ولا التاريخ ، مع أنه سيتولى فى مقبل الايام تدريس التاريخ فى جامعة يينا !

وهنا ظهر اهتمامه الشديد بالشعر ، والشعراء الالمان بخاصة وكان آثرهم عنده هو كلوبستوك Klopstock (١٧٢٤ ـ ١٨٠٣) مؤلف ملحمة المسيح ، واعجبه فيه الحماسة وجلال العبارة وفخامة اللفظ .

ولما نقلت المدرسة الى اشتوتجرت فى سنة ١٧٧٥ ، وأنشىء فيها قسم لدراسة الطب ، تحول شلر عن دراسة القانون الى دراسة الطب ، ومع ذلك لم يظهر اهتماما كبيرا بهذه الدراسة ، لانه كان مملوءا بعالمه الشعرى . وفى ذلك الوقت تعرف الى شكسبير من محاضرة لاستاذ الفلسفة أبل Abel قدم فيها نموذجا من مسرحية « عطيل » .

وكان أحد أساتذة المدرسة يشرف على اصدار مجلة أدبية بعنوان « مجلة اشفابن » فنشر فيها شلر باكورة ما نشر من شعر فى سنة ١٧٧٦ ، وكانت قصيدة وصفية غنائية بعنوان « المساء » . وكان جيته قد أصدر مسرحية جيتس فون برلشنجن فى سنة ١٧٧٣ ، ثم رواية

آلام **الفتى فرتر** فى سنة ١٧٧٤ · فقرأهما شلر ، وأراد محاكاتهما : الاولى بمسرحية بعنوان **كوزمو مدتشي** والثانية بعنوان **تلميذ ناساد** وهى قصة انتحار ، تماما مثل رواية **فرتر** · ـ وقد رأى شلر تفاهتهما ، فاحرقهما ·

لكنه فى سنة ١٧٧٧ بدأ فى كتابة مسرحية **اللصوص** التى تقدم ترجمتها فى هذا الكتاب · وقد أوحت اليه بفكرتها أقصوصة كتبها شوبرت Schubert ونشرها فى « مجلة اشفابن » قبل ذلك بعامين ، أعنى فى سنة ١٧٧٥ · وكان شوبرت شاعرا لوذعيا وصحفيا جريئا ، وقد هاجم كارل يوجين ، دوق فورتمبرج ، هجوما لاذعا بأهاج حادة · فعمل الدوق على اقتياده الى مقاطعته ، وسجنه فى قلعة أسبرج Asperg وكان من شأن هذه الفعلة الغادرة أن انجذبت القلوب الكريمة نحو شوبرت · ومن بين هذه القلوب ، قلب الفتى شلر الذى كان آنذاك فى الثانية عشرة من عمره · وكان شوبرت حين نشر أقصوصتة تلك دعا الكتاب والشعراء الى معالجة موضوع أقصوصتة بشرط أن يجعلوا مسرح الاحداث فى المانيا ، لا فى ايطاليا أو أسبانيا · وأقصوصة شوبرت هى رواية عصرية لمثل الولد المتلاف الذى ضربه المسيح فى الانجيل · لكنه لا يجعل البطل يصبح زعيم عصابة لصوص، ولا يعلن الحرب على المجتمع ، كما سيفعل شلر فى مسرحيته ·

لكن شلر لم يواصل العمل فى المسرحية التى بدأها ، وانما انصرف الى دراساته فى الطب ، حتى يستطيع أن يمتهن مهنة يتعيش معها هو وأسرته التى زادت بأخت ثالثة · واجتهد فى الدراسة حتى أراد أن يتخرج قبل الموعد المعتاد · فتقدم برسالة عنوانها : « فلسفة الفسيولوجيا » ، لكن اساتذته رفضوها · فواصل الدراسة ، ثم تقدم برسالتين الاولى بالالمانية عنوانها « الارتباط الوثيق بين طبيعة الانسان الحيوانية وبين طبيعته الفيزيائية » ، والثانية باللاتينية فى « الفارق بين الحميات الالتهابية والحميات العفونية » · وقد طبعت الرسالة الالمانية ، أما الاخرى فلم يسمحوا بطبعها · ودخلت تلك الرسالة الالمانية بين مجموع مؤلفات شلر ابتداء من طبعة سنة ١٨٣٨، وكان شلر أثناء حياته قد استبعدها · ولم يبق عليه بعد ذلك ، كي يتخرج ، الا اجتياز الاختبارات الشفوية وجرى الامتحان بحضور الدوق · واجتاز الامتحان بنجاح · لكن لما كانت هذه الكلية العسكرية

ليست فى مستوى الجامعات ، فانه لم يكن يحـق لهـا أن تمنح لقب : « دكتور » · واستمرت على هذه الحال الى أن رفعها الامبراطور يوسف الثانى ، فى نهاية سنة ١٧٨١ ، الى رتبة مدرسة عالية باسم « مدرسة كارل العليا » ، وبعد ذلك صار من حقها منح لقب « دكتور » ·

وفى ١٥ ديسمبر سنة ١٨٨٠ تخرج طبيبا · وكما وعد الدوق ، عين شلر جراحا ملحقا بفرقة قاذفى القنابل بقيادة الجنرال أوجيه Augé ، ولكن بمرتب ضئيل هو ١٨ فلورين فى الشهر · ومع ذلك كان عمله مملا مرهقا هو : الحضور فى العيادة يوميا ، تطبيب بعض قاذفى القنابل الكبار السن ، تقديم تقرير يومى ساعة الطابور ، الخ · ولم يكن يخفف من رتابة هذه الحياة الا الاجتماع مع الضباط الشبان فى الحامية ، وكانوا فقراء مثله ، يمضون الوقت فى اللعب بالورق ، وبالشراب فى يوم صرف الرواتب ·

وفى تلك الفترة لم يكن شلر على علاقة بأية امرأة ، اللهم الا صاحبة الشـقة التى كان يسكن فى غرفـة منها ، وتدعى لويزه فشر Luisâ Vischer وكانت أرملة نقيب فى الجيش ترك لها عدة أولاد · وقد تولع بها شلر ولما مانجا · وخصها بعدة قصائد تحت عنوان **قصائد الى لـورا** سنة ١٧٨١ · وقـد قالت كارولينا فـون فولتسوجن عن هذه القصـائد : « نحـن نديـن بالقصائد الى لـورا لعلاقات غرامية مع جارة كانت ذكية أكثر منها جميلة · ويبدو أن هذه الاشعار نتاج لتمجيد عاطفة كانت مجهولة حتى ذلك الوقت ، أولى من أن تكون نتاج وجدان حقيقى متقد بحب شخص محدد » · ومن هنـا نرى فيها وجدانا عقليا أكثر منه عاطفة غرامية مشبوبة ·

لكن الانتاج المهم فى هـذه الفترة هو استئنافه كتـابة مسرحية « اللصوص » التى بدأها فى سنة ١٧٧٧ ثم انصرف عنها ·

فاكب عليها حتى أتمها · وأرسل مخطوطتها الى أحد أصدقائه ويدعى بيترسن Petersen طالبا منه أن ينقدها نقدا تاما ، دون أية مجاملة · وكان بيترسن على صلات عديدة مع الناشرين ، لانه كان أمين مكتبة عامة . فطلب منه شلر أن يعثر لمسرحيته على ناشر ، وصرح فى رسالة اليه فى ربيع سنة ١٧٨١ بأنه فى حاجة الى كسب بعـض المال « هذا الرب القوى القدير الذى لا يليق به أن يسكن تحت سقف غرفتى » ـ كما قال · وأغراه شلر قائـلا : « اذا زاد ما أتلقـاه من

الناشر عن خمسين فلورينا ، فكل الزيادة هدية لك » . والى جانب ذلك كان يريد أن يعرف راى الجمهور فى انتاجه الادبى ، بعـــد أن أطراه أصدقاؤه الذين قرأ لهم شلر فصولا منها .

لكن بيترسن أخفــق فى مهمته ، لان الناشرين فزعوا من جـــرأة الآراء والمناظر التي تعرضهـــا المسرحية . فلم يبق أمـــام شلر الا أن يغامر بماله ، فيطبع المسرحية على نفقته الخاصة . وهذا ما فعلـــه ، فطبعها فى مطبعة متسلر Metzler فى اشتوتجرت ، وكان عليه لتسديد نفقات الطبع أن يقترض مائة وخمسين فلورينا . وفى اثناء الطبع أجرى بعض التعديلات على المخطوطة ، وعدل المقدمة ، وخفف من بعض العبارات والمناظر الجسورة وربما تم ذلـــك اما بنـــاء على نصـــائح بعض أصدقائه ، أو با شارة من الرقـــابة . وفى مايو سنة ١٧٨١ تم طبع المسرحية تحت عنوان «اللصوص ، مسرحية» فرنكفورت وليبتسك ، سنة ١٧٨١ » لكن دون ذكر اسم المؤلف . وعلى الغـــلاف عبارة من عبارات بقراط الطبيب هى : « ما لا تشفيه الأدوية ، يشفيه الكى ، وما لا يشفيه الكى ، تشفيه النار » .

لكن المسرحية لم يبع منها فى البداية الا نسخ قليلة جدا . وفى مقابل ذلك أبدى النقاد حماسة شديدة لها . ففى يوليـــو سنة ١٧٨١ ظهرت مقالة فى « جريدة العلماء » التى تصدر فى ارفورت ، يختمها صاحبها بعبارة اشتهرت بعد ذلك يقول فيها : « اذا كان ينبغى علينـــا ان ننتظر شكسبير ألمانيا ، فها هو ذا » وكتب هاوج Haug مدحا جميلا قال فيه : « ها نحن اولاء نشاهد ظهور شاب قد قلب ، منذ الضربة الاولى ، قوافل كاملة من المؤلفين المسرحيين . ماذا ؟ استمع ! ما موضوع هذه المسرحية ؟ يكفينى الآن أن أقـــول ان أفضل العارفين يتنازعون من منهم سينشر ويمثل المسرحية لأول مرة ، بعد أن تكـــون قد عدلت من أجل التمثيل على المسرح ، فهذا لم يكن القصد الأصلى للمؤلف » ــ أعنى أن تمثل على المسرح .

وكان شلر أثناء الطبع قد بعث بالملازم السبع الاولى الى كتبى فى مانهيم يدعى اشفن Schwann ، وكان فى الوقت نفسه رجلا مسموع الكلمة ومستشارا فى الشئون المالية للدوق . فأسرع اشفن بقراءتها للبارون فولجانج فون دالبرج Von Dalberg الذى أسس المسرح القومى فى مانهيم فى سنة ١٧٧٩ وتولى ادارته . وكان دالبرج رجلا ذكيـــا

فهما ، فأدرك في الحال ما في مسرحية شلر من براعة تهييء لها النجاح الشعبي والايرادات الوفيرة • فكتب دالبرج الى شلر يطلب منه تمثيل هذه الدراما ، ويقترح عليه اجراء تعديلات من أجل عرضها على المسرح • فوافق شلر، وعدل في المسرحية فحذف منها ما حذف واضاف ما أضاف ، واجرى التعديلات اللازمة • وفي اكتوبر سنة ١٧٨١ ارسل النسخة الجديدة الى دالبرج • ومن اهم هذه التعديلات ، جعل زمان المسرحية هو نهاية العصر الوسيط ، بعد ان كان هو العصر الحاضر • وطبعت هذه النسخة المعدلة فورا وعرضت للبيع عند الناشر اشفن Schwann بعد التمثيل • وفي نفس الوقت تقريبا ، ظهرت طبعة ثانية للنسخة الاصلية ، مع ذكر اسم المؤلف على غلافها •

ومثلت مسرحية **اللصوص** لاول مرة في ١٣ يناير سنة ١٧٨٢ في مسرح مانهيم القومي ، فلقيت اقبالا منقطع النظير • وحضر شلر من اشتوتجرت ليشاهد التمثيل ، وقد جاء سرا دون الحصول على اذن خوفا من رفض السماح له بالسفر الى مانهيم • وقامت بالتمثيل فرقة ممتازة : فمثلت السيدة توسكاني Toscane دورا أماليا ، وان كانت بالغت في البكاء ، ومثل بك Beck وهو ممل حاذق محنك دور كارل ، وهو بطل الرواية ، ومثل شخصية فرانتس ، الكريهة للجمهور ممثل سيصبح من أعلام التمثيل في المانيا وهو افلند Iffland وكان آنذاك في الثالثة والعشرين من عمره واستمر التمثيل قرابة خمس ساعات • وفاقت حماسة الجمهور كل وصف، خصوصا في الفصل الرابع وعند منظر البرج ، حتى قال أحد المشاهدين . « لقد كان المسرح حينئذ أشبه ما يكون بمستشفى مجانين » •

ومثلت **اللصوص** مرة أخرى في مانهيم في ٢٩ يناير ، ثم ثلاث مرات بعد ذلك خلال عام ١٧٨٢ • وقبل ١٥ ينار سنة ١٧٨٦ مثلت عشر مرات •

وفي ٢٤ مايو سنة ١٧٨٢ كتب شلر الى دالبرج يطلب منه تمثيل المسرحية من جديد • وسافر لحضور التمثيل بصحبة السيدة فون فولتسوجن Wolzogen ولويزة فشر Luisa Vischer وهوفن Hoven ــ وبدون اذن ايضا • لكن مع تفاهم بينه وبين فون راو Von Rau • وكان الدوق غائبا في فيينا • فلما عاد ، علم بما حدث فاستدعى شلر وقال له : « لقد ذهبت الى مانهيم • وأنا أعرف كل

شيء » . وأصدر عقابا له هو منعه من أن يكــون على علاقــات مــع « الخارج » وحكم عليه بالحجز ١٥ يوما .

فلما أطلق سراحه ، فكر في الهرب من فورتمبرج . لكنه قبــل ذلك أراد أن يلتمس عطف الدوق فكتب اليه التماسا في أول سبتمبر سنة ١٧٨٢ ، فكان جواب الدوق تهديده مرة أخرى بالحبس ! لهــذا قرر شلر أنه لا مناص له من الفرار ، وحدد لذلك أوخر سبتمبر ، حيث سيكون الدوق مشغولا باقامة احتفالات ضخمة على شرف الدوق الكبير بولس من روسيا ، وكانت زوجه بنت أخي الدوق .

ودبر شلر الهرب بصحبة صديقه استريشر Streicher ، ونفذا الخطة في العاشرة من مســاء يوم ٢٢ سبتمبر ، فاستقلا عربة تحت اسمين مستعارين . ووصلا الى مانهيم ، ونزلا عند ماير Meyer الذي نصح شلر بالقيام بمحاولة أخيرة مع الدوق ، فكتب شلر التماسا أخيرا بعث به الى الجنرال أوجيــه فأجابه هذا بجــواب فهم منه شــلر التخلص . لهذا عدل شلر نهائيا عن العودة واستقر في خارج مقاطعة فورتمبرج .

وعند هذا الحد نقف في ترجمة حياة شلر ، حتى نستأنفها في مقدمة ترجمتنا لمسرحية **فلهلم تل** .

ـ ٢ ـ

مضمون المسرحية

يقول شلر في الاعلان عن المسرحية الذي وضعه لجمهور المشاهدين ما يلي : « مسرحية **اللصوص** » لوحة تصور نفسا عظيمة ذات مواهب من كل نــوع لكنهــا ضلت وبسبب حماستها غــير المنضبطة وصحبــة شريرة ، أفسدتا قلبه ، واستدرجتاه من رذيلة الى رذيلة ، حتى صار أخيرا على رأس عصابة من القتلة ومشعلي الحرائق ، فكدسوا الفظائع على الفظائع والجرائم على الجرائم ، وسقطوا من هاوية الى هاوية ، وغاصوا في أعماق اليأس . لكنها نفس سامية جليلــة وعظيمة فــي المحنة ، هذبها الشقاء وأعادها الى النبل . هذه النفس سيبكيها المرء في شخصية اللص كارل مور ، وسيكرهها ، سيفزع منها وسيحبها . أما فرانتس مور فهو خبيث منافق دساس ، تنم عن ذلك سماته مهمــا

تقنعت • ــ أما مور الشيخ العجوز ، فهو والد ضعيف الارادة يسهل التأثير عليه ، وهو السبب في فساد ابنيه وشقائهما • ــ أما أماليا فيتجلى فيها آلام الحب الغارق في الاحلام ، وعذاب الوجدان الطاغي» •

وفي مقدمة شلر للمسرحية الاصلية يصف الشخصيات هكذا :

فرانتس : شرير تمكنت منه الرذيلة • انه نموذج الانسان الذي نمى عقله على حساب قلبه ، ونمط المستهتر بالقيم الذي لا يقدس أية قيمة ، لا في هذه الدنيا ، ولا في الاخرة •

كارل : شاب ملتهب الحماسة ، سيطرت عليه عظمة الشر ، وما يتطلبه من قوة ، وما ينطوي عليه من أخطار • وكان مقدرا له أن يكون بروتس ، أو كاتلينا المتآمر الروماني المعروف » وسلسلة من الظروف البائسة جعلت منه كاتلينا ، ولم يصبح بروتس الا في نهاية ضلال فظيع » ــ كما قال شلر •

والمغزى النهائي للمسرحية هو في خاتمتها ، وهو أن الضال سيعود في النهاية الى سبيل القانون الاخلاقي •

ــ ٣ ــ

مجرى الأحداث

أ ــ الفصل الأول

المنظر الاول : يقيم الكونت مكسمليان فون مور في قصره القريب من الطريق العام ، وهو شيخ في الستينات من عمره ، ويقيم معه في القصر بنت أخيه أماليا فون ايدلريش • وله ولدان : أكبرهما وهو كارل يدرس منذ سنوات عديدة في ليبتسك ، لكنه كان منصرفا عن الدراسة غارقا في الشهوات ، وفي الديون ، ومن ثم ترك الدراسة • أما الابن الاخر فرانتس فهو ماكر خبيث ينفس على أخيه الاكبر كارل أن يكون وريث أبيه في اللقب والضياع ، كما جرى النظام الاقطاعي بذلك • لهذا دبر مكيدة لاخيه الاكبر كارل ، ابتغاء أن يفسد ما بينه وبين أبيه • فزور رسالة ادعى أنها وصلت من مراسل الاسرة في ليبتسك مفادها أن كارل يحيا حياة الفساد ، وفي الوقت نفسه حجب رسالة حقيقية وصلت من كارل يلتمس فيها من أبيه أن يصفح عن زلاته •

وصدق الوالد الساذج الاعتقاد أن رسالة المراسل المزعومة صحيحة ، فتأثر من ذلك تأثرا شديدا ، وأذن لابنه فرانتس أن يكتب الى أخيه الاكبر كارل رسالة توبيخ ، دون أن يكون من شأنها أن تدفعــه الــى اليأس · لكن فرانتس انتهزها فرصة ، وكتب باسم أبيه رسالة يلعن فيها كارل لعنة أبوية ·

المنظر الثاني : فلما تلقى كارل رسالة اللعنة من أبيه هذه ، فى الوقت الذى كان فيه عند الحدود السكسونية الفرنكونية يأمل فى وصول رسالة عفو من أبية ، استولى عليه يأس شديد · وتصــور أن هذا الظلم الذى لحق به انما سببه سوء النظام الاجتماعى · وكان من رفاقه فتى شرير يدعى أشبيجلبرج تدفعه الرغبــة فى السيطرة الــى ارتكاب أية جريمة · فدعا كارل الى تأليف عصابة لصوص وقطــــاع طرق ، وحــاول هو أن يرئسها ، لكن رولر واشفارتس واشفيتسر ، الرفاق الآخرين ، اختاروا أن يكون كارل هو رئيس العصابة ·

المنظر الثالث : وكانت أماليــا تحب كارل وتنتظر عودتــه · فانتهز فرانتس مناسبة لعنة أبيه فراح يتودد اليها ليحل محل كارل ، وفى سبيل ذلك لجأ الى أكاذيب تشين كارل فى نظرها · لكنها صمدت، ولم تتأثر ، وقابلت تودده اليها بالازدراء ، وازدادت تعلقا بكارل ·

ب ـ الفصل الثانى

المنظر الاول : هذا المنظر والمنظر الثانىيجريان أيضا فىالقصر، مثل فصول الفصل الاول · ومن هنا جاءت وحدة المكان · وســــنرى القصر ـ توكيدا لهذه الوحدة ـ يظهر فى بداية كل الفصول ·

فى هذا المنظر نشهد فرانتس وهو يناجى نفسه · ان العقبــة القائمة فى سبيل تنفيذ خططه هى أن الاب لا يزال حيا ، ولا يزال رغم هزاله يؤذن بأن العمر سيمتد به · لهذا فكر فرانتس فى التخلص من هذه العقبة ، ورأى أن انجح وسيلة لذلك ، بحيث لا ينكشف أمره ، أن يشيع اليأس فى نفسه فيموت نكــــدا · ويستعين فى سبيل ذلك بشخص يدعى هرمن، وهو ابن زنا لرجلنبيل، وكان ينافس ـ عبثا ـ كارل فى حب أماليا · فأراد فرانتس أن يستغل فيه الغــيرة والحب

الخائب ، ويستعين به فى تحقيق خطته • وهيجه ضد كارل بادعاء أن هذا بسبيل أن يحتفل بزفافه الى أماليا • وجمعت المصلحة بينهما فى التخلص من كارل لتنفيذ الخطة • فاتفقا على يتنكر هرمن ويذهب الى الاب ويخبره بأنه شاهد مصرع ابنه كارل فى معركة براج •

المنظر الثانى : أماليا تسهر على نوم عمها مور ، الذى كـــان يحلم بصوت عال بابنه كارل ، ويعلن فى حلمه عفوه عنه • ولمـــا استيقظ روى لاماليا بعض ذكريات طفولة كارل • ويحس بدنو أجله فيزيده هذا أسفا على غياب ابنه كارل •

وفى هذه اللحظة يعلن الخادم ــ دانيل ــ عن قدوم رجل غريب، هو هرمن ، الذى تنكر فى زى جندى • وأدخل على الشيخ وأخبره انه حضر مصرع ابنه كارل فى معركة بـــراج ، وأنه أودع لديـــه سيفه ، الذى كتب عليه بدمه أنه يعفى أماليا من قسم الاخلاص ويتنازل عنها لفرانتس • وكان لهذا النبأ وقع مختلف : تمرد عند أماليا واحتجاج ، اما الاب فلا تسل عما انتابه لما علم بنبأ مصرع ابنه • وأحس الاب بوطأة ذنبه بلعنة ابنه ، لكن أماليا تحاول تهدئته قائلة أن كارل غفر لابيه • ويتأثر الاب بالتشابه بين حالته وحالة النبى يعقوب ، فيطلب من أماليا أن تقرأ له فى « سفر التكوين » من الكتاب المقدس قصة يوسف •

ويؤدى هذا الحديث بفرانتس الى مناجاة جديدة ، يشعر فيهـــا بأنه صار السيد . ويصيح قائلا : بعيدا عنى قناع الحنان والفضيلة •

المنظر الثالث : نترك القصر لنصبح فى غابـــة بوهيميـــا حيث تجمع أفراد العصابة التى يرئسها كارل • وقد زاد عددهـــم بحيـــل اشبيجلبرج الجهنمية الى استطاع بها اغرام عدد وفير مـــن الاوغـــاد والصعاليك ، بل وغيرهم : وقد جندهم من ألمانيا وايطاليـــا واقليـــم الجريزون فى سويسرة •

ويجعل كارل الهدف مـــن هجماته أن يعاقب المنافقين والمرابين والمستغلين ، وان يستخدم ما يغنمه فى مساعدة المضطهدين والمقهورين قدر الاستطاعة • وهو فى نفس الوقت شديد الاخلاص لعصابته فانه لما قبض على أحد رفاقه وهو رولر ، وحكم عليه بالشنق وتجمع الناس من أنحاء المدينة لمشاهدة اعدامـــه ، لم يـــجد سبيـــلا الى تخليصـــه الا باحراق المدينة كلها ، وتفجير البارود ، مما تسبب عنه تدمير المنازل

واحراق الشيوخ والاطفال والنساء (كلهم أبرياء • وكانت النتيجة قتل ثلاثة وثمانين • ولما تباهى أحد أفراد العصابة ، وهو شوفترله ، بأنه ألقى بطفل فى النار ، ثار ضمير كارل وراح يفكر فى عبث المغامرة التي يقوم بها والحياة التي يحياها هو وعصابته • لكنه لم يكن في وسعه التراجع ، لان جيشا قوامه آلاف الجنود أخذ يحاصر العصابة ويجيء راهب ليتوسط بين العصابة وبين العداله ، فيقترح على افراد العصابة أن يظفروا بالعفو عنهم في مقابل تسليمهم القائد كارل الى العدالة • لكن أفراد العصابة لم يستسلموا لهذا الاغراء وظلوا مخلصين للقائد على الرغم من أن هذا الاخير ترك لهم الخيار حرا فى التضحية به مقابل ان ينالوا حريتهم •

جـ ـ الفصل الثالث

هذا الفصل أقصر الفصول ، ويمثل ابطاء في سير الاحداث • فالشخصيات فيه ليسوا مسوقين بحمى الفعل • ويبدأ المنظر الاول بأماليا وهى تغنى فى الحديقة بمصاحبة العود وهى تبكى على حبيبها القتيل • ثم يدخل فرانتس فيحاول معها التودد مرة أخرى ، لكن فى غير طائل ، ويهددها ـ الآن وقد صار هو السيد الامر المطاع فى القصر والضيعة ـ بالويل والثبور ، وفضحها بين الفلاحات الشريفات • فترده أماليا بحزم ، وتطرده • ويهددها فى النهاية بايداعها فى دير ، فتروق لها الفكرة وترى فيها الحل لمشكلتها •

وهنا يدخل هرمن على أماليا فيكشف لها السر الرهيب وهو ان كارل حى ، وان الاب مور هو الاخر حى ، فتظل أماليا متحجرة من هذا النبأ الخطير •

المنظر الثاني : وينقلنا الى شواطىء الدانوب حيث عسكرت عصابة كارل على رابية تحت ظل الاشجار • واذا بنا أمام مشهد حزين شعرى فيه يكشف كارل لرفاقه عن جمال الطبيعة فى هذا المكان • ثم ينتقل من ذلك الى تأملات فى ضعف المشروعات الانسانية• ويعود بالذاكرة الى طفولته حيث كان لا يستطيع النوم اذا ما نسى من قبل أن يؤدى الصلاة • وبهذا يكشف عن جوهره النقى الاصيل ، على الرغم من تلطخه الآن بكل الرذائل والذنوب • ويؤذن هذا المشهد بنوع من التوبة التى راحت تفعل فعلها فى نفس هذا الولد الضال •

وهذا المشهد من أجمل المشاهد في مسرحيات شلر كلها • وكان شلر شديد التعلق به والاعتزاز •

لكن هذا المشهد الغنائي الفاتن يقطعه وصول شخص جديد في المسرحية ، هو كوزنسكي ، الفتى اليافع الذى يريد الانضمام الى العصابة مذ سمعه من مغامرات قائدها كارل • فيخضعه هذا الامتحان دقيق يكشف فيه عن شجاعة وصبر وجد • لكن أشد ما أغرى كارل فيه هو أنه هو الاخر ضحية الاوضاع الاجتماعية وظلم المجتمع • ذلك ان أحد أصحاب السلطان والطغيان انتزع منه حبيبته ، ومن العجب انها هى الاخرى تدعى أماليا• وهكذا ينخرط الفتى كوزنسكى فى سلك العصابة •

د ـ الفصل الرابع

فى الفصل الاول نشاهد كوزنسكى بصحبة كارل امام قصر آل مور • ويبدأ كارل بمناجاة طويلة يحيى فيها كل عناصر المشاهد التى يراها ، بعد أن هجرها منذ عدة أعوام ويناجى أحداث طفولته الجميلة، ويمجدها بنبرة عالية وردية • وها هو ذا بدافع هذا الحنين الى وطنه الاول يود ان يشاهد أماليا وأباه • فيتقدم الى القصر متنكرا فى هيئة كونت أجنبى باسم كونت فون براند •

أما فى المنظر الثانى فهو الوحيد الذى يكاد يلتقى فيه الاخوان كارل وفرانتس • فنحن نشاهد أولا كارل ، أو بالاحرى : كونت براند ـ وهو يتحادث مع أماليا فى رواق القصر • وأماليا لا تفطن لهوية كارل ، وكارل بدوره يحاول ان يصرفها عن كل ما عسى ان يوعز اليها بهويته • وتتجول معه فى الرواق لمشاهدة اللوحات التى فيها صور أبيه ، وصورته هو • لكنها حين تصل الى صورة كارل تمضى مسرعة وتقتاد ضيفها الى الحديقة ، ثم تهرب وهى تبكى • وهذه البادرة استنتج منها كارل ان أماليا لا تزال وفية لحبه • لكنه ما يلبث ان يشعر بالندم ووخز الضمير بوصفه مسئولا عن موت أبيه • لهذا يترك المكان ، ليحل محله أخوه فرانتس الذى يبدأ فى مناجاة (مونولوج) طويل يكشف فيه عن مخاوفه ، وبحسه الاجرامى المرهف، يحيك الشك فى صدره حول هوية هذا الكونت الاجنبى ، ويحدس أنه لابد ان يكون أخاه كارل • لهذا يفكر فى التخلص منه • وفى سبيل ذلك يريد ان يستعين بأداة ، كعادته دائما ، وهذه الاداة هى الخادم

المخلص الامين المعجوز : دانيل • فيناديه ويطلب منه احضار كأس من الخمر • لكنه يشك فلربما كان في الخمر سم • فيستجوب الخادم المسكين بفظاظة ويتهمه بأنه يتآمر هو والكونت الاجنبي ضده • هنالك يروي دانيل ما شاهده حين كان الكونت الاجنبي يشاهد اللوحات ، اذ ادرك أنه حين وقف أمام صورة الوالد سور تأثر تأثرا ظاهرا • فأستنتج فرانتس من هذا ان هذا الكونت لا بد ان يكون هو أخاه كارل • ويأمر دانيل بدس السم في عشاء الكونت• لكن دانيل الرجل الامين الطيب القلب يتضرع اليه مستشهدا بشيخوخته وخدماته الطويلة في القصر ليعفيه فرانتس من ارتكاب هذه الجريمة القظيعة ، وبالترهيب والترغيب ينتزع من دانيل وعدا بتنفيذ هذه الخطة • ويخرج دانيل •

ويبقى فرانتس وحده فيسترسل في النجوى ويكشف عن تصوره للحياة والقتل : ان الحياة ـ في رأيه ـ هي مجرد صدفة ، اذ يأتي الموجود الى العالم نتيجة تسلسل مجموعة من الصدف التي لا مدخل فيها للارادة الانسانية فان كان ميلاد انسان هو مجرد صدفه ، فما قيمة الموت الذي ليس شيئا آخر غير « سلب الميلاد » • فليست أخوة كارل اذن ، و «سفرة سعيدة ، ياسيدي الاخ ! » •

وفي المنظر الثالث نجد كارل في محادثة الخادم دانيل• ان المهمة التي كلفه بها فرانتس قد أزالت الغشاوة عن عينيه ، ففطن الى أن الكونت الاجنبي فون براند ما هو الا كارل نفسه الذي طالما هدهده في طفولته • ويتأكد من حدسه بندبة جرح في يده بقيت في يد الطفل لما ان جرح نفسه بسكين • فيضطر كارل الى الاعتراف بهويته • هنالك يبين له دانيل اخلاص أماليا ، وسفالة أخيه فرانتس وما قام به من أخاديع خدع بها أباه ليشوه ذكره عنده • هنا عرف كارل أن اللعنة الابوية لم تنزل عليه • لقد صار لصا قاطع طريق دون أي سبب حقيقي ، وانما بحيلة كاذبة من أخيه الخبيث السافل فرانتس •

لكن كارل خشي ان يضطر الى قتل أخيه انتقاما لابيه ، لهذا آثر ترك القصر وأمر كوزنسكي بسرج الخيول للرحيل • لكنه يغير رأيه فجأة ويؤثر التريث من أجل أن يرى أماليا •

وفي المنظر الرابع نجد أماليا وحدها وهي توبخ نفسها لانها بدأت تحب الكونت فون براند • ثم يفاجئها الكونت فون براند • وهي على هذه الحال ، فتدعو ذكرى حبيبها المقتول كارل ليحميها من هذا الكونت الاجنبي • وتنظر في صورة كارل المعلقة ، فينتهز فون براند (= كارل الحقيقي) الفرصة لتعذيبها بالاسئلة الى تضطر

أماليا في جوابهاعنها الى الافصاح عن حبها لكارل الغائب • ويرد عليها بأنه هو الآخر يحب فتاة تدعى أماليا ، فتصبح : « كم أحسد أمالياك ! » لكنه يقول أنه غير جدير بحبها لانه قاتل • فترد أماليا بأن حبيبها هي رجل مستقيم طاهر • وهنا تغنى أماليا بمصاحبة العود بداية نشيد « وداع هكتور واند روماك » الذى سبق لها أن غنته في الفصل الثاني • ويجاوبها الكونت فيغني هو الاخر ، ثم يهرب •

وفي المنظر الخامس نجد عصابة اللصوص في غابة آل سور ، حول برج متهدم . وهم يتغنون بأغنية يعبرون فيها عن ازدراتهم للمشنقة • ومع ذلك فالقلق يسرى في المعسكر ، لان القائد قد تأخر طويلا • ويحاول اشبيجلبرج ، رجل المطامع ، ان ينتهز فرصة غياب القائد ليحل محله • لكن اشفيتسر وهو من اخلص المخلصين للقائد ، يعاجله بطعنة سكين تقضى عليه في الحال •

وفي هذه اللحظة يأتى كارل مصحوبا بكوزنسكى • فيوبخ اشفيتسر على فعلته هذه، على الرغم من سفالة اشبيجلبر ، ويدعو ذلك كارل الى تأملات حزينة : « الاوراق تسقط من الاشجار ، وها هو ذا خريفي قد وافي ! » •

ويبث العود شجونه وهمومه ، ويعبر عن تأملاته في الحياة وفي الموت قائلا ان الموت سهل ، ويكفى المرء ان يضغط على زناد مسدس ليموت • لكن ألا توجد حياة اخرى ؟ كل شيء غامض تماما • لكن كبرياء كارل تأبى عليه ان ينتحر ، اذ يشعر بأنه قادر على الاحتمال والصبر على المكاره •

وعند بداية الظلام يقترب هرمن من البرج ويقرع • فيجيبه من البرج صوت ، ويجرى حوار بين هرمن الذى أتى ببعض الطعام وبين شخص مسجون في البرج لا نراه ، لكننا نسمع صوته الضعيف البائس •

وهذا الحوار يحمل كارل على التدخل • لقد أدرك أن هنا في البرج شخصا بائسا في حاجة الى معونة ، فشاءت له شهامته في غوث الملهوفين ان يتولى انقاذه • فيقتحم حديد البرج، ويجد نفسه بحضرة شيخ عجوز متهدم • فيسأله عن حاله فيروى له مأساته ، قائلا انه قبل ان يمضى في هذا البرج أشهرا ثلاثة ، عذبه أبنه فرانتس •وقد بدأ عذابه يوم ان علم ، وهو مريض ، أن ابنه سقط في ساحة القتال ، ابنه البار الذى كان قد لعنه وطرده • فلما علم بالنبأ انهارت قواه ، واغمى عليه ، حتى ظنوا انه مات ، لكنه افاق من اغمائه وهو في النعش ، فقرع غطاء النعش • فهرع فرانتس وفتح

النعش ، فهدده فرانتس ، واغلق النعش من جديد · ثم أتى بالشيخ سرا الى البرج ، الذى كـان سيموت فيه جوعا منذ زمن طويل لـولا ان خادمه كان يأتى اليه بالطعام ·

وكان كارل قد تعرف أباه منذ البداية ، فعزم على الانتقـام له · فطلب من رفاقه ان يعينوه على هذه المهمة النبيلة التى ستكفر عن خطاياهم · ووكل هذه المهمة الى اشفيتسر الذى سبق له ان انقذ حياة قائده ابان احدى المعارك · وكانت مهمة اشفيتسر هى أن يأتى بفرانتس حيا ·

وفى المنظر الرابع نجد كارل على اتصال بوطنه الاول · لكن هذا الاتصال يكشف ان من المستحيـل على اللص قاطع الطـريق ان يندمج من جديد فى اسرته ووطنه ومجتمعه · وفرانتس هو الاخـر أحس بدنو الكارثة ، وان مصيره وشيك ·

٨ ـ الفصل الخامس

فى المنظر الاول منه نشاهد دانيل الخادم العجوز المخلص يودع بيتا خدمه باخلاص وحماسه دهرا طويلا · وحيـن يتهيـأ للخروج ، يظهر فرانتس فى مباذله ، وقد مسه الخبل وصار شـارد اللب ، لكن جنونه الظاهرى لا يزال واعيا يحدثه ان الموت يقترب · وفى مشهـد مؤثر شكسبيرى الطابع نراه يطلب النجدة من خدمه واتباعه ، ويكلف دانيل باحضار القسيس ، ويصارع نوبات الحمى ، مما يذكر بمكبث بعد جريمته ، أو الملك لير فى هذيانه · ويروى لدانيل رؤيـا رأى فيها نفسه فى يوم الحساب مدانا منسلا ·

ويأتى القسيس موزر ـ واسمه هو نفس اسم القسيس الـذى قام بتعليم شلر اللاتينية واليونانية فى طفولته ـ ويجرى حوار عقلى ممتاز بين فرانتس الملحد العقلى المشبع بروح نزعة التنوير ، وبيـن القسيس موزر اللاهوتى الورع الواثق من عقيدته وايمانه · وهـذا الحوار قطعة فذة من الديالكتيك المشبع بنزعـة التنوير العقليـة · ففرانتس يبرهن على أن النفس تفنى بفناء البـدن ، لان أقـل أذى يصيب جزءا من البدن يصيب النفس أيضا ، ان النفس كالبدن خاضعة لما يخضع له البدن من علل وآفات وفناء فى آخر الامر · ويجيبه موزر متحديا اياه ان يستمر على هذا التجديف فى لحظة الموت ، وهو زعيم ان فرانتس سينهار أمام هذا النهاية الرهيبة للانسان ·

ولا يكاد القسيس يخرج حتى يأتى خـادم فيخبر فرانتس بأن أماليا قد هربت ، وان الكونت الاجنبى قد اختفى فجأة ، ويتلوه دانيل

فيخبره ان فرقة من الفرسان الهائجين تنزل من المنحدر وهم يصيحون الي القتل ، الي القتل ٠ فيمتليء فرانتس رعبا وينادى كل رجاله ، ويأمر بالصلاة من اجله ٠ ويستولي عليه الفزع من الموت ٠ وقبل ان يستطيع ان يفكر ، كان القصر قد حوصر ، ثم اقتحم ٠ فما كان من فرانتس الا أن خنق نفسه بحبل قبعته ٠ ولما دخل اشفيتسر الى غرفته وجده قد مات ٠ ولما كان قد تعهد لكارل بأن يأتي بفرانتس حيـا ، فقد أحس بأنه لم يبر بقسمه ، فقتل نفسه بطلقة من المسدس ٠

وفي المنظر الثاني نشاهد كارل مع ابيه الذى يعـالج سكرات الموت ، ومع العصابة ، في الغابة ٠ ويتحدث الاب عن مسامحته لفرانتس، لكن كارل يصر علي الانتقام ٠ ولا يزال الاب لا يعرف كارل ، فيروى حكاية اللعنة التي انتزعها منه ابنه فرانتس ليصبها علي كارل ٠ ويتأثر كارل من رواية الاب تأثرا بالغا ، ويمد اليه يده ، فيبدى الاب اسفه علي ان هذه اليد ليست يد ابنه كارل ، وييأس علي أنه سيموت بيـن ذراعي رجل أجنبي ، بينما ابنه البكر قـد مات بسبب غلطة منـه ، وهنا يقول كارل لوالده ان ابنه قضى الي الابد ٠ وما دام ان انقـذ الشيخ مور ، فليطلب منه ، دون ان يكشف عن هويته ، ان يباركه ٠ فيباركه مور الشيخ ، ويشيد بجمال التفاهم بين الاخوة ويرجو لـه تحصيل السعادة : ويقبل الشيخ محرره قائلا : « تصور أن هذه قبلة من أبيك ، وسأتصور أنا أنني انما قبلت ابنى » ٠

وهنـا يجيء بعض اللصوص الذين يعلنـون لكـارل انتحـار اشفيتسر ، ويخبرونه أن فرانتس وجد ميتا في القصر حين اقتحموه ٠ ويعتقد كارل برهة أنه بريء من قتل أخيه ،اذ هو الذى انتحر بنفسه٠

وهنا يأتي لصوص آخرون ومعهم أماليا أسيرة ٠ وكان عمهـا مور لا يزال حيا ، فيعرفها ٠ لكن كارل لم يستطيع تحمل منظر حبيبته أماليا ، ولا يرى نفسه جديرا بلقائها بسبب حياته الاجراميـة ويجن جنونه ، فيستنجد باللصوص ، ويأمرهم بقتل أماليا ، وقتل أبيه ايضا، صائحا : « فليتداع العالم بأسره » ٠ انه لا يمكن ان يعود ، وهومجمل بالجرائم ، الي الاندماج في اسرته ووطنه ٠ ويصـرخ : « موتي يـا أماليا ، ومت يا أيها الوالد ! ان الذين حـرروك لصوص ، وكارلك هو قائدهم !» وامام هذا الكشف المذهل يلفظ الشيخ مور نفسه الاخير وتتجمد أماليا دهشة ورعبا ٠

ثم تصفح عنه ، وتعانقه ٠ لكن لا يدوم هذا السلام طويلا ، فها هم رفاقه ساهرون علي بره بقسمه الذى أقسمه ، أعني ان يبقى معهم أبدا وراحوا يسخرون من ضعفه أمام هذه الفتاة ، بل هـددوه

تهديدا جديا • ألم يضحوا مرارا من أجـله ؟ ان عليه اذن ان يضحي من أجلهم •

فقرر البقاء معهم والتخلي عن أماليا • فما كـان منهـا الا أن طالبتهم بأن يقتلوها ، للتخلص من هذه المحنـة • ورفض كـارل فى البداية ، لكنه ما لبث ان استسلم وقتلهـا ، حتى لا يـرى اللصوص يقتلوها • فاذا كان قد ظهر للمرة الاخيرة قاتلا ، فان ذلك كـان فى انقاذها من التدنيس • وفي هذا الفعل عظمة وسخاء في موقف كلـه جنون وهذيان •

لكن هذا الفعل نفسه هز كل كيان كارل : فدفعه الى التخلى عن قيادة العصابة ، وعرف ضلاله في كل ما قام به من أفعال ضد المجتمع وضد القانون ، وكان عليه اذن أن يدفع الكفارة عن هذه الجرائـم الرهيبة التى ارتكبها ــ فأسلم نفسه للعدالة •

وذلك هو المغزى الاعمق للمسرحية : حيثما يحاول المرء ان يصلح المجتمع بتدمير المجتمع ، وان يصحح القانون بانتهاك القانون •



اللصوص

تأليف : فريدرش شلر

ترجمة وتقديم : د. عبد الرحمن بدوى

FRIEDRICH SCHILLER

Die Räuber

EIN SCHAUSPIEL

MIT EINEM NACHWORT

PHILIPP RECLAM JUN. STUTTGART

شخصيات المسرحية

مكسمليان ،كونت مور، الامير الحاكم Maximilian, Graf von Moor

كارل	Karl	ولـداه
فرانتس	Franz	

اماليا فون ايدلريش Amalia von Edelreich

اشبيجلبرج	Spiegelberg	ماجنون ، وبعد ذلك قطاع طرق
اشفيتسر	Schweizer	
جريم	Grimm	
راتسمن	Ratzmann	
شوفترله	Schofterle	
رولـر	Roller	
كوزنسكى	Kosinsky	
اشفارتس	Schwarz	

هرمن Hermann نجل لرجل شريف

دانيل Daniel خادم فى بيت كونت مور

القسيس موزر Moser

راهب

عصابة من قطاع الطرق

أشخاص ثانويون

تجرى الاحداث فى المانيا

وتستمر حوالى عامين

الفصل الأول

المنظر الاول

في أقلـيم فرنكونيـا

قاعـة في قصر آل مـور Moor

فرانتس — مـور ، الوالد العجـوز

فرانتس : لكن هل أنت صحيح ، يا أبي ؟ يبدو عليك الشحوب .

مـور : صحيح تمـاما ، يا بني . ماذا عليك أن تقوله لي ؟

فرانتس : لقد وصل البريد — خطاب من مراسلنا في ليبتسك .

مـور : (بتلهف) أخبار عن ابني كارل ؟

فرانتس : هم ! هم ! الامر هكذا . لكنني أخشى . . لست أدرى . . هل اخبرك . . بسبب صحتك ! هل أنت في تمـام العافية حقا يا أبي ؟

مـور : أنا كالسمك في المـاء ! هل كتب بشأن ابني ؟ من أين يجيئك هذا القلق ؟ لقد ألقيت هذا السؤال مرتين .

فرانتس : ان كنت مريضا ، أو كان لديك أى استشعار انتصير كذلك ، فدعني سأخبرك بالامر في لحظة اكثر مناسبة . (بصوت خفيض) : هذا الخبر لا يليق ببدن هش .

مـور : يا الهي ! يا الهي ! أى نبـأ سأسمع ؟

فرانتس : دعني أولا اصرف وجهي جانبا كي أذرف دمعة شفقة

على أخي الفاسد . من واجبي ان التزم الصمت أبدا ، لانه ابنك . وعليّ أن أغطي على عاره بستار ، لانه أخي . لكن واجبي الاول ، واجبي المحزن هو أن أطيع أمرك . فاغفر لي اذن .

مـــور : أي كارل ! أي كارل ! لو كنت تدرى كم سلوكك يعذب قلبي ، قلب الوالد ؟ وكيف ان نبـأ طيبا واحدا منك من شأنه ان يطيل في حياتي عشر سنوات ، ويجعل مني شـابا ، لكن كل خبر أتلقاه يخطو بي ، مـع الاسف ، خطوة اخرى نحو القبر .

فرانتس : ان كان الامر هكذا ، اى والدى الشيخ ، فوداعا . اننا منذ اليوم ننتزع شعورنا من الالم ونحن نتأمل نعشك .

مـــور : ابق ! لم تبق الا خطوة قصيرة ، قصيرة جدا — ولتكن مشيئة الله ! (يجلس) ان خطايا آبائه ستعاقب حتى الجيل الثالث والرابع . دعـه يمض حتى النهاية !

فرانتس : (يسحب الخطاب من جيبه) أنت تعرف مراسـلنا انظر ! أراهن بأنامل يدى اليمنى من أجل ان أقول : انه كذابٌ ، كذابٌ ، أشِرٌ مسموم . استرد نَفَسك ! واصفح عني . اذا لم أرغب في أن أدعك تقـرأ الخطاب بنفسك .

مـــور : كل شيء ، كل شيء ، معك يا بني لا أحتاج الى عكاز .

فرانتس : (يقرأ) « ليبتسك ، في أول مايو — لولا أنني ملزم بوعد لا يجوز انتهاكه ، وهو ألا أخفي عنك شيئا ،

حتى أقل شيء ، لما كان لقلمي البريء ، أيها الصديق العزيز جدا ، ان يقوم هكذا بتعذيبك ، ان في وسعي ان أحكم ، بناء على مائة خطاب منك ، الى أي درجة هذه الالوان من الاخبار تمزق نياط قلبك بوصفك أخا شقيقا . ويبدو لي أني أراك — بسبب ذلك الرجل الخسيس الكريه (مور الاب يغطي وجهه)— انظر ، يا أبي ، اني لا أقرأ لك الا أخف ما فيه — اقول : اني أراك ، بسبب هذا الرجل الكريه ، تذرف سيلا من الدموع . وا أسفاه ! هذه الدموع انهمرت ، وتدفقت على خدىّ المشققين ! ويبدو لي أني أرى أباك العجوز الوقور شاحبا كالموت .) يا يسوع ، يا مريم ! هذا الشحوب قد علاك قبل ان تعرف أقلّ شيء .

مور : استمر ، استمر !

فرانتس : « يبدو لي أني أراه شاحبا كالموت ، قد استولى عليه الدوار ، وهو جالس على كرسيه ، يلعن اليوم الذى فيه دعاه لسان غير طلق أبا للمرة الاولى . انهم لم يشاءوا ان يكشفوا لي عن كل شيء ، ومن القليل الذى أعرفه لن تعلم الا جزءا قليلا . يلوح أن أخاك قد ملأ الآن كأس العار حتى الحافة ، وانا ، على الاقلّ ، لا أعرف شيئا يمكن ان يتجاوز ما بلغه اليوم ، اللهم الا ان كانت عبقريته تفوق في هذا عبقريتي . بالامس ، عند منتصف الليل ، اتخذ قرارا ضخما ، بعد ان استدان اربعين الف دوقة Dukaten — وهو مبلغ

جميل لمصروف جيبه ، يا أبي – وبعد ان أغتصب ابنة صاحب مصرف غني ها هنا ، وجرح خطيبها جــرحا مميتا في مبارزة وهو شاب نبيل – اقول انه اتخذ قرارا ، هو وسبعة من رفاقه الذين جرهم معه في حياته الفاسقة ، قرارا بالافلات من سلطان العدالة عن طريق الهرب . » أبي ، بحق الله ! أبي بمــاذا تشعر ؟

مــور : هذا يكفي . توقف يا بني .

فرانتس : اني أهون عليك . « وقد بعثوا في طلبه ، والذين أهانهم يصيحون مطالبين بالقصاص منه ، وأعلن عن مكافأة لمن يمسك برأســه ، واسم آل مور » – كلا ان شفتي المسكينتين لا ترضيان ان تجلبا الموت الى ابي ! (يمزق الخطاب) لا تصدق هذا ، يا أبي ، لا تصدق منه مقطعا واحدا !

مــور : (وهو يذرف دموعا مرة) اسمي ! شرف اسمي !

فرانتس : (وقد ارتمى على رقبته) كارل ! أيها الوغد ! أيهــا الوغد المثلث الوغادة ! ألم أتكهن بهذا . حين كنت أراه وهو لا يزال في ميعة الصبا ، يعدو وراء البنات ، ويتشاجر مع الاوغاد والصعاليك في السهول والجبال ؛ وحين كان يتحاشى حتى رؤية الكنيسة كما يتحاشى المجرم السجن . وحين كان يلقي بالقطع النقــدية الصغيرة التي كان ينتزعها منك غصبا . يلقي بهــا في قبعة أول شحاذ يقابله ، بينما كنا نحن ، في البيت ، نعمل على تهذيب نفوسنا بالصلوات التقية وقــراءة المواعظ المقدسة ؟ ألم أتكهن بذلك . حين كنت أراه

يفضل قــراءة مغامرات يوليوس قيصر ، والاسكندر الاكبر ، او غيرهما من الكفار المغمورين ، أولى من ان يقــرأ قصة توبة « طوبيا » (١) لقد تنبأت بهــذا مائة مرة ، لان محبتي له التزمت دائما حدود واجبات البنوة ، نعم تنبأت بأن هذا الولد سيلقى بنــا في هاوية الشقاء والعار . أواه ! لمــاذا ينبغي ان يحمل اسم مور ، وان يخفق قلبي خفقانا شــديدا وحارا من أجــله ! تلك محبة غير تقية لا أملك القضاء عليها ، ولكنها ستتهمني يوما أمام محكمة الله !

مــور : ايه يا آمالي ! يا أحلامي الذهبية !

فرانتس : أعلم هذا جيدا . وهذا ما قلته الآن . ان الــروح المشتعلة في هذا الفتى والتي تجعله — كما قلت دائمــا — حساسا لكل مغريات العظمة والجمال ، وتلك الصراحة التي تقــرأ في عينيه : وهما مرآة نفســه ، وتلك الشجاعة الرجولية التي تدفعه الى الصعود الى قمــة السنديانات العتيقة ، وتســوقه وراء الخنادق والحواجز والسيول ، وتلك الكبرياء الصبيانية ، وذلك العنــاد الذى لا يقهر ، وكل تلك الفضائل الجميلة البراقة التي وجدت جرثومتها في هذا الولد المحبوب ، كل هذا كان ينبغي ان يجعل منه ذات يوم الصديق الصدوق ، والمواطن الممتاز ، وبطلا ، ورجلا عظيما . فانظــر الآن يا أبي ! ان روحه المشتعلة قد نمت ، واتسعت ، وحملت ثمــارا رائعة . انظر الى هذه الصراحة وقــد استحالت — على نحو جميل — الى وقاحة ، وانظر الى

هذه الرقــة التي تهدل بحنان أمام ذوات الدل والغنج ، كم هي حساسة لمفاتن مثيــلات فرون (٢) Phryne انظر الى هذه العبقرية المشتعلة كيف احرقت كل زيت مصباحها في ست سنوات صغيرة ، الى حد أنها تهلك في بدن حي ، والناس يأتون بوقاحة قائلين : انه الحب هو الذى فعل هذا ! آه ! انظر اذن الى هــذا الرجل الجسور المغامر ، والى الخطط التي يصممها وينفذهــا ، والتي تختفــي أمامهــا مغامــرات كــرتوش Cartouche وهوارد Howard وحينما تبلــغ هــذه البــذور تمــام نضجها فأى كمال يمكن ان يتوقع من مثل هذا الشباب ؟ فلربما ، ياأبي يتاح لك ، قبل ان تموت ، ان تراه ــ على رأس جيش يتولى ، في قلب ســلام الغابات المقدس ، التخفيف عن المسافر المتعب بســلبه نصف حمله ــ وربما تستطيع ايضاً ، قبل ان تحشر في القبر ، ان تحج الى نصب سيقام بين السماء والارض ــ ربما ، يا أبي . أبي ، أبي . تبحث عن اسم آخــر ، والا أشار اليك البقالون وصــبية الشوارع بأصابعهم ، لانهم سيكونون قــد شاهدوا صورة السيد ابنك معلقة على ميدان السوق في ليبتسا ،

مــور : وانت ايضا ، يا حبيبي فرانتس ، انت ايضا ! ايــه يا أبنائي ! كم تصوبون السهام الى قلبي !

فرانتس : ها أنت ذا ترى اني استطيع ايضا ان أكون بارع المزاح ــ لكن مزاحي يلدغ كالعقرب . ثم ان الرجل البسيط المعتاد في كل يوم ، فرانتس البارد المتصلب كالخشب ــ

لقبني بما شئت من أسماء — والذى استطاع ان يوحي اليك بالتباين بينه وبيني حين كان يجلس على ركبتيك أو كان يقرص خديك — فرانتس هذا سيموت ذات يوم داخل حدود هذه الضيعة ، وسيتعفن فيها ،وينسى بينما مجـــد كارل ، وهو عقل كلى ، سيطير من قطب الى قطب آخر — ان فرانتس البـــارد هـــذا ، المتصلب كالخشب ، يشكر لك ، أيتها السماء ، ويداه مضمومتان ، انه ليس مثل ذاك الآخـــر !

مـــور : اصفح عني يا بني ، ولا تغضب على والد يجـــد نفسه مخيب الآمال كلها . ان الله الذى يسمح لكارل باهراق الدموع من مآقي ، سيعهد اليك بمسحها عن عيوني .

فرانتس : نعم يا أبي ان عليه ان يمسح عن عينيك الدموع . وابنك فرانتس سيمضي عمره في اطالة عمرك . وحياتك ستكون الوحي الذى سأستشيره قبل اى شيء آخـــر في كل مشروعاتي ، وستكون المرآة التي سأتأمل فيها كل شيء . ولن يكون هناك واجب مقدس لن أكون مستعدا لانتهاكه ان تعلق الامر بحياتك الغالية . هـــل تصدقني في ذلك ؟

مـــور : انه لا تزال أمامك واجبات عظيمة عليك ان تؤديها ، يا بني . بارك الله فيك بسبب ما كنته لي وبسبب كل ما ستكونه .

فرانتس : والآن ، قل لي . اذا لم تكن ملزما بالاعتراف بأنه ابنك أفما كنت ستكون رجلا سعيدا ؟

مـــور : اسكت ! اسكت ! حين جاءت به إليّ الدايةُ ، رفعتهُ الى السماء وانا اصيح : « ألست رجلا سعيدا ؟ » .

فرانتس : هذا ما قلته . لكن هل استشعرته ؟ انك تحسد اســوأ فلاحيك على انه ليس أباه . ستكون حزينا طالمــا كان لك هذا الابن . وهذا الحزن سيتزايد دائما مع كارل . هذا الحزن سيقضي على حياتك .

مـــور : اوه ! لقد صيرني شبيها بعجوز في الثمانين من عمره .

فرانتس : اذن لو استطعت التخلص من هذا الابن ؟

مـــور : (منتفضا) فرانتس ! فرانتس ! ماذا تقول ؟

فرانتس : أليس حبك له هو الذى يسبب لك كل هذه المتاعب ؟ بدون هذا الحب ، لن يوجد في نظرك . بدون هــذا الحب الآثم ، هذا الحب اللعين ، سيكون عندك في عداد الموتى ، لن يكون قد ولد أبدا . ما باللحم والدم. بل بالقلب ، نكون آباء وابناء . لو كففت عن حبــه ، فان هذا المنحل لن يكون بعد ابنك . حتى لو كان لحما من لحمك . حتى الآن كنت تحبه كما لو كان انسان عينيك ، أما الآن ، فكما يقول الكتاب المقدس ، فان العين اذا اوقعتك في الخطيئة فاقتلعها . الافضل للمرء ان يصعد الى السماء بعين واحدة من ان ينزل الى الجحيم بعينين اثنتين . من الافضل ان يصعد المـــرء الى السماء انســـانا بلا أبنــاء ، من أن ينزل الى الجحيم هو وابنه . ذلك حكم الله .

مـــور : أنت تريد مني أن ألعن ابني ؟

فرانتس : كلا ! كلا ! ليس ابنك هو الذى ينبغي لعنه . من ذا الذى تدعوه ابنـا لك ؟ هل هو من أعطيته الحياة ، حتى لو سعى بكل جهده أن يختصر عمرك ؟

مـور : نعم ، هذا صحيح تماما . هذا حُكْمٌ عليَّ . ان الرب هو الذى قضى به .

فرانتس : انظر بأى حنان بنوى يتصرف معك ابنك المجبوب . انه بعطفك الابوى يخنقك . وبحبك اياه يغتالك ، وقد أفسـد عليك قلبك الابوى ، ويريد ان يضربك الضربة القاضية . وحين تفارق الحياة ، فانه هو الذى سيصبح سيدا على أملاكك ، وسلطانا على غرائزه . السـد سيقتلع ، وسيل شهواته سيستطيع حينئذ ان ينطلق حرا . ضع نفسك مكانه . ولا بد انه تمنى مرارا ان يرقد أبوه تحت الثرى ، وكذلك أخوه ، فهما العقبة التي تعترض بشـدة سبيل شهواته فهل هذه هي مبادلة الحب بالحب ؟ والشفقة الابوية بالاحسان بالوالدين ؟ وحين يضحي بعشر سنوات من عمرك في سبيل اهتيـاج شهواني لا يستغرق أطول من لحظة ؟ ومن أجل دقيقة من اللذة . يخاطر بمجد آبائه الذى ظل نقيـا طـوال سبعة قرون ؟ أهذا هو من تدعوه ابنك ؟ أجب ، هل هذا هو من تدعوه ابنك ؟

مـور : ولد بغير حنان ، وا أسفاه ! لكنه ولدى ، ولدى مع ذلك .

فرانتس : ولد غال جدا ، وعزيز جدا ، كُلُّ همه ألا يكون له بَعْدُ والدٌ ! أوه ! ليتك تبدأ فتفهم ! ليت الغشاوة

تسقط عن عينيك ! لكن تسامحك لا يزيده الا فسوقا ، وكأن معونتك تهبه مسحة من الشرعية . لا شك انك ستصرف اللعنة عن رأســه ، لكن على رأسك أنت ، يا أبي ، ستسقط اللعنة الابدية .

مـــور : سيكون هذا عدلا ، عدلا جدا ! اني أنا السبب في كل شيء !

فرانتس : كم من آلاف انتشوا بكأس الشهوة فكانت عقوبتهم الآلام ! والألم الجسماني الذى يصحب كل افراط : أليس علامة على المشيئة الالهية ؟ وهل على الانسان ان يصرف هذه العلامة بقسوة حنانه ؟ وهل ينبغي للوالد ان يسوق الى الهلاك الابدى الوديعة التي استودعها ؟ فكر في هذا ، يا ابتاه ، ان تركته زمانا لبلائه ، أما ينبغي عليه أن يتوب ويصلح من أمر نفســه ؟ أو ، ان بقي وغدا في مدرسة الشقاء الكبرى ، اذن فويل للأب الذى يكون بضعفه قد دمــر أوامر الحكمة العليـــا ! ماذا ، يا أبتـــاه ؟

مـــور : سأكتب اليه أني أصرف يدى عنه .

فرانتس : سيكون هذا من العدل والحكمة .

مـــور : والا يظهر أمام عيني .

فرانتس : سيكون لهذا أثر ناجـــح .

مـــور : (بحنان) الى ان يغير ســـلوكه .

فرانتس : هذا حسن ، هذا حسن . لكن اذا جاءك وعلى وجهـــه قناع النفاق ليستدر بالدموع عطفك ، وينال بالتملق

مغفرتك ، وغدا يمضي هازئا بضعفك بين أحضان خليلاته ؟ كلا ، يا أبي ! سيعود من نفســه حين يبرئه ضميره .

مــور : هذا ما سأكتبه اليه فورا .

فرانتس : توقف . كلمة أخرى . يا أبي اني اخشى ان يدفعك الغضب الى ان يندس تحت قلمك الكثير من القســوة التي من شأنها ان تمزق قلبه ، ثم ألا تعتقد انه سـيظن انه غفــر له ما دمت ترى انه جدير بأن يتلقى كلمة من يدك ؟ لهذا أرى من الافضل ان تكلفني أنا بالكتابة اليــه .

مــور : اكتب اليه ، يا ولدي ، واحسرتاه ! هذا كان كافيــا لتحطيم قلبي . اكتب اليه .

فرانتس : (بسرعة) موافق على هذا اذن ؟

مــور : اكتب اليه آلاف الدموع التي تقطر دما ، وآلاف الليالي من السهاد التي قضيتها . لكن لا تلق بابني في اليأس .

فرانتس : ألا تريد ان ترقد في الفراش ، يا أبي ؟ ان هذا كلــه قــد هزك هــزا عنيفا .

مــور : اكتب اليه ان قلب ابيه — واقول لك : لا تلق بابني في اليــأس .

(يخرج حزينــا)

فرانتس : (ينظر اليه ضاحكاً) امسح وجهك بالسلوى ، أيهــا الشيخ العجوز ، فانك لن تضمه الى صدرك بعد الآن ،

لقد سُدّ الطريق دونه ، وصار بينه وبينك بُعْدٌ ما بين الجحيم والفردوس . لقد انتزع من أحضانك من قبل ، حتى لم تعرف بعد هل ستستطيع ان تشتاقه . لقد تصورت أني سأكون عاجزا بائسا ، اذا لم أكن قادرا على ان أفصل ولدا عن قلب أبيه ، حتى لو كان مربوطا به بحلقات من حديد . لقد رسمت حولك دائرة سحرية من اللعنات لن يخترقها أبدا . حظا سعيدا . فرانتس ! لقد رحل ، الولد المفضل . والغابة صارت أوضح للنظر . وعليّ ان أجمع كل هذه الاوراق ، فلربما تعرف أحدٌ خطي بسهولة ؟ (يجمع القطع الممزقة من الخطابات) وسرعان ما يودى الخوف بالشيخ العجوز — وعليّ ايضا ان انتزع من قلبها هي الاخرى حب كارل ، حتى لو كان في ذلك ضياع نصف حياتها .

ان لي الحق الكبير في أن أغضب على الطبيعة ، وبشرفي أمارس هذا الحق . لماذا لم أكن أنا أول من يخرج من بطن أمي ؟ لماذا لم أكن ابنا وحيدا ؟ لماذا كان عليّ ان احمل عبء الحياة ؟ ولماذا أنا بالذات؟ كما لو كانت حياتي نفسها نوعا من الافلاس ؟ لماذا كان لي أنف كأنف اللابوني ، ووجه زنجي ، وعيون هوتنتوتي ؟ صحيح أنا أعتقد ان الطبيعة قد صنعت مزيجا من كل ما هو كريه في كل الانواع البشرية وصنعتني من هذه العجينة . القتل فالموت ! من ذا الذى أعطاها مطلق السلطان في أن تهب الآخر كل

شيء ، وان تحرمني من كل شيء ؟ هل تكون تأثرت بمديح الواحد ، وباهانة الآخر ، قبل ان يولدا ؟ لمـــاذا هذا التحيز في عملها ؟

كلا . كلا ! اني ظالم لها . لقد زودتنا بملكـــة الاختراع ، لمـــا أن ألقت بنا ، عارين بائسين ، على حافة هذا المحيط العظيم الذى هو العالم . وليسبح من يستطيع ، أما المفرط الثقل فليغرق ! أما أنا فانهـــا لم تهبني شيئا ، فاذا أردت أن أصنع من نفسي شيئا ، فهذا شأني وحدى . ان لكل انسان نفس الحق في أعلى الامور وادناها ، والادعاءات والغرائز والقوى يُدمّر بعضها بعضا حين تتصادم . والحق هو ميدان الغازى ، والقوانين ليست الا الحدود التي تحـــد قوانا .

صحيح أن ثم مواثيق عقدت بالاشتراك ، من أجل تحريك دائرة العالم . يا له من اسم رائع ! في الحقيقة هذه نقود وفيرة يمكن التعامل بها ، اذا عرف المـــرء كيف يصرفها جيدا . الضمير — أوه ، صحيح . هذا النُّطّار (٣) البـــارع لطرد العصافير عن أشجار الكرز او حوالة حسنة الكتابة يمكن المفلس بواسطتها ان يتخلص من الورطة عند الحاجة .

في الواقع ، هذه نظم خليقة بكل اطراء تقوم بردع الحمقى ، والدوس على العامة ، لقاء اعطاء كل تسهيل للماهرين . ولا أتردد في أن اصرح بأن هذه النظم مهزلة رائعة . انها تذكرني بالسياجات التي بها يحيط فلاحونا حقولهم بدهاء ، حتى لا يدخلها أى أرنب ،

وخصوصا أرنب واحد . لكن السيد يطلق العنان لفرسه ويمر راكضا بهدوء على ما كان هو المحصول الأرنب المسكين ! انه مع ذلك دور يثير الشفقة دور الأرنب في هذا العالم . لكن السيد في حاجة الى أرانب .

اذن هيا بنا ! ان من لا يخشى شيئا ليس أقل قوة ممن يخشاه الجميع . صارت « الموضة » الآن ان يكون في السراويل أبازين يمكن المرء ان يشدها كما يشاء . فلنفصل لانفسنا ضميرا بحسب البدع الجديد ، يكون (ابزيمه قابلا للمط حين نسمن) . ماذا نستطيع ان نفعل في هذا ؟ توجه الى الخياط . سمعت حكايات عديدة تدور حول صوت مزعوم للدم ، قادر على تسخين رأس المواطن الشريف . انه أخوك ! ولنترجم هذا : لقد خرج من نفس التنور الذى خرجت منه أنت . لاحظ مرة أخرى هذه التسلسلات المعقدة . هذه الطريقة الهزلية للاستنتاج من قرابة الابدان انسجام الارواح . ومن الوطن المشترك الشعور المشترك . ومن الغذاء المشترك المثل المشترك . لكن لنواصل الكلام — انه أبوك : انه أعطاك الحياة ، وانت لحمه ، ودمه . فلا بد ان يكون مقدسا عندك اذن . تلك برهنة حافلة بالمكر . ومع ذلك سأتساءل : لماذا صنعني ؟ ومع ذلك ليس حبا فيّ ، أنا الذى دعيت فقط الى الوجود ؟ هل عرفني قبل ان يصنعني ؟ هل فكر فيّ وهو يصنعني ؟ هل تمنى أن أكون . وهو

يصنعني ؟ هل عرف ماذا سأكون ؟ اني لا أنصحه بهذا ، والا لكان عليّ أن أعاقبه على كونه قد صنعني بالرغم من ذلك . هل أستطيع ان اشكر له هذا الصنيع ، اذا كنت قد صرت رجلا ؟ كلا . كما أني لا استطيع ان أتهمه لو كان قد صنع مني امرأة . أفي وسعي أن أمسر بحب غير مؤسس على الاقرار بذاتي أنا ؟ وهل يمكن هذا الاقرار ان يوجد ، بينما ما كان لهذه الذات ان تبرز للوجود الا بواسطة ذلك الحب الذى هو شرط سابق له ؟ أين ما هو مقدس في هذا ؟ ربما في الفعل الذى أوجدني في الحياة ؟ كما لو كان هذا الفعل شيئا آخر غير عملية بهيمية من أجل اشباع شهوة بهيمية ؟ أو ربما في ثمرة هذا الفعل ، التي ما هي الا ضرورة لا مفر منها ، يود المرء لو تخلص منها ، لو لم يكن ذلك على حساب لحمه ودمه . ربما ينبغي ان تقال له كلمات جميلة لانه يحبني ؟ ان ذلك غرور من جانبه ، تلك الخطيئة المألوفة عند كل الضالين الذين يدللون أعمالهم . مهما تكن قبيحة . انظروا اذن ، هذا هو كل السحر الذى تغشونه بضباب مقدس ، من أجل اساءة استعمال خوفنا . هل يجب علي أن أسلم قيادى ، كطفل صغير ؟

هيا اذن ! الى العمل بشجاعة ! سأقتلع كل ما يحد مني حوالي ويعيقني عن أن أكون سيدا . لا بد لي أن أكون سيدا . كيما استطيع ان أحصل ، بالقوة ، على ما لا يستطيع التلطف — الذى يعوزني — ان يعطيني أياه .

(يخـرج)

المنظر الثانى

حانة على حدود اقليم سكسونيا

كارل فون مور : مستغرقا في كتاب

اشبيجلبرج : جالسا الى مائدة يشرب

كــارل : (وهو يضع كأسه) : أشعر باشمئزاز من هـــذا العصر ، عصر النباشين بالحبر (٤) حـين اقرأ في بلوتارك عن حياة العظماء .

اشبيجلبرج : (يقدم اليه كأسا ويشرب) ينبغى عليك ان تقرأ المؤرخ يوسفوس (٥)

كــارل : ان شعلة نار برومثيوس (٦) انطفأت ، واستبدلت بها اليوم شعلة من الكبريت . نار مسرح لا تستطيـع اشعال غليون من التبغ . انهم يعجون الان كالفئران على عصا هرقل ، ويدرسون نخاع جمجمتهويتساءلون ماذا كان في خصيتيه . واحد القسس الفرنسيين يزعم لنا ان الاسكندر كان دجاجة مبتلة ، واحد الاساتذة المسلولين يضع قارورة ملح تحت أنفه عند كل كلمة ، ويلقى محاضرة عن القوة . والأشداء الذين يتهادون من الضعف بعد ان ينجبوا ولدا يسمحون لانفسهم بنقد بائس لخطط هنيبعل الحربية . وصبية خلف آذانهم ليس جافا يسددون سهاما عظيمة ضد معركة كنـا Canna ، وانتصارات سيبيو Scipio يجعلهم يذرفون الدموع لانهم مكلفون بحكايتهـا .

اشبيجلبرج : تلك دموع جديرة بالاسـكندر .

كـــارل : يالها من مكافأة جميلة على عرقك في ساحة القتال : ان تبقى في ذاكرة تلاميذ المدارس ، وان ترى هؤلاء التلاميذ يجرجرون بجهد خلودك في السيور التى تشد كتبهم ! ثمن غال لدمك المهدور : تلك الورقة التى يلف بها البقال في نورنبرج كعكة الشيلم . — او اذا كنت حسن الحظ : مسرحية مأساوية لمؤلف فرنسى يرفعك فيها على حوامل وأنت مزنوق ويجعلك تمشى مثل العرائس . هـــا ! هـــا ! هـــا !

اشبيجلبرج : (وهو يشرب) اقرأ يوسفوس ، أرجوك .

كـــارل : تبا لعصر الخصيان ، هذا العصر الرخو ، الذى لايصلح الا لاجترار مغامرات الازمنة الماضية ، وسلخ أبطال العصر القـــديم بواسط الشروح وذبحها بواســـطة التراجيديات . لقد صار منقوف البدن منهوك القوى ، وخميرة الجعة هي التى عليها الآن ان تساعد الانسانية على الاستمرار في البقـــاء .

اشبيجلبرج : شايا ، يا أخ ، شـــايا .

كـــارل : انهم يحبسون الطبيعة السليمة بين حواجز الاعـــراف التافهة ، وليست لديهم الشجاعة ليشربوا كأسا على صحتها — انهم يلعقون أحذية ماسح الاحذية من أجل ان يتكلم لصالحهم مع صاحب الجلالة ، ويضطهدون الفقير البائس الذى لا يخشون منه شيئا . ويعبدون من يدعوهم الى العشاء ، ويسمون بعضهم بعضا من أجل خشب سرير يفلت منهم في مزاد . ويدينون الصدوقي الذى لا يتردد على الكنيسة مرارا ، وامام المذبـــــح

يحسبون فوائدهم الربوية كاليهود ، ويركعون كيما يستطيعوا بسط ذيولهم ، ولا تفارق عيونهم القسس كيما يشاهدوا هل شعره المستعار حسن . ويغشى عليهم حين يرون الاوزة يسيل منها الدم ، ويصفقون حين يترك منافسهم البورصة بعد افلاسه . وبقدر حرارة مصافحتي اياهم وأنا أفكر : هذا هو اليوم الاخير – كان صنيعي عبثا ! الى الثقب ، أيها الكلب ! هكذا قالوا . دعوات ، أقسام ، دموع ! (وهو يضرب الارض بقلميه) الجحيم والشيطان !

اشبيجلبرج : ومن أجل بضعة آلاف من الدوقات البائسة .

كارل : كلا ، لا أريد ان أفكر في هذا . يريدون ارغامي على ضغط بدني في قماط ، وارادتي في قوانين . لقد أفسد القانون كل شيء بأن فرض خطوة الحلزون على من كان يستطيع ان يطير كالنسر . ان القانون لم يكوّن بعدُ رجلا عظيما ، بينما الحرية تكوّن عمالقة وكائنات خارقة للعادة . والناس يتحصنون خلف كَرِش طاغية ، ويبتهجون لنزوات معديه ، وينزوون أمام الارياح التي يحدثها . آه ! لو استطاعت نفس ارمنيوس ان تشتعل بعد تحت الرماد ! ليضعوني على رأس جيش من الاشداء مثلي ، وسنجعل من ألمانيا جمهورية بجانبها لن تكون روما واسبرطة الا أديرة راهبات .

(يضع سيفه على المنصة وينهض)

شبيجلبرج : (يقفز من السرور) مرحى ! مرحى جدا ! لقد

اقتدتنى تماما الى موضوعى . أريد ان أهمس فيأذنك
بشيء ، ياموور ، بفكرة تلاحقنى منذ وقت طويل ،
وانت الرجل الكفء لهذا ـ اشرب ، يا أخ ، اشرب !
ما رأيك في أن نصبح يهودا ، ونعيد مملكة اسرائيل
على البساط ؟

كارل : (يضحك ملء شدقيه) آه ! الآن ، أرى جيدا انك
تريد ان تجعل العلقة أمرا غير عصرى ، لان الحلاق
قطع علقتك .

اشبيجلبرج : يا بطال ! نعم أنا مختون ختانا رائعا . لكن قل لى :
أليست هذه خطة بارعة شجاعة ؟ نبعث بياناً الى أقاصى
العالم الاربعة ، وندعو الى فلسطين كل من لا يأكل
لحم الخنزير . وهنالك اثبت بالوثائق القاطعة اني من
سلالة هيرودس المربع الامارة Vierfurst —
وهكذا . وسيكون هذا انتصارا ـ يافتى ، حين يكونون
على الارض الراسخة ، ويستطيعون اعادة بناءأورشليم !
أسرع ! ولنطرق الحديد وهو ساخن ، ولنطرد الاتراك
من آسيا ، ولنقطع أرز لبنان ، ولنبن سفنا — وليبع
كل شعبنا أشرطته العتيقة وتزييناته Schuallen
وفي تلك الاثناء —

مور : (يمسك بيده ضاحكا) يارفيقى ، ان زمان الجنونيات
ولّى .

اشبيجلبرج : (مدهوشا) دعك ! لا أظنك ستلعب دور الولد
المتلاف ! فتى شديد الأسر مثلك ، نبش بسيفه على
وجوه الاخرين اكثر مما نبش ثلاثة كتاب في سجل

المراسيم طوال سنة كبيسة ! هل ينبغى عليّ انأذكرك بحكاية جنازة كلبك ؟آه ! يكفيني ان استدعـــــى أمامك صورتك كيما أبث النار في شرايينك ، اذا لم يستطع شيء آخر أن يلهمك . أتذكر حين قطع سادة المجلس قدم كلبك ، فانتقمت منهم بأن أعلنت الصوم على كل المدينة ؟ لقد سخروا من مرسومك هـــذا . . واذا بلك تسرع فتشترى كل اللحم الموجود في مدينة ليبتسك ، حتّى لم تبق عظمة لتعرف في كل النواحى المجاورة ، وبدا سعر السمك في الارتفاع . ففكـــر المجلس البلدى واهل المدينة في الانتقام . واذا بنا نحن الطلاب نخرج بسرعة في جمع من ألف وسبعمائة ، وأنت على رأسهم ، والقصابون والخياطون والبقالون في المؤخرة ، واصحاب الفنادق ، والحلاقون وكل النقابات يقسمون على أنهم سيهاجمون المدينة اذا مست شعرة واحدة من شعر أى طالب . وانتهى الامر مثل التصويب في هورنبرج Hornberg وكان عليهـــم ان ينسحبوا وانوفهم طويلة . واستدعيت جمعية من الاطباء وعرضت ثلاث دوقات لمن يكتب تذكـــرة طبية لكلبك . وكنا نخشى أن يكون لدى هؤلاءالسادة من الشجاعة ما يجعلهم يجيبون بالايجاب ، واتفقنـــا على أن نرغمهم على ذلك بالقوة . لكن هذا لم يكـــن ضروريا ، فان هؤلاء السادة تشاجروا من أجـــــل الدوقيات الثلاث وعرضوا أن يقوموا بذلك بسعـــر أقل ، نزل حتّى ثلاثة دراهم Batzen ،وفي ساعة

واحدة ، حررت اثنتا عشرة تذكرة طبية الى حد أن هذه الدابة فطست بعد قليل .

كــارل : أوغاد ســفلة !

اشبيجلبرج : وكانت الجنازة فخمة ، وانشدت جملة أناشــيد للكلب ، كان الوقت ليلا . وكان عددنا نحو الالف ، حاملين المصباح في يد ، والسيف باليد الاخرى ، — وعلى هذا النحو اخترقنا كل المدينة ، رافعين ضجــة عالية بالنواقيس والشخاشيخ ، الى أن دفن الكلب . ثم اقيمت مأدبة حافلة استمرت حتى الصباح ، فقدمت لهؤلاء السادة شكرك على تعازيهم الصادقة . ثم بعت اللحم بنصف السعر . — قسما بحياتي ! لقد كنــا نحترمك احترام حامية في حصن تم الاستيلاء عليه —

كــارل : ألا تخجل من التفاخر بهذا ؟ أليس لديك من الحيــاء ما يكفي كي تخجل من أعمال كهذه ؟

اشبيجلبرج : اذهب ، اذهب ، لم تَعُدْ بَعْدُ مور . ألا تتذكــر كيف انك الف مرة والقارورة في يدك كنت تسخر من البخيل العجوز ، قائلا انه ليس عليه الا أن يحك نقوده ، بينما أنت ستسكر حتى الثمالة ؟ أتتذكــر هذا ؟ أتتذكر هذا ؟ آه ! أيها الفشار البائس الــذى لا علاج له ! كانت تلك آنذاك كلمات تتسم بالرجولة والسخاء ، لكن —

كــارل : الويل لى ! ان تذكرت هذا ! الويل لى ، لانى قلته ! لكن ذلك كان بين أبخرة الخُمار ، ولم يسمع قلــبي تبجحات لساني .

اشبيجلبرج : (يهز رأسه) كلا ! كلا ! كلا ! مستحيل ، مستحيل
يا أخ ، ان تقول هذا وانت جاد ، قل لى ، يا أخى ،
أليست الحاجة هى التى تدعوك الى ان تتكلم هكذا !
تعال ، لاحكى لك بعض ألاعيبى ! كان بالقرب من
المنزل خندق ذو سعة غير عادية ، ثماني أقدام ، كنا
نتبارى نحن الغلمان أينا يستطيع القفز عليه . لكن عبثا ،
كنت تنبطح على الارض وكانت تنطلق الهمهمات
والضحكات عليك ، وكانوا يغطونك بكرات الثلج .
والى جانب المنزل ، كان كلب صياد مربوطا
بسلسلة ، وهو كلب شرير كان ينقض ، كالبرق ،
على الفتيات ويمسك بزاوية تنوراتهن ، اذا اقتربن منه
كثيرا ، دون ان يتنبهن . وكانت مسرتي في معاكسة
هذا الكلب كلما استطعت الى ذلك سبيلا ، وكنت
أكاد أفطس من الضحك حين كانت هذه الجيفة
(الكلب) تتطلع فيّ بنظرة مسمومة ، وهى على بتات
ان تنقض عليّ ، لو استطاعت ذلك . ماذا جرى ؟
في أخرى بدأت فألقيت عليه حجرا أصابه اصابة
شديدة في أضلاعه ، حتى انه من شدة الغضب قطع
السلسلة المربوط بها وانقض عليّ ، لكنى أفلت منه
كالرعد وهربت . ويا ويلتاه ها هو ذا الخندق اللعين
في طريقى . فماذا أفعل ؟ ها هو ذا الكلب غاضبا
مقعيا على قدميه . فقررت على الفور أن اقفز .
وقفزت . وبفضل هذه القفزة انقذت حياتي ،
والا لكانت هذه الدابة المفترسة (الكلب) قد مزقتنى .

كارل : لكن ، مادخل هذه الحكاية في موضوعنا ؟

اشبيجلبرج : كي ترى أن القوة تزداد ابان الضرورة.ولهذا فأني لا أخاف من شيء ، حتى لو بلغ الامرأقصى مداه. ان الشجاعة تزداد مع الخطر،والقوة تتصاعد تحت ضغط الظروف .ولا بد أن لدى القدر النية في أن يجعل مني رجلا عظيما ، لان الكثير من الاشياء تعترض سبيلي .

كـــارل : (ساخطا) لا أعرف شيئا يتطلب منا بعد شجاعــة ، ولا أرى أين خذلتنا الشجاعة .

اشبيجلبرج : هكذا ! أتريد اذن ان تترك كل مواهبك تضيع ؟ وان تدفن قرائحك ؟ أتظن ان قذارات ليبتسك هي حدود العقل الانساني ؟ لندخل أولا في العالم الكبير — باريس أو لندن — حيث يتلقى المرء الصفعات اذا حيا أحــدا ونعته بانه انسان شريف . والمرء فيهما يمتلىء قلبــــه بالسرور ، لانه يمارس المهنة على مستوى كبـــير . ستفغر فاك دهشة ، وستتسع عيناك استغرابا . انتظـــر قليلا : تُقَلد توقيعا ، تَغُشّ في النرد ، تكســــر الاقفال ، تفرغ احشاء الخزائن ، كل هذا ستتعلمه من اشبيجلبرج . فلتعلق على أعواد المشانق الدهمـــاء التي تريد الاستمرار في المــوت من الجوع خشية أن تلوى أصابعهـــا (٧) .

كـــارل : (وهو ساهم) كيف ؟ لابد أنك دفعت بالامـــر الى مدى أبعـــد ؟

اشبيجلبرج : أعتقد حقا أنك لاتثق بي . انتظر ، دعني أســـخن ، وسترى عجبا . ان مخك الصغير سيتلوى فيجمجمتك، حينما تلد نفسي الحبلى . (ينهض واقفا ويقول بحدة) كم يتجلى النور في ذهني ! أفكار عظيمة تتكون في

نفسي ! خطط عملاقة تختمر في جمجمتي المبدعة . (يضرب جبينه) لُعِنْتَ أيها الخمول الذى قيدت قواى حتى الان ، وعقت نظراتي ! هأنذا أستيقظ أنا أحس من أنا ، ومن سأصير .

كـارل : أنت مجنون . انها الخمر هى التى تنبثق من دماغك .

اشبيجلبرج : (بمزيد من الاحتداد) سيقال : يا اشبيجلبرج هـل أنت ساحر ؟ وسيقول الملك : وا أسفاه على أنـك لم تصبح قائدا حربيا يا اشبيجلبرج ، اذن لكنت قـد جعلت النمساويين يمرون من ثقب فـأر ! نعم ! اني لاسمع تحسرات الاطباء : ان هذا الرجل لا يغتفر له أنه لم يصبح طبيبا ، اذن لكان قد اخترع دواء جديدا لعلاج تضخم الغدة الدرقية . واحسرتاه ! لـماذا لم يختر السياسة تخصصا له . هكذا سيزفر أمثال سولى(٨) Sully في مكاتبهم ، اذن لكان قـد سحر الاحجـار واستخرج منها جنيهات ذهبية . وفي الشرق كما في المغرب سيهتفون : يا اشبيجلبرج ! خرء عليكـم ، أيها الرعاديد ، أيها الخنافس ، بينما اشبيجلـبرج ، منشور الجناحين ، يصاعد حتى معبد الخلـود .

كـارل : رحلة طيبة ! اصعد ، على اعمدة من العار ، حتى قمة المجد ! تحت ظلال الخمائل ، في حدائق آبائي ، بين أحضان حبيبتى أماليا ، تدعوني مسرات أنبل . منـذ الاسبوع الماضي كتبت الى أبي أطلب منه المغفرة . ولم أُخفِ عنه أيَّ ظرف من الظروف ، وحيثما كانت الامانة ، كانت ايضا الشفقة والمعونة . فليكن فـراق

ما بيننا ياموريس . اليوم آخر مرة نلتقي فيها . وصل البريد ، ومغفرة أبي أصبحت الان بين أسوار هـــذه المدينـــة .

اشفيتسر ، جريم ، رولـــر

شوفترله ، راتسمن : يدخلون

رولـــر : تعلم أننا مراقبـــون ؟

جـــريم : واننا لسنا في أمان ولا لحظة واحـــدة ؟

كـــارل : هذا يدهشني . ليحدث ما يحدث . ألم ترَ اشفارتس ؟ ألم يكلمك عن رسالة خاصة بي ؟

رولـــر : انه يبحث عنك منذ زمن طويل . واظن ان ذلك من أجل أمر من هذا القبيـــل .

كـــارل : أين هو . أين ، أين ؟

(يريد الخروج بسرعة)

رولـــر : ابق . لقد أبلغناه أن يأتي الى هنا . انك ترتعد ؟

كـــارل : لا أرتعد . ولماذا أرتعد ؟ يا رفاقي ، هذه الرسالة . . — افرحوا معي . أنا أسعد انسان تحت الشمس . لمـــاذا أرتعـــد ؟

اشفارتس (يدخل)

كـــارل : (طائرا نحوه) أخ ، أخ . الرسالة ، الرسالة !

اشفارتس : (يعطيه الرسالة . فيفتحها باندفاع) ماذا أصابك ؟ لقد أصبحت أبيض كالجدار !

كـــارل : خط أخـــى !

اشفارتس : ماذا يفعل اشبيجلبرج اذن ؟

جـــريم : الفى قد فقد صوابه . انه يأتي بحركات كما لو كان أصابه رقص القديس فيت (٩) Sankt-Veit-Tanz

شوفترله : عقله في دوران . أعتقد انه ينظم شعرا .

راتسمن : اشبيجلبرج ! هيا ،يا اشبيجلبرج ! هذه الدابةلاتسمع .

جـــريم : (يهزه) يافتى ، هل تحلم ، أو ــ

اشبيجلبرج : (وكان في تلك الاثناء قد انشغل ، في أحد الاركان ، بمحاكاة من يصنع مشروعات ، يقفز فجأة) كيس النقود ، أو الحياة ! (ويمسك بخناق اشفيتسر . كارل يدع الرسالة تسقط ، ويخرج مسرعا . الجميع ينهضون)

رولـــر : (عاديا وراءه) مور ! الى أين تذهب . يامور ؟ ماذا تريد أن تفعـــل ؟

جـــريم : ماذا دهاه ؟ ماذا دهاه ؟ انه أبيض كالجثـــة .

اشفيتسر : لابد انها الاخبار التى تلقاها ! لنتأمل قليلا .

رولـــر : (يأخذ الرسالة ويقرأ) : «أيهـــا الاخ الشقى . . » البداية سارة . . «ينبغى علىّ أن أقول لك في اختصار أن أملك عبث . ان أبانا يطلب منك ان تمضى الى حيث تقتادك مخاريك . ويقول لك ايضا أن عليك ألا تؤمل في الحصول أبدا على غفرانه ان جئت تنوح عندقدميه ، ولتتوقع ان تبقى في أعمق زنزانات سجنه ، لاتقتات الا بالخبز والماء ، الى أن ينمو شعرك مثل ريش النسر وتصير أظافرك مثل مخالب الطير . هذه كلماتـــه

بحروفها . ويأمرني بأن اختم هذه الرسالة . وداعا الى الابد . اني أرثي لحالك . فرانتس فون مور » .

اشفيتسر : أخ حلو كالسكر ! حقا ! هذا الوغد اسمه فرانتس ؟

اشبيجلبرج : (يقترب بلطف منه) أهناك كلام عن الخبز والمـــاء ، يالها من حياة جميلة ! لقد رتّبْتُ لك ترتيبات أخرى . ألم أقل ان عليّ أن أفكر من أجلكم جميعا في النهاية ؟

اشفيتسر : ماذا يقول هذا المعتوه ؟ هذا الحمار يريد ان يفكر لنا جميعا ؟

اشبيجلبرج : انتم جميعا أرانب ، عجزة ، كلاب مشلولة ، اذا لم تكن عندكم الشجاعة للقيام بمخاطرات عظيمة .

رولـــر : من المؤكد اننا جميعا هكذا ، لك الحق . لكن مانخاطر به هل سينتزعنا من هذا الموقف اللعين : هل تظـــن ذلك ؟

اشبيجلبرج : (بضحكة مستكبرة) أيها الشقى المسكين ! ينتزعكم من هذا الموقف ؟ البضعة من المخ التى عندك لا تتخيل اكثر من هذا ، وبعد ذلك ، يدخل فرسك في الاسطبل ان اشبيجلبرج سيكون وغدا جبانا ان لم يفعل الاهذا . أقول لك ، سأجعل منكم ابطالا ، بارونات ، أمراء ، آلهـــة !

راتسمن : هذا ليس بالقليل في مرة واحدة ، حقا ! لكنه سيكون عملا شاقا ، هذا سيكلفك رأسك على الاقل .

اشبيجلبرج : الامر لا يحتاج الا الى شجاعة ، اذ أنه فيما يتعلـــق بالذكاء فاني كفيل به وحدى . إلى شجاعة ، أقـــول

لك يا اشفيتسر . الى شجاعة ، يا رولر ، ياجريم ، يا راتسمن ، ياشفترله ! الى شجاعة !

اشفارتس : الى شجاعة ؟ لو لم يكن الامر يحتاج الا الى هذا . شجاعة ، عندى منها ما يكفيني كيما اخترق الجحيم بقدمين عاريتين .

شوفتراه : شجاعة تكفى لمنازعة الشيطان نفسه بشأن خاطىء مسكين تحت المشنقة نفسها .

اشبيجلبرج : هذا يسرني . لو كان عندكم شجاعة ، فليتقدم احدكم وليقل انه سيفقد شيئا ولن يكسب كل شيء .

راتسمن : نعم ، وايم الشيطان ! سأكسب الكثير ، اذا أردت أن أكسب مالا أستطيع ان أفقده .

شوفترله : اذا كان عليّ أن أفقد كل ماكان عليّ دينا ، وما هو على جسمى ، فلن يكون لدى غدا ، على كل حال ، ما أفقده .

اشبيجلبرج : هيا بنا اذن ! (يقف بينهم وبلهجة الحث) اذا كانت تجرى في عروقكم قطرة دم من الأبطال الألمان ، فتعالوا ! سنستقر في غابات بوهيميا ، ونحشد هناك عصابة من قطاع الطريق — ولماذا تنظرون الىّ فاغرى الأفواه ؟ هل تبخرت قطرة شجاعتكم ؟

رولر : لست أنت أول صعلوك تطلع وراء المشنقة — ومع ذلك ، ماذا نملك أن نختار غير هذا ؟

اشبيجلبرج : نختار ؟ ماذا ؟ ليس أمامكم ما تختارونه . هل تريدون ان تدخلوا السجن بسبب الدين وتمكثون هناك تتثاءبون

حتى ينفخ في الصور يوم الحساب ؟ هل تريدون ان تضطروا الى كسب كسرة خبز جاف وانتم تعذبون انفسكم بالرفش والمعول ؟هل تريدون انتزاع صدقة بانشاد شكاة أمام نافذة الناس ؟ أو تريدون ان تقسموا قسم الجندى وثم سؤال عما اذا كانوا سيصدقونكم من مجرد سحناتكم ـ وهناك تخضعون لمـــــزاج عريف سوداوى المزاج متغطرس ، وبهذا تمرون بعذاب المطهر مقدما في الخدمة العسكرية ؟ أو تسيرون على صـــوت الموسيقى وايقاع الطبول ، أو ، في فردوس المحكوم عليهم بالتجديف في المراكب ، تجرون وراءكم كل مخـــزن حديد فولكان (١٠) ؟ انظروا . لكـــم ان تختاروا . هـــا قد تجمعت أمامكم كل الامـــور التى يمكنكم الاختيار من بينهـــا .

رولـــر : اشبيجلبرج ليس مخطئا تماما . وانا من جانبي وضعت كل الخطط لنفسى ، لكنها في النهاية ترجع الى خطة واحدة . لقد فكرت في الآتي :ما رأيكم في ان نجلس الى مائدة ، وان نحرر جريدة ، أو مفكرة سنويـــــة Almanach او شيئا من هـــذا القبيل ،وان نكتب نقدا نتقاضى عليه بضعة دراهم ، كما هى« الموضة » الآن ؟

شرفترله : جازاك الشيطان ! ان نصائحك تتفق مع مشروعـــاتي لقد فكرت بالنسبة الى نفسى ان اصبح تقويا Pietist واعطى كل اسبوع دروسا في التقـــوى .

جـ ريم : أحسنت ! واذا لم يصلح هذا ، تصبح ملحداً !

نستطيع ان نضرب على وجوه الانجيليين الاربعة .
ونؤلف كتابا يحرقه الجلاد ، فينفذ في الحال .

راتسمن : أو نقوم بحملة ضد الداء الفرنجي (١١) أنا أعرف طبيبا شيد بيتا كاملا من الزئبق (١٢) ، كما يعلن عن ذلك أهجية مكتوبة على باب الدخول .

اشفيتسر : (يقف ويمد يده الى اشبيجلبرج) يا مورتس . أنت رجل عظيم ، أو أنت خنزير أعمى وجد بلوطة .

اشفارتس : يالها من خطط ممتازة ، يالها من مهن شريفة ! لكم تتوافق العقول الكبيرة ! لم يبق لنا الان الا ان نصير نساء وقوادات ، أو أن نبيع بكارتنا .

اشبيجلبرج : حماقات ، حماقات كل هذى ! وما يمنع ان تكونوا غالبية هذه الاشخاص في رجل واحد ؟ ان خطتى هى أن أدفعكم الى المراتب العظيمة حيث تكسبون المجد والخلود . انظروا أيها الاوغاد ! لان من التفكير في كل هذا ، في الشهرة ، هذا الشعور العذب بما لاينسى

رولر : وفي ان يكون المرء على رأس قائمة الناس الشرفاء ! انت خطيب مصقع ، يا اشبيجلبرج . حين يتعلق الامر بتحويل رجل شريف الى وغد سافل . لكن قل لى ، الى أين ذهب مور ؟

اشبيجلبرج : شريف ، أنت تقول ؟ هل تعتقد انك . بعد هذا ، ستكون أقل شرفا من ذى قبل ؟ من ذا الذى تسميه شريفا ؟ ان تنتزع من الاغنياء ثلث الهموم التى تبهظ رؤوسهم والتى تحرمهم من نعمة النوم . وان تعيد الى

التداول الذهب المكنوز ، وان تعيد التوازن بين الثروات (١٣) ، وبالجملة : ان تسترد العصر الذهبي ، وتخلص الله العزيز من أكثر من متقاعد لا لزوم له ، وتعفيه من الحرب ، والطاعون ، وغلاء المعيشة والاطباء — هذا هو ما اسميه : أن يكون المرء شريفا ، واقول ان هذا من شأنه وضع اداة جليلة في أيدى العناية الالهية . ولدى كل محمر تأكله تكون لديك هذه الفكرة المغرية : هذا المحسر انه بندقيتك ، وشجاعتك الاسدية ، والليالى التى أمضيتها مترصدا : هى التى زودتك بها ، واخيرا ان تكون موقرا من الصغار والكبار على السواء .

رولـــر : وفي النهاية تصعد الى السماء حيا ، وتقف تحت الشمس ، والقمر وكل النجوم ، متحديا الارياح والعواصف ، والمعدة الشرهة لجدنا الزمان . وتكون هنالك حيث طيور السماء غير العاقلة ، وقد دفعتها رغبة نبيلة ، تقدم حفلة موسيقية سماوية . وحيث النجوم باثواب ذات ذيول يعقدون جمعيتهم المقدسة . أليس كذلك ؟ وبينما الملوك والسلاطين تلتهمهم العثة والدود ، يكون لك شرف استقبال طائر حوبيتر الملكى ؟ مورتس ؟ مورتس ! مورتس ! تنبه لنفسك ! تنبه للدابة ذات الاقدام الثلاث !

اشبيجلبرج : انها تخيفك ، يامن قلبه كقلب الارنب ! لكن أكثر من عبقرية عالمية ، قادرة على اصلاح العالم ، قد تعفنت على المزابل ، ولا يتحدث الناس عن ذلك

طوال قرن . بل طوال آلاف السنين ، بينها أكثر من ملك او امير ناخب كان سينساه التاريخ لو لم يخش كاتب سيرته ان يترك فراغا في ترتيب توالى الحكام ، ولولا ان كتابه لم يخاطر بتضييع بعض صفحات من حجم الثمن . يدفع عنها الناشر اجرا بالنقد . وحين يشاهدك العابر تتراقص في الريح ، سيقول في لحيته : هذا الشخص لم يكن عنده ماء في مخه (١٤) ! وسينوح على بؤس الزمان .

اشفيتسر : واذا سمى هذا بغاء ، فماذا يهم ؟ ألا يقدر المرء ان يكون معه دائما ، عند الحاجة ، مقدار صغير من نوع معين من الذرور (البودرة) يمكنك من عبور نهر أخيرون (١٥) دون موسيقى ، ولا يهتم بذلك أى قط ؟ نعم ، يا أخى مورتس ، اقتراحك وجيه ، ويتفق مع عقيدتي المحررة على طريق السؤال والجواب .

شوفترله : رعد ! ومع عقيدتي أنا الاخر ايضا ! يا اشبيجلبرج ، انا من رجالك .

راتسمن : لقد أتممت بأناشيدك ، مثل اورفيوس ، شكايات قلوبنا . خذني بكاملي ، كما أنا .

جريم : اذا اتفق الجميع ، فانا لن أخالفهم(١٦) . ومن المفهوم أنه لا توجد شولة (فاصلة) بعد « لن » ان رأسي في المزاد : التقويون ، والزئبق ، والنقاد ، والصعاليك . من يقدم منهم سعرا أكبر ، يملكني . خذ هذه الكف ، يا مورتس !

رولـــر : وانت ايضـــا يا اشـــفيتسر ؟ (يمـــد يده اليمنى الى اشبيجلبرج) اقـــدم روحي رهينة للشيطان .

اشبيجلبرج : واسمك للنجوم ! ماذا يهمك أين تذهب روحك ؟ لو كانت فرقا من المنادين تركض أمامنا معلنة عن نزولنا في العالم السفلي ، والجن ، لمشاهدة دخولنا ، قد تدثروا بثياب أيام الاحاد ، وأزالوا الهباب الذى يغطي جفونهم منذ ألف سنة ويمررون رؤوسهم المقرنة من فتحـــة مداخنهم ذات الدخان ؟ يا رفاق ، (ينهض) اسرعوا ، يا رفاق ! هل في العالم شيء يزن كما تزن هذه النشـــوة وهذا الوجد ؟ تعالوا ، يا رفاق .

رولـــر : على رسلكم ، على رسلكم ! أين يذهب بكم ؟ لا بد للدابة من رأس ، يا أولاد !

اشبيجلبرج : (بلهجة مسمومة) بمـــاذا يعظ هذا المترنح ؟ ألم يكن الرأس(١٧) هناك قبل ان يتحرك أى عضو ؟ اتبعوني ، يا رفاق .

رولـــر : على رسلكم ، هكذا قلت . ان الحرية هي الاخـــرى في حاجة الى سيد . وانعدام الزعيم هو الذى أضـــاع روما واســـبرطة .

اشبيجلبرج : (مترفقا) نعم ، توقفوا . رولر على حق . لا بد من رأس مستنيرة . فاهمون ؟ لا بد من عقل ســـياسي مرهف . نعم ، حين أفكر فيما كنتم عليه منذ ساعة ، وفيما صرتم اليه الآن ، بفضل فكرة بارعة . نعم ، مؤكد ، مؤكد ، لا بد لكم من زعيم . لكن ، قولوا

لي ، الرجل الذى وضع هذه الفكرة الموفقة أما ترون انه لا بد عنده هذا العقل المستنير السياسي ؟

رولـــر : اذا أمكن ان نؤمل في ، أن نحلم أن ــ لكني أخشى انه لن يقبل أبدا . (١٨)

اشبيجلبرج : لم لا ؟ تكلم بصراحة ، يا صديقي . مهما يكن من الصعب قيادة السفينة الى المعركة والريح عاصفة ، ومهما يكن من ثقل التاج ــ تكلم دون خوف ، يا رولر ــ فلربما يوافق مع ذلك .

رولـــر : ان لم يوافق ، ضاع كل شيء . بدون مـــور ، سنكون مجرد جسم بلا روح .

اشبيلجبرج : (متباعدا بغضب) مغفل !

مـــور : (يدخل بحركة عنيفة ويذهب ويجيء في الغرفة بعصبية ، ويخاطب نفسه قائلا) الانسانية ، الانسانية ، حشـــد من التماسيح ، الزائفة المنافقة . عيون الناس تمتلىء بالدموع ، وقلوبهم تظل من الحديد ! قبلات على الشفاه ، وخنجر ينفذ في الصـــدر ! الاسود والفهود تغذى صغارها ، الغربان تقدم الى أهلها غذاءها من الجيفة ، أما هو ، هو ــ لقد تعلمت احتمال الشر ، واستطيع ان ابتسم حينما يشرب عدوى الغاضب دماء قلبي على نخب صحتي . لكن حين يخون صوت الدم ، وحين يتحول حنان الاب الى شراسة ، هنالك عليك أيها الحلم الرجولي ان تشتعل نارا ! صر نمرا متوحشا ، وحملا وديعا وليتوتر كل خيط من خيوط وجودك غضبـــا وثورة موقدة !

رولــــر : اسمع ، يا مور ، ما رأيك في هذا ؟ أليس الأفضل ان يعيش المـــرء مثل قاطع الطريق أولى من أن يعيش على الخبز والمـــاء في أعمق زنزانة في السجن ؟

كـــارل : لمـــاذا لا تحيي هذه الروح نمـــرا يغرز في اللحـــم البشرى فكه الهائج ؟ أهذا هو الحنان الأبوى ؟ أهـــذا هو مبادلة الحب بالحب ؟ أود أن أكون دبا وأنا أسوق كل دببـــة الشمال ضد هذا الجنس السفاح . . التوبة ، لكن لا عفو ! أوه ، بودى لو سممت البحر المحيط ، حتى أجعلهم يشربون الموت عند كل منبع ، الثقـــة ، الثقة الوطيدة ، لكن لا شفقة !

رولــــر : مـــور ، اسمع اذن ما أقوله لك !

كـــارل : هذا غير قابل للتصديق ،هذا حلم ، وهم ــ دعاء مؤثر كهذا ، رسم حي لشقائي ، تعبير سخي عن التوبة لو كان الامر مع دابة متوحشة لذابت شفقة ورحمة ، ولكانت الاحجار قد ذرفت الدموع ، ومع ذلك فاني إذا اردت ان أتكلم ، فسيعدون ذلك هجاء شريرا للجنس البشرى ــ ومع ذلك ، مع ذلك ــ ليتني استطيع ان أسمع العالم كله صوت نفير التمرد ، لأثير ثائرة الهواء والتراب والبحر ضد هذا الجنس من الضياع !

جـــريم : اصغ اذن ، اصغ ! انك من الغضب لا تستطيع سماع شيء .

كـــارل : امش ، ابعد عني أليس اسمك انسانا ؟ ألم تلدك امرأة ؟ اغرب عن عيني ، أيها الوجه الانساني ! لقد احببت أبي حبا لا يبلغه وصف واصف ، وما من ابن أحب

أباه مثلما أحببت أبي . ولكم كنت على استعداد لبذل روحي فـداء له آلاف المرات . (يزبد ويضرب الارض بقدميه) آه ! من ذا الذى يضع الآن في يدى سيفا ، لأجرح به هذا الجنس من الأفاعي جـرحا مشتعلا ؟ من يخبرني أين أبلغ واحطم وادمر قلب حياته — سيكون صديقي ، وملاكي والهي — وسأعبده !

رولـر : نحن نريد أن نكون ذلك الصديق — دعنا نشرح لك الامـر .

اشفارتس : تعال معنا الى غابات بوهيميا ! سنحشد هناك عصـابة من قطاع الطرق ، وأنت —

(كارل يتطلع فيه بشـدة)

اشفيتسر : ستكون قائدنا . لا بد أن تكون قائدنا .

اشبيجلبرج : (غاضبا ، يرتمى على كرسي) يا عبيد ! يا رعاديد !

كـارل : من لقنك هذه الكلمة ؟ اسـمع يا فتى . (يمسك باشفارتس بشـدة) أنت لم تستخرج هذا من روحك الانسانية . من الذى لقنك اياها ؟ نعم ، بحق الموت ذى الالف ذراع ، سنفعل ذلك ، لا بد . يا لهـا من فكرة رائعة ! قطاع طرق وقتلة ! بمقدار ما روحي حية ، فسأكون قائدكم .

الجميـع : (بضجة) يحي القائـد !

اشبيلجبرج : (واثبا ، يخاطب نفسه) الى أن أعينه على الغناء !

كـارل : انظروا ، لقد زالت الغشاوة عن عيني ! لكم كان جنونا مني أن أريد العودة الى قفصي ! ان روحي

متعطشة للعمل ، واطمح الى الحرية بكل نفس من أنفاسي ! أيها القتلة ، أيها اللصوص ! هذه الكلمة وحدها تكفي لوضع القانون تحت أقدامي . النـــاس حجبوا عني الانسانية في اللحظة التي اهنت فيهـــا بالانسانية . ألا سحقا للتعاطف والمداراة الانسانيتين ! لم يعد لي أب ، لم أعد أشعر بأي حب ، الموت والدم سيعلماني كيف أنسى انه كان لدى يوما ما شيء عزيز علي . تعالوا ، تعالوا اوه ! سأتلهى على نحو رهيب ! اتفقنا ــ سأكون قائدكم . والسعادة بينكم للســيد الذى سيشعل أشرس الحرائق ويقتل بكل قسوة ، لانه سيجازى عن ذلك الجزاء الأوفى ، هكذا أقول لكم . تحلقوا جميعا حولي ، واقسموا لي قسم الولاء والطاعة حتى الموت ! أقسموا على هذه اليد اليمنى القوية !

الجميـــع : (يبسطون اليه أيديهم) نقسم لك بالولاء والطاعة حتى الموت !

كـــارل : والآن ، بهذه اليد القوية ، أقسم لكم ، بهذه اليمنى القوية ، أن أظل قائدا لكم ، أمينا راسخا حتى الموت . ولتصنع هذه اليد في الحال جثة ممن يتردد ، او يشـــك أو يتراجع . وليكن مصيرى نفس المصير ، بيد واحد منكم ، إن حنثت في يميني . هل أنتم راضون ؟

(اشبيجلبرج ، غاضبا ، يتجول في الغرفة في كـــل اتجـــاه)

الجميـــع : (رامين قبعاتهم في الهواء) نحن راضون .

كـــارل : هيا بنا اذن ! لا تخافوا من الموت ولا من الخطر ، اذ

من فوقنـــا يسيطر مصير لا ينتهي . ولكل أجله ، اما على وسادة ناعمة ، أو في معركة شرســـة ، أو في الهواء الطلق على مشـــنقة أو عجلـــة . واحد من هذه الاشياء ينتظرنا ، فهذا هو قـــدرنا .

(يخرجون)

شبيجلبرج : (يشيعهم بنظراته . بعد برهة) ينقص القائمة التي سردتها شيء : لقد نسيت السم .

(يخـــرج)

المنظر الثالث

قصر آل مـــور . غرفـــة أماليـــا

فرانتس . أماليـــا

فرانتس : انت تحولين نظراتك يا اماليا؟ هل لى من الحقوق أقل مما للابن الذى لعنه أبـــوه؟

أماليـــا : أمش! آه! الاب الحنون الشفيق الذى يسلم ابنـــه للذئاب والوحوش! في بيته يتنعم بشرب الخمر اللذيذ الثمين ، ويعنى بأعضائه المهزولة ، ويمدها على وسائد الريش ، بينما ابنه النبيل العظيم النفس يموت مـــــن الجوع — عار عليكم يانفوس الافاعى ، يافضيحـــة الانسانية! — ابنه الوحيد!

فرانتس : كنت أظن ان له ولدين .

أماليـــا : نعم ، انه يستحق ان يكون له ابناء مثلك انت . على فراش موته عبثا سيمد يديه المعروقتين ، ظانا انـــــه

يمسك بكارل ، ثم يتراجع مرتاعا حين يمس يد ابنه فرانتس الباردة — اوه ! اوه ! من الجميل ، الجميل جدا والثمين ان يكون المرء ملعونا من أبيك ! قل لى ، يافرانتس ، يا ايتها الروح الاخوية ، ماذا ينبغى ان يفعل المرء ليكون ملعونا منه ؟

فرانتس : انت تهذين ، ياعزيزتي ، وأنا ارثي لحالك .

اماليا : اوه ! ارجوك ، هل ترثي لحال اخيك ؟ كلا ، ايها الوحش ، انت تكرهه ! وانت تكرهنى انا ايضا ، اليس كذلك ؟

فرانتس : اني احبك لنفسى ، يا اماليا .

اماليا : ان كنت تحبنى ، فهل تستطيع اذن ان ترفض رجاء لى؟

فرانتس : ابدا ، ابدا ! اللهم الا ان تطلبى منى اكثر من حياتي ؟

اماليا : اوه ! ان كان الامر كذلك ، فان رجائي يمكنك تحقيقه بسهولة وعن طيب خاطر ! (بكبرياء) اكرهنى ! اني احمر كالنار خجلا حين افكر في كارل وافكر في انك لا تكرهنى . اتعدني بهذا ، على الاقل ؟ اذهب الان ، ودعنى وحدى ، فاني افضل ان اكون وحدى .

فرانتس : اى حالتى العزيزة ، العزيزة جدا ! لكم اعجب بقلبك الرقيق العاشق ! (يضرب على صدرها) هنا ، هنا كان يسيطر كارل كأنه اله في معبده . كان كارل حاضرا امامك ، حين كنت مستيقظة ، كان كارل سيد احلامك ، الخليقة كلها بدت لك انها ترجع الى الاحد ، ولاتعكس الا الاحد ولاترن الا برنين الاحد.

اماليـــا : نعم ، حقا ، اعترف بذلك . واعترف بهذا امام العالم كله ، متحدية وحشيتك ، اني احبه .

فرانتس : وحش قاس ! هكذا تجازى الحب ! تنسى امراة كهذه

اماليـا : (منقبضة) ماذا ، ينساني ؟

فرانتس : الم تضعى خاتما في اصبعه ؟ خاتما من الماس رهنـــا للاخلاص ؟ اني لشاب ان يقاوم مفاتن عاهرة ؟ من ذا الذى يدينه ، مادام لم يبق لديه مايعطيه غير هـــذا الخاتم ، ومادامت هى تدفع له بربا فاحش بواسطـــة ملاطفاتها وعناقهـــا .

اماليـــا : (غاضبة) خاتمى يعطى لعاهـــرة !

فرانتس : اف ، اف ! هذا عار . لكن لو لم يكن الامر الاهذا ! فالخاتم مهما يكن ثمينا ، يمكـــن استرداده عند اى يهودى — ربما صناعة هذا الخاتم لم تَرُقْ له ، ربمـــا استبدل به خاتما اجمل ؟

اماليـــا : (بعصبية) خاتمى ، خاتمى !

فرانتس : نعم انه هو ، يا أماليا ! — آه ! لو كان في اصبعي حلية مثل هذه مهداة من أماليا ، فما كان الموت نفسه بقادر على ان ينتزعها منّي ، أليس كذلك يا أماليا ؟ ليس الامر أمر قيمة المـــاس ، ولا صياغته ، بل الحب هو الذى يكون قيمته . أيتها الطفلة العزيزة ، هـــل تبكين ؟ الويل لمن ينتزع هذه الدموع الغالية من عينيك السماويتين . واسفاه ! ولو عرفت كل شيء ، لـــو رأيته هو نفســـه ، على الشكل الذى اتخذه !

أماليـــا : وحش ! كيف ؟ بأي شكل ؟

فرانتس : اسكتي ، اسكتي ، يا روحي العزيزة ، لا ترغميني على التصريح بكل شيء ! (كأنه يخاطب نفسه ، لكن بصوت مرتفع) لو كان لديه قناع ، هذه الرذيلـــة الفاضحة ، ليحتجب عن عيون الناس ، لكنه ظاهـــر ظهورا مروعا في هذه النظرة التي تخرج من تلك الجفون الرصاصية ، ويفضح نفسه في هذا الوجه المشـــدود . الشاحب شحوب الموت ، وهو الذى يبرز عظامه على نحو كريه ، ويتلعثم بهذا الصوت الخفيض المقطوع . هذا الهيكل المهتز المترنح يتفوه عاليـــا بهذه اللغـــة الرهيبة ، وهو الذى يشق النخاع الاعمق لهذه العظام ويحطم القوة الرجولية للشباب ، وهو الذى يخرج هذا الزبد المتقيح الملتهم من الجبين ، والخدود والفم وكل سطح الجسم ، انه برص كريه ، انه هو الذى يندس مخيفا في شقوق هذا العار الوحشي . آه ! يا له من مثير للاشمئزاز ! الانف ، العينان ، الاذنان تتساقط اربـــا اربا ! لقد شاهدت ، يا أماليا ، ذلك الشقي الذى فاضت روحه في ملجأ الميئوس من علاجهم . يبـــدو أن الحياء وقد أغلق دونه عيونه الخائفة ، فصحت باللعنات فيه . استعيدى ذكر هذه اللوحة في ذاكرتك ، يكن كارل حاضرا أمامك ! ان قبلاته تجلب الطاعون ، وشفتاه تسممان شفتيك .

أماليـــا : (تضربه) : يا لك من واش لا حياء عنده !

فرانتس : هل كارل هذا يثير الفزع في نفسك ؟ هل التصوير

الشاحب الذى قمت به له يثير الغثيان فيك ؟ اذهبي ، انظرى اليه بنفسك ، كارل هذا الجميل الملائكي ، الالهي ! اذهبي ، استروحي أنفاسه البلسمية ، أغرقي نفسك في العطور الامبروزية التي تنبعث من حلقومه . حسبك أن تستنشقي فقط نَفَسَ فمه حتى تصابي بذلك الدوار القتال الذى تحدثه رائحة دابة متعفنة أو منظر ساحة قتال مغطاة بالجثث .

(أماليا تشيح بوجهها)

فرانتس : أى نشوة غرام ! أى شهوة عناق ! لكن ، أليس من الظلم ان يدان شخص بسبب مظهره المرضي ؟ من الممكن ان تشيع في جسم أشد الناس تشويها روحٌ عظيمة خليقة بالمحبة ، كما هي الحال بالنسبة الى ايزوب (١٩) ، ومثل ذلك مثل جوهرة عقيق في الوحل . (بابتسامة خبيثة) كذلك يمكن الحب ان يزهر على شفاه ممزقة .

صحيح انه حينما تزعزع الرذيلة روابط الخلق المتينة ، وحينما تطير مع العفة الفضيلة ايضا ، كماينبثق عطر الوردة المصوحة ، وحينما تصبح الروح مريضة مع الجسم —

أماليا : (بنوع من الابتهاج) آه ! كارل ! الآن أنا أتعرفك ! أنت لم تثلم بعد ، ليس بعد ! كل هذا لم يكن الا كذبا ! ألا تعلم يا مسكين ، أن من المستحيل ان يصير كارل الى ما أتيت على وصفه ؟ (يبقى فرانتس برهة

مستغرقا في أفكاره ، ثم يتهيأ فجأة للذهاب) الى أين تذهب ، بهذه السرعة ؟ أتهرب من عارك ؟

فرانتس : (مغطيا وجهه) دعني ، دعني اطلق العنان لدموعي— أب مستبد — هكذا تترك خير بنيك للشقاء والعار الذى يحيق به — دعني يا أماليا . اريد ان أرتمي على قدميه ، وجاثيا اريد ان اتضرع اليه ان يحملني أنا وطأة اللعنة التي نطق بها ، وان يحرمني من الميراث ، أنا ، ودمي ، وحياتي ، كل شيء .

أماليا : (تحيط برقبته) يا أخا كارل ، أي فرانتس الطيب العزيز جدا .

فرانتس : يا أماليا ! كم أحبك لهذا الاخلاص الراسخ نحو أخي ! اغفرى لي كوني جرؤت على اخضاع حبك لامتحاج قاس . كم أحسنت تبرير أماني ! بكل هذه الدموع ، بهذه الزفرات ، بهذه الغضبة السماوية ، من أجلي أنا ايضا ، من أجلي — كانت روحانا على اتفاق .

أماليا : اوه ! كلا ، أبدا !

فرانتس : آه ! لقد كانتا من الانسجام بحيث ظننت دائما اننا لا بد توأمان ! ولو لم يكن الا الاختلاف المحزن في المظهر الخارجي — مما يجعل كارل يخسر في هذا مع الاسف — فان الناس يخلطون بيننا عشرات المرات . وغالبا ما أقول لنفسي : انت كارل ، كارل باكمله ، صداه ، صورته !

أماليا : (تُنْفِض رأسها) لا ، لا ، بحق ضوء السماء

الطاهر ! ولا أصغر شريان فيه ، ولا أقل شرارة في حساسيته .

فرانتس : نحن متشابهان كل التشابه في ميولنا . كان الورد زهرته المفضلة . فأية زهرة فضلتها أنا على الورد ؟ كان يحب الموسيقى حبا لا مزيد عليه — وتستطيعين ان تشهدى على هذا أيتها النجوم ! في الصمت العميق في جوف الليل ، استطعت مرارا ان تشاهديني جالسا الى البيانو بينما كان كل شيء من حولي مغمورا في الظلام والنوم . وكيف يمكنك ان تشكي ايضا ، يا أماليا : اذا كنا تلاقينا في حب كمال واحد بعينه ، واذا كان الحب هو هو ، فأنّى لأولاده ان يصيبهم الانحلال ؟

(أماليا تتطلع فيه مدهوشة)

فرانتس : كان مساء هادئا ساجيا ، المساء الاخير قبل رحيله الى ليبتسك . واقتادني حينئذ الى تحت الخميلة التي طالما شاهدتكما مجتمعين في أحلام غرامكما . وبقينا وقتا طويلا صامتين . واخيرا أمسك بيدى ، وتكلم برقة ، وهو يبكي ، قائلا : « اني افارق أماليا ، وليت شعرى ، ان لدى شعورا بأن هذا الفراق سيكون الى الابد . فلا تتركها ، يا أخي ! كن صديقها ، كارلها ، اذا لم يعد كارل أبدا . (يرتمي عند قدميها ، ويقبل يدها بحرارة) أبدا ، أبدا ، أبدا لن يعود ، وقد بذلت له هذا الوعد بقسم مقدس .

أماليا : (تثب الى وراء) أيها الخائن ، أمسكت بك ! انه تحت تلك الخميلة نفسها توسل اليّ ألا أحب أي انسان

آخر اذا مات . انظر ، كم أنت كافر ، بغيض — اغْرُبْ عن وجهي الى الابد !

فرانتس : انت لا تعرفيني ، يا أماليا ، انت لا تعرفيني أبدا .

أماليــا : أوه ! أنا أعرفك ، الآن فقط بدأت أعرفك ! وتدعي انك تشبهه ؟ قلت انه بكى عليّ ، أمامك ! كان الأولى ان يكتب اسمي على المشنقة امش فورا .

فرانتس : انت تهينني .

أماليــا : امش ، أقول لك . لقد اختلست مني ساعة ثمينــة من وقتي . فلتقتطع من حياتك !

فرانتس : أنت تكرهينني .

أماليــا : اني احتقرك . امش !

فرانتس : (يضرب بقدمه) انتظرى ! انت ترتعدين أمامي ، اريد ذلك ! اضحي بنفسي لشحاذ !

أماليــا : امش ، يا وغد ! الآن ، سأعود الى كارل . شحاذ -- أتقول هذا عنه ؟ حينئذ يكون العالم قد انقلب رأســا على عقب ، وصار الشحاذون ملوكا والملوك شحاذين . ولا أريد ان أستبدل بالاسمال التي يرتديها ثــوب اليورفير الذى يلبسه مسيح الرب ! لا بد ان له ، وهو شحاذ ، نظرة نبيلة ملكية ، نظرة تمحق ألوان الفخامة والابهــة والانتصار لدى العظماء والاغنياء ! عودى

الى الثرى ، أيتها الزينة البراقة ! (تنتزع عقدها المؤلف من اللؤلؤ) كونوا ملعونين ، أيها الاغنياء الكبـــار الذين يحملون الذهب والفضة والحلي ! كونوا ملعونين ، يا من تحتفلون في مآدب فاخرة وافرة ! كونوا ملعونين يا من ترقدون اطرافكم على الوسادة الرخوة للظهوة ! كارل ، كارل ، أنا الآن جديرة بك .

(تخـــرج)



الفصل الثاني

المنظر الاول

فرانتس فون مور ، يتفكر وهو في غـــرفته

فرانتس : لقد دام الامر أطول كثيرا ممـــا أود . الطبيب يقول انه يسترد صحته هل حياة الشيخ العجوز اذن أبدية ! كان الطريق سيكون مفتوحا أمامي ، لو لم تكن هذه الكتلة البائســـة العنيدة من اللحم التي تقف عقبة في طريق الكنوز ، مثل الكلب المسحور تحت الارض في حكايات الاشباح (٢٠) .

أما من بد اذن من أن تنحني مشروعاتي تحت النـــير الحديدى للآلية (٢١) ؟ أما من بد من قيد الانطلاق السريع لروحي ، ورده الى ســـير الحلزون الذى تسير به المـــادة ؟ الامر لا يحتاج الا الى النفخ في شـــعلة لم تعد القطرات الاخيرة من الزيت تزودها الا بحيـــاة شحيحة . ومع ذلك فلا أود ان أكون من يفعل ذلك ، احتراما للانسان . ولا أريد ان يقتل ، بل اريد فقط ان تستهلك حياته . أود ان أتصرف تصرف الطبيب المـــاهر ، لكن في اتجاه عكسي . ألا أســـد الطريق على الطبيعة باعتراضه ، بل أساعدها في سيرها . ان في وسعنا ان نطيل ظروف الحياة ، فلماذا لا نستطيع ان نختصرها ؟

الفلاسفة والاطباء علموني بأية دقـــة تتلاقى مظاهر الروح وحركات الآلة الانسانية . الانطباعات الأليمة يصحبها دائما عـــدم توافق في الذبذبات ، الآلية . والآلام المعنوية تسيء معاملة القوى الحيوية ، والروح المجهدة تحطم غلافها . ماذا إذن ؟ من يقـــدر ان يفتح للموت هذا الطريق الجديد وان يقتاده الى منزل الحياة ! ويجـــد الوسيلة لاضاعة الجسم مبتدئا بالروح ؟ آه ، كم سيكون عملا مبتكرا لمن يفلح فيه ، وكم سيكون عملا لا نظير له ! فكر اذن يا مور ! سيكون ذلك فنا جديرا بك ان تكون مخترعه . ألم يرفع الى مرتبة العلم الحقيقي فن مزج السموم ، ألم ترغم التجارب الطبيعية على تعيين حدودها ، بحيث يمكن المـــرء الآن أن يحسب مقدماً نبضات القلب في السنوات المقبلة ، وان يقول للنبض : الى هنا فقط ، وليس أبعد من هذا ! من ذا الذى لا يجرب أجنحته في هذا العلم الجديد » ؟ والآن ، كيف ينبغي عليّ أن أفعل لتعكير هذا الاتحاد العذب المادىء بين الروح والبدن ؟ أى نوع من الاحساسات يجب عليّ أن أختار ؟ وبأيها يمكن مهاجمة الحياة على أقسى نحو ؟ بالغضب ؟ هذا الذئب الجائع يشبع بسرعة . بالهم ؟ هذا الدود يقرض ببطء شـــديد على غير ما أريد ، بالغم ؟ هذه الافعى تزحف بتكاسل شديد ، بالخوف ؟ ان الامل يمنعه من التمكن . أهذه

★ يبدو أن امرأة فى باريس قد قامت بابحاث مستقصاة الى درجة تستطيع معها تحديد يوم وفاة انسان على نحو كبير • وعلم اطبائنا يبـــدو شاحبا امام هذه المرأة •

« شـــلر »

كل جلادى الانسان ؟ وهل دار صناعة الموت قــد نفدت بهذه السرعة ؟ (يتفكر بعمق) ماذا ؟ نعم ، نعم ، ماذا ؟ كلا ، آه ! (واثبـا) الفزع ! أى شيء لا يستطيعه ؟ ! ماذا يملك العقل والدين ضـد القبلـة المتلعجة التي يطبعها هذا العملاق ؟ ومع ذلك ؟ إن قاوم هذا الهجوم ايضا ؟ إن ــ أوه ! انجدني أيها الحـزن ، وأنت أيتها التوبة ، أيتها الجهنمية أيتها الأفعى التي تلتهمين وتخزنين غذاءك وتطعمين برازك ، مـدمرة أبدا وفي الوقت نفســه خالقة أبدا للسم ، وانت أيهـا التأنيب الصارخ ، يا من تدمر بيتك بنفسك وتجـرح أمـك . اوه ! تعـالي الى نجدتي ، أيتها الآلهـات المحسنات(٢٢) ، أيها المـاضي ذو الابتسامة الرقيقة ، وأنت أيها المستقبل الضاحك ، ومعك قرن الوفـرة ! اريه في مراياك السعادات السماوية ، حينما يفلت قـد مكن ، في هروبه ، من يديه الطامعتين أو هكذا ، ضربة بعد ضربة ، وهجمة بعد هجمة ، سأهاجم هذه الحيـاة الواهنة ، الى أن يأتي اليـأس فيغلق موكب الفوريات(٢٣) . الانتصار ! الانتصار ! خطـتي حاضرة ، صعبة وموضوعة بفن لا نظير له ، مجـربة وأكيدة ، لأن (بتهكم) المبضع لن يجـد عندالتشريح أى أثر لجـرح أو لسم هار . (بتصميم وعـزم) هيا بنـا إذن ! (يدخـل هرمن) آه ! الاله النازل بالآلة (٢٤) ، هـرمن !

هـرمن : تحت أمرك ، يا صاحب السعادة .

فرانتس : (مادا اليه يده) لن تخـدم جاحدا للفضل .

هـــرمن : عندى الأدلة على ذلك .

فرانتس : وعما قريب ستكون عندك أدلة أخرى . عما قريب ، يا هرمن . اريد ان أقول لك شيئا يا هرمن .

هـــرمن : كـــلي آذان .

فرانتس : أنا أعرفك ، انت رجل قوى حازم — لك قلب جندى ، ولك منقار ومخالب . لقد أهانك ابي اهانة بالغـــة ، يا هرمن .

هـــرمن : ليأخذني الشيطان ان نسيتها أبدا .

فرانتس : تلك لغة رجل حقا . الانتقام يليق بقلب يتصف بالرجولة انت تعجبني يا هرمن . خذ هذا الكيس ، يا هرمن . لو كنت صاحب الأمر ، لكان هذا الكيس أثقل وزنا.

هـــرمن : تلك أمنيّي الدائمة ، يا صاحب السعادة ، أنا شاكر لك.

فرنتس : صحيح يا هرمن ؟ أتتمنى حقا أن أكون صاحب الأمر ؟ لكن لأبي في عظامه قوة الأســـد ، وما أنا الا الابن الثـــاني .

هـــرمن : كنت أتمنى ان تكون الابن البكر ، وان تكون قـــوة أبيك هي قوة فتـــاة مســـلولة .

لمرانتس : إذن لكم كان سيجازيك الابن الاكبر ! وكيف كان سينتشلك من هذا التّراب الشائن الذى لا يليق بروحك ونبلك ، ليردك الى ضـــوء النهار ! اذن لكنت ستكون مغمورا بالذهب ، وتمـــر في الطرقات وانت راكب عربة تجرها اربعة خيول ، هذا مؤكد . لكني أنسى

ما أردت ان أقوله لك . هل تذكر الآنسة فون ايدلريش Von Edelreich يا هرمن ؟

هرمن : يا للهول ! لماذا تذكرني بهذا ؟

فرنتس : قد انتزعها أخي منك

هرمن : سيندم على ذلك .

فرانتس : لقد طردتك . واعتقد انه ألقى بك الى أسفل السلم .

هرمن : من أجل هذا ، سأبعث به الى الجحيم .

فرانتس : وكان الناس يتهامسون — فيما زعم — ان أباك صنعك بين لحم الثور وفجل الخيل(٢٥) ، ولم يكن يستطيع ان يراك دون ان يضرب على صدره ويقول « ليغفر لي الله خطاياى ! » .

هرمن : بحق الصاعقة والرعد والبرد استحلفك ان تسكت .

فرانتس : ونصحك ان تبيع بالمزاد براءات نبالتك ، ليكون معك ما تستطيع به رفو جواربك .

هرمن : قسما بكل الشياطين ! سأقتلع عينيه بأظافرى .

فرانتس : ماذا . أتغضب عليه ، أتغتاظ منه ؟ اى سوء يمكن ان توقعه به ؟ ماذا يستطيع الفأر ان يفعل ضد الأسد ؟ هياجك لن يفعل الا أن يجعل انتصاره أعذب وأجمل . انت لا تستطيع شيئا غير ان تضرس بأسنانك وتمرر غضبك على كسرتك من الخبز الجاف .

هرمن : (يضرب الارض بقدمه) سأسحقه ترابا .

فرانتس : (يربت على كتفه) واسوأتاه ، يا هرمن ! أنت رجل نبيل الخصال . لا يجوز تحمل هذه الاهانة . لا ينبغي

لك ان تتخلى عن هذه الفتاة ، مهما كان الثمن ، يا هرمن . يا للهول ! لو كنت مكانك ، لحاولت أقصى ما يستطاع .

هـــرمن : لن تهـــدأ ثائرتي قبل ان أدفنه تحت الارض .

فرانتس : على رسلك يا هرمن ! اقترب . سنظفر بأماليـــا .

هـــرمن : لا بد من ذلك ، رغما عن الشيطان ، لا بد لي من ذلك .

فرانتس : ستظفر بها ، أقول لك ، وستتلقاها من يدى أنـــا . اقترب ، أقول لك ، ربما لا تعرف إن كارل هو بمثابة محـــروم من الميراث .

هـــرمن : (مقتربا) غير معقول ، هذه أول مرة أسمع فيها هذا النبـــأ .

فرانتس : اهـــدأ ، واسمع ايضا . ولا بد أنك ستسمع عن هذا مرة أخرى . نعم اقول لك ، إنه بمثابة منفي . لكن ها هو ذا الشيخ العجوز قد بدأ يأسف على قراره السابق لأوانه ، (يضحك) مع انه لم يتخذه من تلقاء نفسه ، فيما أرجو . لكن هذه الفتاة ادلريش Edelreich

تلاحقه باللوم وبالشكوى . وعاجلا أو آجلا ، سيرسل في البحث عن كارل في أركان الدنيا الأربعة ، واذا عثر عليه فمساء الخير يا هرمن ما عليك حينئذ الا أن تقود عربته ، وانت ذليل خاضع ، حين يصحبها الى الكنيسة للاحتفال بمراسم الزواج .

هـــرمن : ســـأخنقه أمام مذبح الكنيســـة .

فرانتس : وعما قليل سيتخلى له أبي عن مكان السيادة ليذهب للعيش مستريحا في أحد قصوره . وحينئذ تكون في يد هذا المضطرب المشوش مقاليد الامور ، وسيسخر من اولئك الذين يكرهونه ويحسدونه ، وانا الذى أردت ان أصنع منك شخصا مهما ، أنا ، يا هرمن ، لن يكون عليّ الا أن أجثو على أعتاب بابه .

هرمن : (وقد غلا دمه) كلا ، لن يكون هذا تماما كما أنّى اسمي هرمن . اذا كنت لا ازال احتفظ بقبس من الذكاء في دماغي ، فلن يكون هذا .

فرانتس : هل ستمنعه ؟ انت ايضا ، ياعزيزى هرمن ، ستحس بلسعات سوطه وسيبصق في وجهك حين يلتقى بك في الطريق ، وويل لك ان هززت كتفيك او قطبت جبينك . هذا ماسيؤول اليه امر مطامحك الى نيل حظوة الآنسة ، ونظراتك ، ومشروعاتك .

هرمن : قل لى ، ماذا يجب عليّ ان افعل ؟

فرانتس : اسمع ياهرمن . اريد ان ابين لك كيف اني اعطف على مصيرك بكل قلبي ، بوصفى صديقا مخلصا . اذهب ، وتنكر ، واجعل نفسك غير ممكن التعرف عليه ، واعلن عن قدومك لدى الشيخ العجوز (الأب) ، وادّعِ انك قادم لتوك من بوهيميا ، وانك اشتركت مع اخى في معركة براج ، وشاهدته يموت في ساحة المعركة .

هرمن : هل سيصدقنى ؟

فرانتس : هذا ما سأتولاه انا . خذ هذه الحزمة . وستجد فيهـا تفاصيل مهمتك ، وفوق ذلك ، ستجد فيها وثائـق تجعل الشك نفسه يعتقد . دبر بحيث تخرج دون ان يراك احد ، واقفز في الفناء من ناحية الباب الخلفى ، ومن هناك اعبر سور الحديقة ، ودعني اتول نهايـة هذه الكوميديا المأساوية .

هرمـن : وسيكون : يحيى السيد الجديد ، فرانتس فون مـور !

فرانتس : (يربت على خديه) كم انت ماكر ! اذ بهذه الطريقة سيبلغ كلانا غرضه ، بضربة واحدة وبسرعة . واماليا ستتخلى عن آمالها ، والشيخ العجوز سيتهم نفسه بانه السبب في موت ابنه — وهو مريض ، والبناء المترنح لا يحتاج الى زلزال لينهار — انه لن يعيش بعد هـذا النبأ ، وحينئذ اكون انا ابنه الوحيد . وآماليا ستفقد من يحمونها ، وستكون ألعوبة لا رادتي . من السهل عليك ان تتخيل وبالجملة ، سيجرى كل شيء على مايرام ، لكن يجب عليك الا تتراجع في كلامـك .

هرمـن : ماذا تقول ؟ (بابتهاج) سيكون اسـهل من ذلك ان تعود القذيفة الى ماسورة البندقية وتحدث الاضرار في احشاء من اطلقها . اعتمد عليّ ! دعني اعمل . وداعا .

فرانتس : (يشيعه بنظرته ويصيح) الحصـاد لك ، ياعزيـزى هرمن . حينما يجر الثور عربة القمح الى الجرن ، يجب عليه ان يقنع بالتبن . حسبك فتاة اسطبل ، وليـس اماليـا .

(يخـرج)

المنظر الثانى

مخدع نوع مسور الاب

مور الاب ينام في كرسيه الساند ، اماليا

اماليا : (تقترب في هدوء) بكل هدوء ، انه نائم (تتوقف امام الشيخ النائم) كم هو جميل وقور ! وقور كالقديسين المرسومين في اللوحات . كلا ، ليس في وسعى ان اسيء اليك ايها الرأس المبياض من الهرم ، لا يمكن الاساءة اليك . نم هادئا ، واستيقظ في سرور ، اما انا فذاهبة اتألم .

مور : (في حلمه) ابنى ، ابنى ، ابنى !

اماليا : (تمسك يده) لنسمع ، لنسمع ! انه يرى ابنه في الحلم.

مور : اهو انت ، اهو انت حقا ؟ آه ! كم يبدو عليك البؤس ! لا تُلْقِ على هذه النظرة المثقلة بالغم . . اني بائس .

اماليا : (توقظه فجأة) ارفع عينيك ، ياعمى العزيز ! كنت تحلم . تمالك نفسك .

مور : (نصف مستيقظ) لم يكن هناك ؟ الم اضمم يديه ؟ اى فرانتس السافل ، اتريد ايضا ان تطرده من احلامى؟

اماليا : هل فهمت يا اماليا

مور : (مستيقظا تماما) اين هو ؟ اين ؟ اين انا ؟ اهى انت يا اماليا ؟

اماليا : كيف حالك ؟ لابد ان هذا النوم قد اراحك .

مــــور : كنت احلم بابني . لماذا انقطع حلمي ؟ ربما كنــت، سأتلقى المغفرة من فمـــه .

اماليــا : الملائكة لا يحقدون ــ سيغفر لك. (تمسك يده بحزن) يا والد كارلي العزيز ، اني اغفر لك .

مــــور : كلا ، يا ابنتي . ان الشحوب المميت البادي عــــلى وجهك يدين الاب . يالك من مسكينة . لقد حرمتك من مسرات شبابك ، اوه ! لا تلعنيني !

اماليــا : (تقبل يده برقـــة) انت ؟

مــــور : اتعرفين هذه الصورة ؟ يا ابنتي ؟

اماليــا : انها صورة كارل !

مــــور : هكذا كان حين بلغ السادسة عشرة من عمره . والآن، لقد تغير اوه ! لقد تمزقت نياط احشائي تحولت هذه العذوبة الى غضب ، وهذه الابتسامة الى يأس . أليس كذلك ، يا اماليا ؟ كان ذلك يوم عيد ميلاده ، تحت خميلة الياسمين ، حين رسمت صورته . يا ابنــتي ، حبك جعلني سعيدا كثيرا .

اماليــا : (دون ان تصرف نظراتها عن الصورة) كلا ، كلا، انه ليس اياه . بحق الله ، هذا ليس كارل ! انـــه ها هنا ، ها هنا (تشير الى قلبها وجبينها) وهو ها هنـــا كله ، ومختلف جدا . واللون الشاحب لا يكفي للتعبير عن الروح السماوية التي تسود في عينيه المشتعلتـــين . انزع هذه الصورة ، انها لاتشبه الا مظهره الانساني . لقد افسدت هذه اللوحـــة .

مــور : هذه النظرة المحسنة الحارة ، لو كانت امام سريرى ، لا ستطعت ان اعيش حتى في حضن الموت . ابـدا ، ابدا ، ما كنت لأموت .

اماليـا : ابدا ، ما كنت لتموت ابدا . اذن لكانت نهايتـك وثبة ، مثل تلك التى تجعلنا نقفز من فكرة الى اخرى اجمل منها . هذه النظرة كانت ستضيء انتقالك الى ما وراء القبر . هذه النظرة كانت ستحملك الى ما بعد النجـوم .

مـور : هذا مؤلم محزن . اني اموت ، بينما ابنى كارل غير حاضر هنا . سيحملوننى الى القبر ، ولن يبكى هـو على هذا القبر . ما اعذب ان يهدهد المرء دعوات ابنه كيما يدخل في سبات الموت . يالها من تراتيل جميلة !

اماليـا : (في سورة وجد) نعم ، عذب عذوبة سماويةالدخول في سبات الموت على هدهدة تراتيل الحبيب . ربمـا يستمر الحلم في القبر — الحلم وقتا طويلا ، الى الابد . بغير نهاية ، الحلـم بكارل ، الى ان يـدق ناقوس البعث — (بوجد وجذبة) ثم الاستراحة بين ذراعيه الى الابـد .

(فترة — تذهب الى البيانو وتعزف)

اتود ياهكتور ، ترحل للنهايـة
حيث الحديد ، "حديد ياكس" ، مفزعا
يعطى لبتر كل الضحيـة ؟
من ذا الذى سيعلم ابنك في غد رمى الرماح"(٢٦)
وعبادة الأرباب ، ان يبلعك سنثوس للأبد ؟

مـــور : اغنية جميلة ، يا ابنتي . ينبغي انشادها لى حين اكون على وشك الموت .

اماليــا : انها وداع اندروماك وهكتور . وكثيرا ما انشدناهــا معا ، كارل وانا ، بمصاحبة عــودى .

(تغـنى)

هيا اذهبي زوجي ، الامينة ، واحضرى رمحى المميت
ودعيني امضى لرقصة الحرب الرهيبــة
اثقال « اليون » على كتفى تحمــل
وعناية الارباب تحرس استيانكس
هكتور يصرع كى يخلص ذا الوطــن
وغدا يكون لقاؤنا عند الألوزيوم (٢٧)

(يدخل دانيــل)

دانيــل : في الخارج رجل ينتظر ، ويريد ان يدخل . ويزعــم انه جاءك بخبر مهم .

مـــور : شيء واحد في هذه الدنيا يهمنى ، وانت تعرفينـــه يا اماليا . اهو شقى في حاجة الى معونتى ؟ ينبغى الا يترك هذا المكان وهو ينـــوح .

اماليــا : ان كان شحاذا . فدعه يصعد فــورا .

(دانيل يخرج)

مـــور : اماليا ، اماليا ! سرى عنى !

اماليــا : (تستأنف الغناء) :
لن استطيع سماع قعقعة الســلاح

وسيرقد الرمح ، الوحيد ، ببهو دارك
وسلالة الابطال من فريام (٢٨) يلحقها الفناء
وستغتدى حيث النهار مجرد من كل ضوء
حيث الككيتس باكيا بالدمع يجتاب الفلاة
وغرامك المشبوب يهلك في اواذى اللثية (٢٩)
والشوق والافكار يغرقها بأمواج السـواد
اما غرامى فهو باق لا يمـوت !
اسمع هزيم الموج من حول الجدار ،
نطقنى بالسيف المهند واطّرحْ هذا الحداد
وغرام هكتور سينجو في اللثيـه
(يدخل فرانتس ، وهرمن متنكرا ، ودانيـل)

فرانتس : هذا هو الرجل . انه يقول ان اخبارا مروعة تنتظرك . اتستطيع سماعهـا ؟

مـور : لا أعرف غير خـبر واحد . تقـدم يا صديقي ، ولا تُخْفِ عني شيئا . قدموا اليه كأس خمـر .

هـرمن : (مغيرا صوته) يا صاحب السعادة ! لا تَصُبَّنَّ جام غضبك على رجل مسكين إن مزق قلبك رغما عنه ! أنا غريب عن هذه البلاد ، لكني أعرفك جيدا . أنت والد كارل فون مـور .

مـور : من أين ع فت هذا ؟

هـرمن : لقد عرفت ابنـك .

أماليـا : (بنشوة) انه حي ؟ انه حي ؟ أنت تعرفه ؟ اين هو ؟ أين ، أين ؟
(تريد ان تهـرع)

مــــور : أتعرف شــيئا عن ابني ؟

هـــرمن : كان يدرس في ليبتسك . ثم رحل في طلب المغامرات ، الى أين ، لست أدرى . وتشرد في كل ألمـــانيا عارى الرأس حافي القدمين يتسول خبزه على الابواب . وبعد ذلك بخمسة أشهر استؤنفت تلك الحرب اللعينة بين بروسيا والنمسا ، ولمـــا كان قد يئس من كل شيء في هذه الدنيا ، فان قرع طبول النصر لفريدرش (الأكبر) قد جرّه الى بوهيميا . وقال لشفيرن Schweren الكبير (٣٠) : اسمح لي أن أموت في ساحة الشرف ، أني لم يعد لي والـــد .

مــــور : لا تتطلعي فيّ يا أماليـــا !

هـــرمن : فأعطي راية ، وسار في أثر الزحف الظافر للبروسيين ، وكنا تحت نفس الخيمة . وكان كثيرا ما يتحدث عن والده العجوز ، والأيام الجميلة في المـــاضي ، وآماله التي تحطمت ــ على نحو كان يســـتدر الدموع من مآقينـــا .

مــــور : « يخبيء رأســـه في الوسادة » اسكت ، اوه ، اسكت !

هـــرمن : وبعد ذلك بثمانية أيام ، حمى وطيس المعركة قـــرب براج . ويمكنني أن أقول لك ان ابنك تصرّف تصرُّف الجندى الباسل ، واظهر أعمالا رائعة أمام الجيش كله . تحطلت الى جواره خمس كتائب ، لكنه صمد . وانهمرت الطلقات عن يمين وشمال ، لكن ابنك صمد . واخترقت طلقة يده اليمنى ، فتلقي الراية باليد اليسرى وصـــمد .

أماليـــا : (في نشـــوة) هكتور ، هكتور ! هل سمعت : لقد صـــمد !

هـــرمن : والتقيت به في مساء المعركة ، وقد نفـــذ فيه وابل من الطلقات . وباليد اليمنى حبس الـــدم المتدفق ، ودفن يده اليمنى . وصاح فيّ : يا أخي ، لقد سرت اشـــاعة في الصفوف مفادها أن القائد قتل منذ ســـاعة . — فقلت له : لقد قتل ، وأنت ؟ — فصاح ، وقـــد سحب يده اليسرى : اذن ليتبع كل جندى شجاع قائده ، كما أفعل أنا ! وبعد ذلك فاضت روحه مقدما اياها قربانا لهذا البطل .

فرانتس : (يمشي بعصبية صوب هرمن) ليخرسن الموت لسانك اللعين ! أجئت هنا لتطعن أبانا بضربة قاضية ؟ يا ابتاه ! يا أماليـــا ! يا أبتـــاه !

هـــرمن : وهذه كانت وصية رفيقي الأخيرة وهو يموت : « خذ هذا السيف ، واحمله الى أبي ، لقد ســـال دم ابنـــه عليه ، وفي وسعه ان يتغذى على انتقامه . قل لـــه ان لعنته ألقت بي في المعركة والموت ، ولقد سقطت صريعا يائسا » وكانت آخر زفراته ان هتف باسم : أماليا !

أماليـــا : (وقد استيقظت فجأة من سبات يشبه الموت) كانت آخـــر زفراته : أماليـــا !

مـــور : (مطلقا صرخة مخيفة ومقتلعا شعره) لعنتي ألقت بـــه في الموت ! لقد سقط صريعا يائســـا !

هـــرمن : ها هو ذا السيف ، وايضا صورة انتزعها في تلك اللحظة من صـــدره . انها تشبه هذه الآنســـة كل الشـــبه .

وقال : انها من أجل أخي فرانتس ، ولم أفهم ماذا كان يعني بهذا القول .

فرانتس : (يتظاهر بالدهشة) من أجلي ؟ صورة أماليـــا ؟ من أجلي ؟ كارل ، أماليـــا ؟ من أجلي أنا ؟

أماليـــا : (متوجهة الى هرمن بعصبية) أيها النصاب المأجور ، أنت مأجـــور !

(تمسـك به بعنف)

هـــرمن : هذا ليس صحيحا ، يا آنســة . انظرى أنت ما اذا كانت هذه الصورة هي صورتك . لا بد أنك أنت بنفسك أعطيتها له .

فرانتس : وأيم الله ، أماليـــا ، انها صورتك ــ حقا انها صورتك

أماليـــا : (تعيد اليه الصورة) صورتي أنا ، صورتي أنا ! ــ بحق الســماء والارض !

مـــور : (يصرخ ويمزق وجهه) يا ويلتاه ، يا ويلتاه ! لعنّي ألقت به في الموت ، لقد سقط صريعا يائســا !

فرانتس : وفكر فيّ في تلك الساعة الاخيرة الأليمة للرحيل ! فيّ أنا أيتها الروح الملائكية ، بينما كانت راية المـــوت ترفرف عليه ، فيّ أنا !

مـــور : (متلعثما) لعنّي القت به في الموت ، ولقد سقط صريعا يائســـا !

هـــرمن : لا أستطيع احتمال منظـــر هذا الحـــزن . وداعا ، يا صاحب السعادة ! (هامسا الى فرانتس) لمـــاذا فعلت

هذا ، أنت ، ابنه ؟
(يخـــرج مسرعـــا)

أماليـــا : (مندفعة وراءه) ابق ، ابق ! ماذا كانت آخر كلماته؟

هـــرمن : (يصيح فيها وهو يخرج) كانت آخـــر زفـــراته : أماليـــا !
(يخـــرج)

أماليـــا : كانت آخـــر زفراته : أماليا ! كلا ، لست نصابا . صحيح اذن ، صحيح انه مات ، مات ! (تترنح عدة مرات ثم تسقط على الارض) مات . كارل مات .

فرانتس : ماذا أرى ؟ ماذا على السيف ؟ مكتوبا بدمه أماليـــا !

أماليـــا : مكتوبا بخطـــه ؟

فرانتس : هل ابصرت جيدا ؟هل كنت أحلم ؟ انظرى ، مكتوبا بالدم : « يا فرانتس ، لا تترك أمالياى ! » انظرى اذن ، انظرى اذن ! وعلى الجانب الآخر : « أماليـــا ، قسملك حطمه الموت القدير » أترين الآن ، أترين ؟ كتب ذلك بيـــد تتيبس ، كتبه بالدم الحار المتدفق من قلبه ، كتبه وهو على أعتاب الابدية الرهيبـــة ! روحه وهي تفيض تلبثت قليلا لتضم فرانتس الى أماليا.

أماليـــا : الله القدوس ! انه خطه . انه لم يحببني أبدا .
(تخـــرج مسرعة)

فرانتس : (يضرب الارض بقدميه) اليأس ! كل مكرى ينهار أمام عنادها .

مـــور : يا ويلتاه ، يا ويلتاه ! لا تتركيني يا ابنتي ! يا فرانتس، رُدَّ إليَّ ابني .

فرانتس : من ذا الذى صب عليه اللعنة ؟ من الذى ألقى بابنـــه في حـــومة الوغى ، والموت ، واليأس ؟ أوه ! لقـــد كان ملاكا ، كان حلية من حلي السماء ! اللعنـــة على جلاديه ! اللعنة ، اللعنة عليك أنت !

مـــور : (يقرع صدره وجبينه بقبضة يده) لقد كان ملاكا ، كان حلية من حليّ السماء . اللعنة ، اللعنة ، الموت واللعنة لي أنا . أنا الاب الذى قتل ابنه العظيم النفس . لقد أحبني حتى في الموت . انتقاما مني ، هـــرع الى المعركة والى الموت . يا لي من وحش ، وحش !
(غاضب على نفســـه)

فرانتس : لم يعد حيا بعد ، ففيم تفيد هذه الشكاة بعد فـــوات الاوان ؟ (بضحكة ساخرة) القتل أسهل من إعادة الحياة . لن تخرجه أبدا من القبر .

مـــور : أبدا ، أبدا ، أبدا ، لن نخرجه من القبر ، لقد رحل ، وضاع الى الأبد ، وأنت الذى انتزعت هذه اللعنة من قلبي ، بفيض من كلامك . فلترد لي ولدى !

فرانتس : لا تهيج غضبي ! إني اتركك في ســـاعة الموت !

مـــور : وحش ، وحش ! أعد اليّ ابني !
(ينهض بسرعة ، يريد ان يمسك بخناق فرانتس ، فرانتس يدفعه عنه)

فرانتس : أيها الهيكل العظمي الذى لا قوة له ! أتتجرأ ! مت ،

يائســا .

(يخــرج)

مــور العجــوز

مــور : ألف لعنة تنصب عليك ! لقد انتزعت ابني من بين ذراعي .

(يتخبط من اليأس مضطربا على كرسيه في كل اتجاه)

الشقاء ، الشقاء ، اليأس ، ثم لا أموت ! انهم يهربون ، يتركونني في ســاعة الموت ، ملائكتي الطيبون يهربون مني ، كل القديسين يتراجعون فزعا أمام العجــوز القاتل . الويل ، الشقاء ! لن يمسك برأسي أحد ، لن يفك روحي في ساعة النزع الأخير ؟ لا ولد ، ولا بنت ! ولا أصدقاء ! رجال فقط ـ لا أحد يريد ـ وحدى ، متروكا . الويل ، الشقاء ! أيأس ولا أموت !

أماليا (تدخل وعيناها مملوءتان بالدموع)

مــور : أماليا ! يا رسولة السماء ! هل أتيت لتفكي روحي ؟

أماليــا : (برقــة) لقد فقدت ولدا نبيــلا .

مــور : لقد قتلته ، تريدين ان تقولي ! تحت عبء هذه الغلطة سأمثل أمام عرش القاضي الالهي .

أماليــا : كلا ، أيها الشيخ الجــدير بالعطف . ان الأب السموي دعاه اليه . كنا سنكون سعداء جدا في هذا العالم . هناك في أعلى ، هناك في أعلى ، فوق النجوم ، ســنراه .

مــور : اللقاء ، اللقاء ! أوه ! سيشق قلبي سيف حين القــاه سعيدا بين السعداء . في قلب الجنة نفسها ، ســأشعر

بقشعريرة الجحيم . وفي تأمل اللامتناهي ، ستأتي الذكرى لتطحنني ، لقد قتلت ولدى .

أماليا : أوه ! بابتسامة سيمسح هذه الذكرى الأليمة من روحك هدىء روعك ، أيها الوالد العزيز ! اني هادئة تماما . ألم ينشد أمام الجوقات السماوية اسم أماليا ، على الهارب السروفي ، والجوقات السماوية تردده من بعده ؟ كانت آخر زفراته : أماليا ! أو لن تكون أول صيحات سروره : أماليا ؟

مور : عزاء سماوى يسيل من شفتيك ! تقولين انه سيبتسم لي ؟
سيغفر لي ؟ يجب عليك ان تظلي بقربي حين أموت ، يا حبيبة كارل .

أماليا : الموت - سيكون هو الطيران بين ذراعيه ! كم أنت سعيد وجدير بالحسد . لماذا لا تنحل عظامي الى تراب ؟ لماذا شعرى ليس أشيب ؟ الويل لقوى الشباب . مرحبا بك أيتها الشيخوخة الهزيلة فأنت اقرب الى السماء والى حبيبي كارل .
(فرانتس يدخل)

مور : تقدم ، يا ولدى ! سامحني على شدة قسوتي عليك منذ قليل ! اني أغفر لك كل شيء . كم أود أن أكون هادئا وانا ألفظ نفسي الاخير .

فرانتس : هل بكيت ابنك بما فيه الكفاية ؟ يبدو لي أنه ليس لك غير ابن واحد .

مـــور : كان ليعقوب اثنا عشر ولدا ، لكنه بكى بدموع دامية على ابنـــه يوسف .

فرانتس : هـــم !

مـــور : اذهبي واحضري الكتاب المقدس ، يا بنتي ، واقرئي لي قصـــة يعقوب ويوسف . لقد هزتني كثيرا في كل مرة ، ومع ذلك لم أكن بَعْدُ يعقوب .

أماليـــا : أي فصل تريد مني أن أقـــرأ ؟

(تأخذ الكتاب المقدس ، وتتصفحه)

مـــور : اقرئي لي يأس المهجور ، حينما لم يجده بين ابنـــائه ، وعبثا ترقب أن يلقاه بين الأحد عشر الباقين ، ونواحه حين علم أن ابنه يوسف قد ســـلب منه الى الأبد .

أماليـــا : (تقـــرأ) « حينئذ أخذوا قيص يوسف ، وبعـــد ان ذبحوا تيسا ، غمسوا القميص في الدم . وبعثوا الى أبيهم بالقميص المتعدد الألوان قائلين : هذا ما وجدناه ! فانظر هل هذا قميص ابنك أو ليس قميصه . (فرانتس يخرج فجأة) فتعرفه يعقوب وقال : هذا قميص ابني ، لقد التهمه وحش مفترس ، ومزق يوسف إرْبا إرْبا » .

مـــور : (وهو يسقط على وسادته) يوسف مزق إربا إربا !

أماليـــا : (تستمر في القراءة) « فمزق يعقوب ثيابه ، ووضع زكيبة على وسطه ، ولزم الحداد على ابنه زمانا طويلا . وجاءه كل ابنائه وبناته لمواساته ، لكنه لم يشأ أيـــة مواساة . وكان يقول : سأنزل الى مقام الموتى وأنا أبكي » .

مــور : كفى ، كفى أشــعر بوجع .

أماليــا : (تقفز ، تاركة الكتاب يسقط) يا للسماء ! النجدة ! ما هــذا ؟

مــور : انه الموت ، السواد يتراءى أمام عيني ! أرجــوك ، استدعي القسيس وليعطني التناول . أين ابني فرانتس ؟

أماليــا : لقد هرب . ليرحمنا الله !

مــور : هرب ، هرب من عند فراش أبيه وهو يحتضر ! وهذا كل ، كل ما نالني من ولدين مليئين بالآمال . لقــد وهبني اياهما ، وها أنت تستردهما مني . ليتقدس —

أماليــا : (تصرخ فجأة) مات ، كلٌ مات !

(تخرج في حالة يأس بالغ)

فرانتس (يدخل ، وعليه سيما السرور)

فرانتس : مات ، هكذا يصيحون ، مات ! والآن اصبحت أنا السيد الآمر . في كل القصر ينتحبون صارخين ! مات ! لكن ربما كان نائمـا فقط ؟ مؤكد ، مؤكد ! لكنـــه نوم لا يمكن معه أبدا ان يقال : صباح الخير ! الموت والنوم شقيقان توأمان . فلغير الاسم . مرحبا بك أيهــا النوم الجميل ! سنسميك موتا . (يغلق عيني أبيــه) من ذا الذى يستطيع الآن ان يقاضيني أمام المحكمة ؟ أو يقول لي في وجهي : انت سافل ! بعيدا عني اذن هذا القناع المزعج ، قنــاع الرقة والفضيلة ! الآن ، سترون فرانتس كما هو على حقيقته ، وستر تعلون فزعا منه . أبي كان يخفف دائما من مطالبه ، وقد جعل من ضيعته أسرة ، جالسا على عتبتها تعلوه ابتسامة محببه ،

ويحيى كل رجاله ، ويدعوهم اخوته وابناءه . أما أنا فحواجبي ستكون تهديدا ، واسم السيد سيهبط هـذه الجبال كمذنب مهدد ، وجبهتي ستكون لكم مقياس الضغط (بارومتر) ! — كان يلاطف الرقبة العاصية التي تتمرد عليه ، يلاطف ، يقول كلمات حلوة : هذا ليس من شأني . سأغرز في جنوبكم مهمازاتي المسننة ، وأجرب سوطي اللاسع . في أملاكي يجب ان تعد البطاطس وقـدح صغير من الجعة بمثابة وجبـة أيام الاعياد ، والويل لمن يمثل أمام عيني بخدين كبيرين متوردين . شحوب الفقر والخوف الذليل — هذا هو اللون المفضل عندي . وبهذا الزى سألبسكم .

(يخـرج)

المنظر الثالث

غـابـة بـوهيميا

اشبيجلبرج ، راتسمن ، عصابة اللصوص

راتسـمن : أأنت هناك ، اهو انت حقا ؟ اسمح لى ان اضمك بين ذراعي ، ان احيلك الى حساء ، اى عزيزى مورتس ، ياشقيق قلبي ! مرحبا بك في غابات بوهيميا ! لكنك كبرت وازددت قوة . يا لها من كتيبة ! لقد اتيتنـا بحشد من المجندين ، انت خير مُجَيِّش للجيوش .

اشبيجلبرج : أليس كذلك ، يا اخى ؟ اليس كذلك ؟ ثم هم أيضا اشداء حقا ! ألا تعتقد ان بركة الله الواضحة ظاهرة

عليّ ؟ لم اكن الا امرأ فقيرا جائعا ، ولم يكن عندى غير هذه العصا حين عبرت الأُرْدُنّ (٣١) ، والآن ها قد صار معنا ثمانية وسبعون رجلا ، معظمهم من البقالين المفلسين ، ومعلمى المدارس او الموثقين المطرودين، وقد جاءوا من المقاطعات الشفابنيــــة Schwabische provinzen ، واني اضمــن لك ، يا أخى ، انهم مجموعة من الاشداء الحقيقيين ، وفتيان لطيفون ، اقول لك ـ احدهم يقدر ان يسرق كل زرائر سروال جاره ، ومعم لا يشعر المرء بالامان الا إذا كانت البندقية مُعَمّرة . ولدينا وفرة من هذا النوع من الناس ، وفي دائرة قطرها اربعون فرسخا لنا شهرة لا تصدق . لن تجد صحيفة ليس فيها مقال صغير عن الداهية اشبيجلبرج ـ وانا لا أحتفظ بها إلا لهذا . وقد وضعوا هناك صورتي ، من الرأس حتى القدمين ، دون ان ينسوا زراير سترتي . ستتأكد تماما انه انا . لكننا اوقعناهم في حيلة بارعة . فمنذ قليل ، ذهبت الى المطبعة ، وزعمت انني رأيت اشبيجلبرج الشهير ، وامليت على كاتب كان هناك العلامات المميزة لطبيب مسكين في هذه الناحية . وانتشر الخبر ، وزج به في المسألة ، وحقق معه ، وحمله الخوف والحماقة ـ ليأخذني الشيطان ! ـ على ان يقر بأنه هو اشبيجلبرج ! يا للرعد ! وكنت على وشك الذهاب لتسليم نفسى للقاضى ، حتى امنع هذا الوغد من تشويه اسمى هكذا ـ ومع ذلك ، اقول لك ، شنقوه منذ ثلاثة اشهر . وكان عليّ ان اضع مقدراً كبيراً من

النشوق في انفى حينما مررت امام المشنقة التى عرض عليها اشبيجلبرج المزعوم في كل مجده ، وبينما كان « اشبيجلبرج » مشنوقا ، كان اشبيجلبرج ينسل بلطف خارج حبل المشنقة ، ومن خاف يسخر من العدالة . . العدالة الواعية جدا ، حتى كان ذلك مثارا للشفقـــة .

راتســـمن : (ضاحكا) انت دائما هو انت .

اشبيجلبرج : نعم ، كما ترى ، جسما وروحا . يا احمق ! لابد لى ان احكى لك حيلة اوقعت فيها مؤخرا دير القديســة سيسيليا . لقيت الدير خلال جولة كنت اقوم بها عندما اظلم الليل . ولما كنت لم اطلق رصاصة واحدة طوال النهار ــ وانت تعلم كم اكره ان اضيع وقتى ــ فقد كان من الضرورى ان احتفل بالليلة . بواسطة ضربة محكمة ، حتى لو كلف ذلك اذن الشيطان ! بقينـــــا هادئين حتى اعماق الليل . صمت تام . واطفئـــت الانوار . وظننا ان الراهبات لابد قد اوين الى فراشهن . فأخذت حينئذ رفيقى جريم معى ، وطلبت مـــــن الاخرين ان ينتظروا امام الباب ، الى ان يسمعوا صوت صفارتي . واوثقت البواب ، وانتزعت منه مفاتيحه ، وتسللت الى الداخل ، في عنبر نوم راهبات الخدمة ، وانتزعت منهن ثيابهن وخرجت ومعى الحزمـــــة . ثم مضينا من صومعة الى اخرى واخذنا كل ثيـــاب الراهبات ، واخيرا ثياب رئيستهن . هنالك اطلقت صفارتي ، فبدأ رجالنا في الخارج يتسلقون ويهجمون ، بحيث يظن المرء انه كان يوم الحساب الاخير . دخلوا

بضجة شديدة في صوامع الراهبات. آه! آه! كان لابد ان ترى بعينك هذا الصيد الشبيه بالصيد بالكلاب والخيل، وكيف كانت الفتيات المسكينات يتحسسن في الظلام باحثات عن ثيابهن مضطربات على نحو محزن، وكأنهن قد مسهن الجن، وكيف أننا، في تلك الاثناء، نطاردهن كالصاعقة، وكيف رحن، من الخوف والاضطراب، يتدثرن بملاءات أسرّتهن، ويندسسن تحت المدفئة مثل القطط، او ينثرن الماء، وقلوبهن فزعة، على ارض البهو، حتى انك لتقدر ان تسبح فيه، وكل هذه المناحات البائسة، واخيرا رئيستهن الشبيهة بخروف عتيق في ثوب حواء قبل الخطيئة — اتعرف، يا اخي، ان اكثر ماينفرني في هذا العالم هو العنكبوت والمرأة العجوز — تخيل الآن هذه المرأة السمراء، العجفاء المشعثة الشعر، وهي ترقص امامي، وهي تتوسل الى باسم بكارتها وعفتها — بكل الشياطين! فرفعت ذراعي لاجعلها تدخل حتى مؤخرها ما بقي لها من اسنان، وبكل سرعة كان علينا ان نخرج كل الاواني الفضية، وكنز الدير وكل التالرات الجميلة، واؤكد لك — ورجالي فهموا ذلك جيدا — انني استخرجت من الدير اكثر من الـف تالر، واللذة بذلك ايضا، ورجالي تركوا لديهن ذكريات سيحملنها طوال تسعة اشهر.

راتسمن : (يضرب الارض بقدميه) يا للرعد! كيف لم اكن هنـالك!

اشبيجلبرج : فهل تقول ان هذه ليست حياة لذيذة ! ومن شأنها ان تجعلك قويا ومتأهبا ، وجسمك يبقى في صحة جيدة ، ويكبر كل يوم مثل كرش الاسقف . ولست ادرى هل في ذاتي خاصية مغناطيسية تجذب كل اوغـــاد الارض كما يجذب المغناطيس الحديد والصلب !

راتســمن : بوصلة جميلة انت ! لكن بحق الشيطان اود ان اعرف حيلك .

اشبيجلبرج : حيل ؟ لست في حاجة الى حيل . الامر لا يحتاج الا الى مخ . نوع من الحس العملى لا يكتسبه المرء من اكل الشعير . اني اقول دائما : يمكن ايجاد رجل شريــف بواسطة اى عود من العشب ، اما لتكوين وغد فلابد من مادة الطف . ولا بد ايضا من عبقرية خاصــة ، ونوع من الجو الخاص ، واني انصحك ان تذهب الى اقليم جراوبندن Graubvenden فهو اثينــا الاوغاد في هذه الايام .

راتســمن : يا اخ ، لهذا الغرض مجدوا لى كل ايطاليا .

اشبيجلبرج : نعم ، نعم ! لابد من اعطاء كل ذى حق حقـــه : ايطاليا تزود برجالها ايضا ، واذا استمرت المانيا في هذا الطريق ونبذت الكتاب المقدس نبذا تاما كما يلوح ، فانه مع الزمن يمكن استخلاص شيء من المانيا . لكن علىّ ان اخبرك انه بوجه عام لا تأثير كبيراً للجـو ، انها العبقرية هى التى تزدهـــر في كل مكان ، وفيما يتعلق بالباقي فاعلم يا اخي ان التفاحة التى من خشـب لا يمكن ابدا ان تصير اناناســا ، حتى ولا في رياض

الجنة – لكن لنستمر ، الى اين وصلت ؟

راتســمن : الى الحيــل .

اشبيجلبرج : بالضبط ، الى الحيل . اول شيء ، حــين تصل الى مدينة ان تستعلم من ملاحظي السجون ودوريات المدينة والسجانين عن اولئك الذين يشرفونهم بزياراتهم مرارا عديدة ، ثم تذهب لرؤية هؤلاء الزبائن ، ثم تذهب وتتربص في المقاهي ، وبيوت الدعارة ، والفنــادق وتتحسس ، وتتفحص ، وتبحث عن اولئك الذيــن يصرخون قائلين ان الحياة رخيصة ، وان الاقتراض هو بفائدة ٥٪ ، وان اصلاح الشرطة كارثة جهنمية ، واولئك الذين يلعنون الحكومة او يثورن على اصحاب الفراسة Physiognomik ، وهكذا يا اخ ، عند هؤلاء ينبغي البحث ، اما ان الامانة مزعزعة مثل السن المسوسة ، فما عليك الا ان تستعمل الكماشة – او احسن من هذا واسرع : تدع كيسا حافلا بالنقــود يسقط منك في الشارع ، ثم تختبي في اى مــكان ، وتراقب جيدا من سيأخذه . وفي اللحظة التاليــــة ، تطارده ، وتبحث ، وتصيح ، وتسأل عابرا : ألم يعثر السيد بالصدفة على كيس ؟ فان قال نعم ، فقد تدخل الشيطان واذا انكر ، فقل له : عفوا ياسيد ، انــــا لا اتذكر ، آسف (قافزا) ، حينئذ ، يا اخ ، جاء النصر ! يا اخ ، اطفيء فانوسك ، اى ديوجين (٣٢) الماكر ، لقد وجدت رجلك .

راتســمن : انت رجل محنــك .

اشبيجلبرج : يا الهي ، كما لو كنت انا قد شككت ابدا في هــذا !
والان وقد دخل رجلك في الشبكة ، فلابد من المهارة لسحبه . انا يابني كنت اسلك هكذا : حالما وجدت الاثر ، تعلقت بمرشحي هذا ، ناواميه والكأس في يدى ، ولاحظ جيدا ان تدفع الطلبات ، وهذا يكون مبلغا محترما ، لكن لا تلق بالا لهذا . استمر ، واقتــده الى حيث يلعب القمار او اماكن الفجور ، وتحشره في مشاجرات او في هجمات ، حتى تفلس قـــواه ، ونقوده ، وضميره وسمعته — اذ عليّ ان اقول لك ، بالمناسبة ، انك لن تصل الى شيء اذا لم تفسده جسما وروحا — صدقني ، يا اخي ، هذه هي النتيجة التى استخلصتها خمسين مرة ، على الاقل ، من تجاربي ، حين يخرج هذا الرجل من عشه ، فان الشيطان يستولى عليه . ولا يبقى غير خطوة واحدة من السهل القيــام بها — سهلة مثل القفزة التى تفصل بين مومس وامرأة شديدة التقوى . اسمع ! ما هذه الطلقة هناك ؟

راتسمن : كانت طلقة رعد ، استمر !

اشبيجلبرج : ثم طريق اقصر وآمن . تنهب بيت رجلك نهبا تاما ، حتى لا يبقى له قميص يلبسه ، هناك يأتي من تلقــاء نفسه اليك — لا تتعال عليّ ، يا اخ — واسأل قليلا هذا الرجل الذى لوحته الشمس ، هناك ، لقد وقع في الفخ ، يا للهول ! ابين له اربعين من الدوقيات واعده بها ، اذا هو اتاني بطابع مفاتيح سيده . تامل ! ان هذا الابله يفعل ذلك ، وليأخذني الشيطان ! اذ يأتي بالمفاتيــح ويطلب نقودك . فاقول لـــه : « هل يعلم السيد انــى

ساذهب فورا واعطى هذه المفاتيح الى ملازم الشرطة ، واحجز للسيد مكانا على المشنقة ؟ » يا للهول ! لابـــد لك ان ترى هذا الرجل وهو يفرك عينيه وينتفض مثل الكلب المبلول . « بحق الله ، السيد يعرف انى اريد ، اريد ــ ماذا تريد ؟ هل تريد ان ترفع ضفيرتـــك ، وتذهب معى الى الشيطان ؟ ــ اوه ! عن طيب‌خاطر ، بكل قلبي ! » آه ! آه ! ايها الرجل الطيب ، بالشحم تصطاد الفئران ــ اسخر منه مع ذلك ياراتسمـــــن . هــ ! هـــا !

راتســـمن : نعم ، نعم ، لابد لى ان اعترف بذلك . سأكتب هذا الدرس بحروف من ذهب على الواح مخى . لابـــد ان الشيطان يعرف رجاله ، مادام قد اختارك وسيطا .

اشبيجلبرج : أليس كذلك يا اخ ؟ اعتقد انى اذا اتيت له بعشرة ، فسيتركنى اذهب . ان الناشر يعطى البائع النسخـــــة العاشرة مجانا ، فلماذا يكون الشيطان يهوديـــــا في الاعمال ؟ ياراتسمن ، اني اشم رائحة بارود .

راتســـمن : اف ، منذ وقت طويل وانا اشمها . انتبه ! لابــد انه يحدث شيء في هذه النواحى . نعم ، نعم ، كمـــــا اقول لك يا موريس ، سيستقبلك القائد انت وجنديك استقبالا حسنا . هو ايضا اجتذب فتية شجعانا .

اشبيجلبرج : لكن رجالي ، رجالي ! يـــاه !

راتسمن : نعم ، لا بد ان لهم أصابع صغيرة لطيفة . لكني أقول لك ان شهرة قائدنا قد أغرت ايضا رجالا شرفاء .

اشبيجلبرج : لا أرجـــو ذلك .

راتسمن : لندع المزاح جانبا ! وهم لا يخجلون أن يخدموا تحت إمرته . إنه لا يقتل ليسرق ، مثلك أنت ، ومنذ أن أصبح لديه مقدار كاف من المـــال ، فانه يبـــدو أنه لم يعد يهتم بذلك . بل حتى الثلث ، الذى هو حقه في الغنائم ، يعطيه لليتامى ، أو يخصصه للشباب المؤمـــل فيهم ليواصلوا دراساتهم . لكن حين يستطيع أن يستنزف دماء صاحب أملاك يسلخ فلاحيه كالدواب ، أو يقع تحت رحمة قبضته واحد من أولئك الســـفلة ذوى الأشرطة الذهبية الذين يزيفون نقود القوانين ، ويشترون العدالة ، أو أى سيد آخر من هذا القبيل ، فانه في هذه الحالة يكون في ميدانه المناسب وينطلق كالشيطان المـــارد ، حتى ليمكن ان يقال ان كل خيط في بدنه هو فورية Furie .

اشبيجلبرج : هم ! هم !

راتسمن : من وقت قريب ، علمنا في الفندق ان كونتا غنيا قـــد كسب في قضية مليونا بفضل أخاديع محاميه ، وانه سيمرّ قادما من ريجنزبورج Regensburg وكان القائد جالسا الى المنضدة ، ويلعب الضـــامة . فسألني : كم نحن ؟ ونهض بسرعة . وشاهدته يعض على شفته السفلى ، وهو لا يفعل ذلك الا حين يكون في أوج غضبه . — فأجبته : لسنا أكثر من خمسة .— فقال : هذا يكفيني ، والقى بالنقود الى صاحبة الفندق على المنضدة ، وترك النبيذ الذى طلبه دون ان يمســـه ،

واتخذنا سبيلنا . ولم يقل كلمة واحدة طول الوقت ، وعدا جانبا وحده ، غير أنه كان يسألنا بين الحين والحين عما اذا كنا لا نشاهد شيئا بعد ، وامرنا ان نضع آذاننا على الارض . واخيرا جاء الكونت بعربته المحملة حملا ثقيلا ، وكان المحامي يجلس الى جواره ، وامام العربة فارس ، وعلى جانبيها خادمان على فرسين. ولا بد لك ان تشاهد رجلنا وفي يديه غدارتان ، وقد سبقنا ليعدو الى العربة ، وان تسمع صياحه وهو يقول : توقف ! والسائق الذى لم يرد الوقوف ، طار تحت كرسيه ، وجر الكونت من عربته وطرح به في الهواء ، وهرب الفرسان . وصرخ القائد : (نقودك أيها الوغد) . وكان صوته كالرعد . وتجندل الكونت كالثور تحت ضربة البلطة .-« وانت ، هل أنت النذل الذى يفسق بالعدالة ؟ » فارتعد المحامي وقَصَفَتْ أسنانُه . فغرز الخنجر في بطنه مثل الخازوق في الكرم . « قمت بدورى » ــ هكذا صاح القائد مبتعدا بفخر عنّا . « النهب هو الآن شغلكم » ثم اختفى في الغابة .

اشبيجلبرج : هَمْ ! هَمْ ! يا أخ ، ما حكيته لك يجب ان يبقى سرا فيما بيننا ، ولا حاجة به الى أن يعلمه . فاهم ؟

راتسمن : حسن ، حسن ، فاهم .

اشبيجلبرج : انت تعرفه ، ان له نزواته . انت تفهمني .

راتسمن : فاهم ، فاهم .

اشفارتس (يصل ، عاديا بكل قواه)

راتسمن : من هناك ؟ ماذا جرى ؟ مسافرون في الغابة ؟

اشفارتس : بسرعة ، بسرعة ! أين الآخرون ؟ يا للمصيبة ، انت واقف هنا لتثرثر ، ألا تعلم ؟ ألا تعرف شـيئا ؟ ورولـر . .

راتسمن : ماذا إذن ؟ ماذا إذن ؟

اشفارتس : رولـر شنق ، وأربعة آخرون معه .

راتسمن : رولـر ؟ يا للهول ! متى ؟ من قال لك ذلك ؟

اشفارتس : منذ اكثر من ثلاثة أسابيع وهو في السجن ، ونحـن لا نعلم عنه شيئا ، وانعقدت المحكمة ثلاث مـرات لمحاكمته ، ولم نسمع خبرا عن ذلك . وعذبوه ليعرفوا منه أين يوجد القائد . لكن هذا الولد الشجاع لم يقـل شيئا ، وقد حكم عليه بالإعدام أمس ، وفي صبـاح اليوم مضى ليلحق بالشيطان في عربة خاصة .

راتسمن : يا للعنة ! هل أخبر القائد بذلك ؟

اشفارتس : علم بالنبأ أمس . وهو يزبد من الغضب مثل الخنزير الوحشي . وانت تعلم أنه كان يقـدر رولر تقـديرا خاصا — وخصوصا بسبب حكاية التعذيب هذه . وقد وضعنا نحن حبالا وسلالم على أسـوار سجنه ، لكن عبثا . والقائد نفسـه اندس الى رولر بثياب راهب كبوشي ، وأراد ان يأخذ مكانه : لكن رولر رفض بإصرار وعناد . والآن أقسم القائد قسما أشاع الرعدة الباردة على البطن ، أقسم ان يشعل على شرفه شـعلة جنائزية لم يشعل مثلها في جنازة أى ملك ، وان يحمر

ظهورهم عقابا لهم . وأنا خائف على المدينة . إنه حانق عليها منذ زمان طويل لأنها مملوءة بالأتقياء المخيفين ، وانت تعلم انه حين يقول : سأفعل هذا ، فهو كما لو قال واحد منا : لقد فعلت هذا .

راتسمن : هذا صحيح ، فأنا أعرف القائد . لو كان أقسم للشيطان بان يدخل الجحيم ، فانه لن يصلي أبدا ، حتى لو استطاع ان يشترى نجاته بترتيل نصف صلاة « أبانــا الذى . . . » وا أسفاه ! رولر المسكين ! رولر المسكين

اشبيجلبرج : تذكر أنك ستموت ! لكن هذا لا يهزني .

(يدندن بأغنيــة)

عند التطلع في المشــانق
لا أغلقن ســوى اليمــين ،
واقول : وحـــدك تُشْنَقُ ،
مَنْ بيننــا مس الجنــونْ ؟

راتسمن : (منتفضا) اسمع ، حدث اطلاق نــار .

(طلقات نارية وضجــة)

اشبيلجبرج : مــرة أخــرى !

راتسمن : مــرة أخرى ! القــائد !

(يسمع غنــاء في خلف المسرح)

لا يشــنقن بنُرْنبيرْجْ
الا الذى قبضــوا عليه

(يُستأنف الغنــاء من البداية)

اشفيتسر ،

رولــر : (في خلف المسرح) هولا هو ! هولا هو !

راتسمن : رولر ، رولر ! أو ليأخذوني عشرة شياطين .

اشفيتسر،

رولـــر : (في خلف المسرح) راتسمن ! اشفارتس ! اشبيجلبرج ! راتســـمن !

راتسمن : رولـــر ! اشفيتسر ! بحق الرعد ، والصاعقة، والبرد، والنـــوء !

(يطـــيرون اليــــه)

(يصل اللص مـــورر راكبا فرسا) واشفيتسر ورولر ، وجـــرم ، وشفترله ، وعصابة اللصوص.

(يغطيهم الطـــين والتراب)

مور اللص : (واثبا من فرســـه) الحرية ! الحرية ! ها أنت ذا في أمان يا رولر ! أتيني بفرسي يا اشفيتسر واغسله بالخمر . (ينزل على الارض) كان الامر عسيرا !

راتسمن : (مخاطبا رولر) بحق كور بلوتو Pluto . لقـــد بعثت حيـــا من فوق العجلـــة ؟

اشفارتس : هل أنت شبحه ؟ أو أنا مجنون ؟ أو هو أنت حقا ؟

رولـــر : (مبهور النفس) إنه أنا ! بلحمي وعظامي ! كاملا ! من أين تظن أنني أتيت ؟

اشفارتس : السحرة وحدهم يعلمون . لقد كانت المشنقة منصوبة لك .

رولـــر : كانت منصوبة ، بل واكثر من هذا أنا قادم من المشنقة مباشرة . دعني أولا أسترد انفاسي . سيحكي لـــك اشفيتسر . أعطني كأسا من ماء الحياة ! وانت ايضـــا

يا مورتس قد رجعت ؟ كنت أظن أني سألقاك في مكان آخــر . اعطني اذن كأسا من ماء الحياة . عظامي لا يمسك بعضها بعضا أوه ! يا قائدى ! أين قائدى ؟

اشفارتس : فورا ، فورا ! لكن احك لي ! كيف تخلصت ؟ كيف استرددناك ؟ رأسي يدور . تقول انك قادم من المشنقة ؟

رولــر : (ينزل قارورة من ماء الحياة) آه ! هذا طيب ، هذا يحرق ! من المشنقة مباشرة ، أقول لك . ها أنت ذا تتطلع في الغربان ، ولا تستطيع ان تتخيل . لم أكـن الا على قيد ثلاث خطوات من السلم المقدس الــذى بواسطته سأعود الى حضن ابراهيم(٣٣) — قريبـا جدا ، قريبا جدا منه ! كنت بجلدى وشعرى موعودا به لقاعة التشريح . وكان سيكون في مقدورك شراء جلدى (بتلقيمة) من النشوق اني أدين للقائد بكـوني أتنفس ، بكوني حـرا وحيا .

اشفيتسر : اسمعوا الحكاية الهزلية . في العشية تنسمنا الخبر بواسطة جواسيسنا كان رولر في حيص بيص ، ولو لم تتدخل السماء في الوقت المناسب ، لكان عليه في الغداة — أى هذا اليوم — ان يسلك الطريق الذى سيسلكه كل مخلوق . وفي الطريق قال القائد : اى شيء لا نفعله من أجـل صديق ؟ سننفذه أو لن ننقذه ، لكن سنكون على الاقل اشعلنا على شرفه شـعلة جنائزية لم يشعل مثلها في جنازة أى ملك ، وسنكون قد حمرنا ظهورهم عقابا لهم . وعبئت العصابة كلها . وارسلنا الى رولر رسـولا : ينقل اليه كلمة السر في بطاقة يضعها في حسـائه .

رولـــر : كنت يائســـا من النجاح .

اشفيتسر : وانتظرنا حتى تكون كل المسالك مفتوحة . ان المدينة كلها هرعت لمشاهدة الامر ، فرسانا ومشاة ، وسمع من بعيد ضجيج العربات والصياح والغناء أمام المشنقة . والآن ، هكذا قال القائد ، احرقوا ، احرقوا ، احرقوا ! فطار الفتيان طيران الأسهم ، وأشعلوا النار في كل أرجاء المدينة ، وألقوا بالفتائل المشتعلة في نواحي برج البارود ، والكنائس والأجران . ولم يمض غير ربع ســاعة حتى كانت الريح الشمالية الشرقية — ولا بد أنها هي الأخرى حانقة على المدينة — قد هبت لنجدتنا على أشـــد ما يكون ، وساعدت الحـــرائق على الوصول الى أعلى الذرى . أما نحن فإننا في تلك الاثنـــاء عدونا من شارع الى آخـــر كالفوريات ! النار ! النار ! في كل المدينة ، صراخ ، عـــويل ، صيحات ، ضجيج . وبدأت الاجراس تقرع ،وانفجر برج البارود ، وكأن الارض انشقت عن وسطها ، وتغطت السماء ، وغاص الجحيم بمقدار عشرة آلاف ذراع في أسفل .

رولـــر : هنالك عاد موكبي أدراجه . وكانت المدينة ماثلة هناك كأنها ســـدوم وعمورة . كان الافق كله شعلة متقدة، وكبريتا ودخانا ، وأربعون جبلا حواليها يرجعـــون صدى هذه المهزلة الجهنمية ، وجندل الخوف جميـــع الناس على الأرض . وانتهزت اللحظة المناسبة ،وبسرعة الريح تخلصت من قيودى — لقد كنت قريبـــا جدا من

المشنقة ! — ورفاقي . مثلهم مثل امرأة لوط . تأملوا متحجرين مبهوتين ، وعدوت ، وزاحمت الحشد ، وهربت . وعلى بعد ستين خطوة من هناك خلعت ملابسي ، والقيت بنفسي في النهر . وسبحت بين مائين الى أن قدرت أن أحدا لا يراني . وكان قائدى مستعدا بخيول وملابس ، وهكذا نجوت سالما . مور ! مور ! ليتك تقع عن قريب في ورطة . حتى استطيع ان أرد لك هذا الجميل .

راتسمن : هذه امنية جاهل تستحق من اجلها ان تشنق ! لكن هذه كانت ضربة مهلكة .

رولر : جاءت النجدة في اوانها . انت لا تستطيع ان تعرف . لابد ان تكون قد مشيت سليم الصحة الى القبر ، مثلى ، والحبل في العنق ، وكل هذه التجهيزات ومراسم التعذيب ، وعند كل خطوة تخطوها قدمى المرتعدة تقترب من الآلة اللعينة شيئا فشيئا . حيث كان من المقرر وضعى فيها من اجل صعودى ، في لألاء هذا الفجر الرهيب ، وخدم الجلاد وهم ينتظرون ، وتلك الموسيقى المروعة ، التى لا ازال اسمعها في اذني ، ونعيب الغربان الجائعة ، نعيب ثلاثين غرابا متعلقة بمن سبقنى وقد تعفن نصف تعفن ، نعم ، هذا كله ، وبالاضافة اليه المذاق المبكر للسعادات الابدية التى تنتظرني ! يا اخ ! يا اخ ! وفجأة الحرية . لقد كانت ضربة كما لو كانت حلقة من البرميل السماوى قد انفجرت . اسمعوا ، يا اوغاد ، اقول لكم :

لو خرج المرء من فرن ملتهب وقفز في ماء متجمد لما احس بمثل الفارق الذى احسست به انا حين كنـــت على الشاطىء الآخـــر .

اشبيجلبرج : (ضاحكا) يامسكين ! الآن انتهى الامر . (يشرب على صحته) على بعثك السعيد !

رولـــر : (يرمى كأسه) كلا ، بحق كل كنوز مامـــون (٣٤) Mammon لا اود ان ارى هذا مـــرة اخرى . ان الموت امر اكثر من وثبة بهلوان ، والخوف من الموت اسوأ من الموت نفسه .

اشبيجلبرج : وبرج البارود الذى انفجر . الان ، يا راتسمن ؟ هذا هو السبب في ان رائحة الكبريت كانت تعبىء الجو الى مسافة فراسخ حوالى المدينة كما لو كان مولوخ (٣٥) Moloch قد قذف في الهواء بكل ثيابه. ضربة المعلم هذه ، يا ايها القائد ، تجعلني اغار منك .

اشفيتسر : ما دامت المدينة كانت فرحة لإعدام رفيقنا كما لـــو كان خنزيرا وحشيا ، فلماذا — بحق الجلاد ! — يتورع المرء عن تفجير كل المدينة من اجل رفيقنا ؟ ومـــن ناحية اخرى ، فان رجالنا كان من حظهم ان ينهبوا املاك الامبراطور العجوز . خبروني : ماذا نهبتم ؟

احـــد
اللصوص : اثناء الاضطرابات انزلقت الى كنيسة القديس اصطفن وانتزعت كنارات مفرش المذبح ، قائلا لنفسى : الله غنيٌ ، ويقدر ان يخلق من الدوبارة خيوطا من ذهب .

اشفيتسر : احسنت صنعا . فما الداعى الى هذه الثياب الزاهية في كنيسة ؟ انها تقدم الى الخالق ، الذى يسخر من كل هذه الترهات ، ويدع مخلوقاته يموتون جوعا . وانت يا اشبانجيلر Spangeler اين القيت شبكتك ؟

لص ثان : بوجل Bugel وانا نهبنا مخزنا واخذنا اقمشة تكفى لخمسين من رجالنـــا .

لص ثالث : سرقت ساعتين ذهبيتين واثنتى عشرة ملعقة من الفضة.

اشفيتسر : حسن ، حسن . وسيقضون خمسة عشر يوما في اخماد النار التي اشعلناها . واذا ارادوا محاربة الحريق ، فلابد لهم من اغراق المدينة . الا تعلم ، ياشوفترله ، كـم عدد الذين ماتوا ؟

شوفترله : ثلاثة وثمانون ، فيما يقال . برج البارود وحده احال ستين منهم الى تراب .

مـــور : (بكل جد) يارولر ، انت كلفت ثمنا غاليـــا .

شوفترله : ياه ! ياه ! وما اهمية هذا ؟ نعم ، اذا تعلق الامـــر برجال . لكنهم لم يكونـــوا غير اطفال في قمـــط يوسخون لفائفهم ، ونسوة عجائز سلفعات كن هناك ليطردن الذباب عنهم ، وشيوخا هرمين جافـــين مقعدين ، نسوا ، لطول مكوثهم الى جوار الموقـــد ، الطريق الى الباب ، ومرضى يطالبون نائحين بحضـــور الطبيب لكنه كان قد تبع الصيد بالكلاب ، راكضا كعضو شيوخ . وكل الذين لهم سيقان سريعة قد جروا لمشاهدة الكوميديا ، ولم تبق الا عكارة المدينة لحراسة البيـــوت .

مـــور : اوه ! هؤلاء المساكين ! تقول : المرضى ، والشيوخ، والاطفـــال ؟

شوفترله : نعم ، الى الشيطان ! ووالدات وضعن ، ونســـــوة حبليات خشين الاجهاض لدى رؤية المشنقة ، ونسوة شابات فزعن من اطالة النظر الى المسرحية الصغـــيرة التي كان يمثلها الجلاد ، ومن وسم الاجنة الذيـــــن يحملنهن في بطونهن بميسم المشنقة ، والشعراء المساكين الذين لم يكـــن لديهم احذيـــة يلبسونها لانهم اعطوا للاسكافي الحذاء الوحيد الذى يملكه كل واحد منهم — واوغاد آخرون ، ممن لا يستحقون الذكر . ومررت بالصدفة امام تخشيبة ، فسمعت صيحات ، فتطلعت في داخلها ، فرأيت على ضوء الحريق ؟ رايت طفلا على الارض لا يزال سليما تحت المنضدة ، وكانـــت المنضدة بسبيلها الى الاشتعال فقلت : ياله من مسكين صغير ، انت تتجمد من البرد هنا ، فالقيت بـــه في النيران .

مـــور : صحيح ياشوفترله ؟ فلتحرق هذه النيران قلبـــك الى الابد ! امش ، ياوحش ! لا تظـــهر بعـــد الان في عصابتنا . — اتتهامسون انتم الاخرون ؟ أتتشاورون ؟ من يتشاور ، حين آمر انا ؟ فليذهب اقول انا . بينكم آخرون ناضجون لغضبي . انا اعرفك يا اشبيجلبرج . لكني ساحضر الى صفوفكم عما قريب من اجـــــل اجراء تفتيش رهيب .

(يخرجون مرتعشين . مور وحده في غاية الاضطراب. يغدو ويروح)

لا تصغ اليهم ، ايها المنتقم في السماء ! ماذا استطيع ان افعل انا ؟ وماذا تستطيع انت ، اذا كان الطاعـون ، والمجاعة ، والفيضانات — هذه البلايا التى ترسلهـا تهلك العادل مع الشرير على السواء؟ من ذا يقدر ان يأمر النيران الا تدمر المحصولات المباركة ، حينمـا حينما ترسل لتدمير عش الدبابير ؟ العار لقاتل الطفل ، ولقاتل المرأة ، ولقاتل المريض ! ان هذه الجـرائم ترهقني . لقد افسدوا اجمل افعالى . ان الولد الذى كان يتباهى باللعب بصولجان جوبيتر ها هو ذا ، محمرا خجلا ومسربلا بالازدراء في نظر السماء ، لا يقضي الا على اقزام بدلا من العمالقة الذين كان عليـه ان يحطمهم . اذهب ، اذهب ! انت لست الرجل الجدير بان يحمل خنجر قصاص المحكمة السماوية ، لقـد سقطت لدى الضربة الاولى . اني اتخلى عن خطـتي المغرورة ، واريد ان اختبيء في كهف يتزاور عنـه النور امام عـارى .

(يريد ان يهرب)

اصوص : (بسرعة) حذار ، ايها القائد ! ان الغابة مسكونـة بالعفاريت . وفرق كاملة من فرسان بوهيميا يجتاحون الغابات . لابد ان الشيطان قد تجسس علينا .

لصوص جدد: ايها القائد ، ايها القائد ! لقد عثروا على اثرنا ، من كل الجوانب عدة آلاف منهم يكونون نطاقا حول الغابة .

لصوص جدد: ياويلتاه ، ياويلتاه ، ياويلتاه ! هانحن اولاء قد امسك بنا ، ووضعنا في العجلات ، وشدتنا اربعة خيول . آلاف من الهوسار والدراجون والمطاردين قادمون ركضا ، بلغوا الرابية ، لقد احتلوا المداخل .

(مور يخرج)

اشفيتسر ، جرم ، رولر ، اشفارتس ، شوفترله ، اشبيجلبرج ، راتسمن ، عصابة من اللصوص

اشفيتسر : هل أخرجناهم من السرير ؟ افرح يا رولر . منذ وقت طويل وانا أتمنى ان أتشاجر مع هذه السراويل الجلدية . أين القائد ؟ هل احتشدت كل العصابة ؟ هل عندنا الكفاية من البارود ؟

راتسمن : عندنا كمية من البارود . لكن مجموع رجالنا ثمانون ، أى واحد ضد عشرين .

اشفيتسر : هذا أحسن . ليكونوا خمسين ضد ظفرى الكبير ! لقد انتظروا حتى نشعل القش تحت مؤخراتهم ! يا إخوان ، يا إخوان ! لا خطر هناك — انهم يخاطرون بحياتهم في مقابل عشرة فلوس ، بينما نحن نناضل من أجل حياتنا وحريتنا . سننقض عليهم كالطوفان ونهوى على رؤوسهم كالصاعقة ، لكن أين القائد ؟

اشبيجلبرج : لقد تركنا ونحن في هذه المحنة . ألا نستطيع ان نفلت ؟

اشفيتسر : نفلت ؟

اشبيجلبرج : أوه ! لمـاذا لم أبق في أورشليم ؟ !

اشفيتسر : بودى ان أراك تختنق في مستنقع القاذورات . أيهـا النذل ! أمام الراهبات العاريات تفتح أشداقا واسعة . لكن حين ترى قبضتي يدى — أيها الرعديد ، اكشف عن نفسك الآن ، حيث سيخيطونك في جلد خنزيرة ويلقون بك الى الكلاب .

راتسمن : القـائد ، القـائد !

مـور : (ببطء ، مخاطبا نفسه) بسبب غلطتي ها هم اولاء محاصرون تمـاما ، والآن لا بد من خوض معـركة ميئوس منها . (بصوت عال) يا أولادى . الأمـر جد ! ضعنا ، أو علينا ان نقاتل مثل الخنازير البرية الجريحـة .

اشفيتسر : آه ! سأمزق بطونهم بأنيابي ، وستخرج احشاؤهم فورا بطول قـدم . مـر ، يا أيها القائد . ونحـن نتبعك حتى بين فكي الموت .

مـور : عمروا كل البنادق ! ألا يعوزنا بارود ؟

اشفيتسر : (واثبـا) لدينا من البارود ما يكفي لجعل الارض تقفـز الى القمر .

راتسمن : كل واحد قد عمـر خمسة أزواج من المسدسات ، وثلاث بندقيات .

مـور : حسن ، حسن ! ليتسلق بعضنا الاشجار أو ليختبئوا في الادغال ، وليطلقوا عليهم الرصاص وهم مختبئون !

اشفيتسر : هذه مهمتك يا اشبيجلبرج .

مـــور : ونحن الآخرين ، سننقضّ عليهم كالفوريات من الجوانب .

اشفيتسر : سأكون من بين هؤلاء ، أنا .

مـــور : وفي نفس الوقت كل واحد يصفر ، ويجرى في كل اتجاه خلال الغابة ، ليبدو عددنا أشـــد تخويفا ، ولا بد ايضا من إطلاق كل الكلاب وتحريشها عليهم حتى يتشتتوا ويقعوا تحت نيراننا . ونحن الثلاثة : رولر ، واشفيتسر ، وانا ، نخوض غمار المعركة .

اشفيتسر : عظيم ! ضربة معلم ! سننقض عليهم كالصاعقة ، ولن يعرفوا من أين تتلقفهم الضربات. وقبل ان يعرفوا ذلك ، سأكون قد أسقطت الكريز من أفواهم .فليأتوا اذن !

(شوفترله يسحب اشفيتسر من كمـــه ، واشـــفيتسر ينتحي بالقائد جانبا ، ويحادثه بصوت خفيض)

مـــور : اســـكت .

اشفيتسر : ارجـــوك —

مـــور : إمش ! فليشكر عاره ، فهو الذى أنقذه . ينبغي ألا يموت ، حين نمضي نحن : أنا ، واشفيتسر ورولر ، الى الموت . اجعله يخلع ملابسه ، وسأقول انه مســـافر قـــد جردته من ثيابه . هـــدوءا يا اشفيتسر ! أنـــا واثقٌ انه سينتهي أمـــره بالشنق .

(راهب يتقـــدم)

الراهب : (مدهوشا) أهذا مأوى اللصوص ؟ اسمحوا لي يا سادة ! أنا خادم للكنيسة ، وهناك ألف وسبعمائة رجل يراقبون كل شعرة في رأسي .

اشفيتسر : مرحى ، مرحى ! حسن جدا ، لجعل بطنك دفيئة

مور : اسكت يا رفيق ! تكلم بايجاز ، يا أب ، ماذا تفعل ها هنا ؟

الراهب : ارسلتني المحكمة العليا التي تحكم بالموت والحياة . انتم لصوص ، ومشعلو حرائق ، وقتلة ، وأوغاد ، أنتم جنس سام من الأفاعي التي ترحف في الظلام وتلسعون وأنتم في مخابئكم ، أنتم نفاية الإنسانية ، أنتم أبالسة الجحيم ، أنتم طعام موعود به للغربان والدود ، أنتم زبائن المشانق والعجلات .

اشفيتسر : يا كلب ! اسكت وتوقف عن شتمنا ، والا —
(يهدده بضربة عصا)

مور : ألا تخجل يا اشفيتسر ؟ لقد قطعت عليه خطبته . لقد حفظ موعظته جيدا عن ظهر قلب ، استمر ، ياسيدى ! المشانق والعجلات —

الراهب : وانت أيها القائد اللطيف ، يا دوق قاطعي أكياس النقود ، يا ملك الأوغاد يا خاقان كل السفلة تحت الشمس ! أنت شبيه بالعاصي الأول الذى جر الى نار العصيان ألف فيلق من الملائكة الأبرياء واجتذبهم إليه في هاوية العذاب ، ان صرخات الأمهات اللواتي قتلت أولادهن تطاردك ، أنت تشرب الدم شربك

المـــاء ، وحياة الانسان لا تساوى أكثر من فقاعات الهواء أمام خنجرك القتال .

مـــور : هذا صحيح جدا ، صحيح جدا ، استمر . ماذا ، يا سيدى ؟ ألم تتوقع هذا قطعا ؟ استمر ، استمر ، ماذا تريد ان تقول ايضا ؟

الراهب : (بحماسة) أيها الانسان البغيض . سحقا لك ، اغرب عن وجهي ! ألا يتقطر دم الريشسجراف المقتول من بين أصابعك اللعينة ؟ ألم تقتحم ، بيديك ، يـــدى اللص ، هيكل الرب . وبسفالة سرقت الاواني المكرسة للافخارستيا ؟ ماذا ؟ ألم تلق بشعلات الحريق في مدينتنا التقية ؟ ألم تفجر برج البارود على مسيحيين طيبـــين ؟ (وقد ضم يديه) جرائم فظيعة ، رهيبة . تصـــاعد رائحتها الكريهة الى السماء ، وتسلح ذراع الربوتنزل عليك العقاب . ان العقاب قريب ، وسيأتي عند النداء الأخير

مـــور : موعظة رائعة حتى الآن . لكن ، خبرني : أى تبليـــغ حملتك اياه المحكمة المحترمة جدا فيما يتصل بي ؟

الراهب : ما لم تكن جديرا أبدا بأن تبلغ به . انظر حواليك ، أيها القاتل المشعل للحرائق . الى أى مدى يمكن ان يصـــل اليه بصرك ، تجد نفسك محاصرا بقواتنا — ولا مجال لك أبدا للإفلات . الكريز سينمو على اشجار السنديان هذه . أشجار الصنوبر ستثمر خوخا قبل أن تستطيعوا ان تديروا لقواتنا ظهوركم من أجل الهرب ســالمين .

مـــور : هل سمعته يا اشفيتسر ؟ لكن استمر .

الراهب : اسمع إذن بأية طيبة وكرم نفس تسلك المحكمة تجاهك ، أيها الشرير . اذا جثوت عند قـــدم الصليب فـــورا التماسا للمغفرة والرحمة ، فان الشفقة ستحل محـــل الشـــدة معك ، وستكون لك العدالة بمثابة أم مـــلأى بالحنان . فكر ! انها ستغلق عينيها حتى لا ترى نصف جرائمك وستكتفي بوضعك في العجلة .

اشفيتسر : هل سمعت أيها القائد ؟ أمن الواجب ان نخنق حـــلق كلب الراعي هذا الجيد التدريب ، ونخرج دمـــه من كل مســـام بدنه ؟

رولـــر : أيها القائد ، عاصفة ، رعد ، جحيم ! أيها القائد ألم تر كيف يعض على شفته السفلى ! أما ينبغي ان نجندل هذا الرجل كالعود ومؤخرته في الهواء تحت قبـــة السماء ؟

اشفيتسر : عليّ به ، عليّ به ! أيجب عليّ ان أركع واسقط عند قدميك من أجل أن تترك لي لذة سحقه مثل لحم الكعك؟

(الراهب يصرخ)

مـــور : اتركوه ! لا يسمحن أحد لنفسه بأن يمســـه . (مخاطبا الراهب ، ومشهرا سيفه) انظر أيها الأب ! ان لـــدى ها هنا تســـعة وسبعين رجلا أنا قائدهم ، ولا واحد منهم يعزف ان يطير بشارة أو يناور في القيادة ، أو يرقص على صوت المدفع ، وفي مواجهتنا ، يوجـــد الف وسبعمائة جندى شابوا تحت البندقية . . لكن اسمع ما يقوله لك مور ، قائد مشعلي الحرائق والقتلة . صحيح انـــي قتلت الـــريشسجراف Reichsgraf

واحرقت ونهبت كنيسة القديس دومينيك ، والقيت بالشعلات المحرقة في مدينتكم المملؤة بالأتقياء ونسفت برج البارود ، على رؤوس مسيحيين طيبين ، لكن ليس هذا بعدُ كلَّ شيء . لقد فعلت أكثر من هذا . ألا ترى الخواتم الأربعة الثمينة التي ألبسها في إصبعي ؟ (يقدم يده اليمنى) اذهب وقــدم تقريرا مفصلا إلى السادة قضاة المحكمة العليا عن كل ما شاهدت وسمعت هذا الياقوت الأحمر اخذته من وزير قتلته ذات يوم أثنـــاء الصيد عند قدمي أميرة . بالتملق خرج من عكارة الشعب ليصعد الى مرتبة أول محظي ، وسقوط جاره كان التكأة التي استند اليها للصعود الى المجـــد ، ودموع اليتامى استخدمت في صعوده ــ وهذا الماس ، انتزعته من مستشار للمالية كان يبيع ، لمن يدفع أكثر ، المناصب والتشريفات طاردا من أمام بابه الرجل الوطني المنكوب . ــ وهذا العقيق أنا أحمله على شرف راهب من نوعك خنقته بيدى لأنه بكى وهو على المنـــبر على اضمحلال محاكم التفتيش . وفي وسعي الاستمرار في قص حكاية خواتمي ، لولا أني أسفت على أني بددت معك هذه الكلمات .

الراهب : يا لك من فرعون ، يا لك من فرعون !

مـــور : هل سمعتموه ؟ هل لا حظّم هذه الزفرة ؟ أليس هو ها هنا كما لو كان يريد ، بصلواته ، ان يجلب نــار السماء على قبيلة كوراه(٣٦) ؟ انه يحكم بهـــزةمن كتفيه ، ويدين بزفرة ! هل يمكن ان يكون الانسان

أعمى الى هذا الحد ؟ وهو الذى يملك مائة عــين أرجوسية (٣٧) كيما يرى القذاة في عين أخيه ، هــل يمكن ان يعمى الى هذا الحد فيما يتعلق بنفسه ؟ هؤلاء الناس يتغطون بالغيوم ويرددون كلمات العذوبةوالصبر ويقدمون الى الله الذى هو محبة أضاحي انسانية كما لو كان هو مولوخ ذو الاذرعة النارية ، ويعظون بحب القريب لكن لعناتهم تطرد من عند أبوابهم الاعمى الذى بلغ الثمانين ، ويرعدون ضد البخل ، لكنهم أهلكوا سكان البيرو (٣٨) Perov من أجل الحصول على سبائك الذهب ، وجعلوا غير النصارى يجــرون عرباتهم كما لو كانوا دواب جــر . ويحطمــون رؤوسهم ليعرفوا كيف تيسر للطبيعة ان تلد رجــلا مثل يهوذا (٣٩) ، وكل واحد منهم ، دون أن يكون شرهم ، في وسعه ان يبيع الله ذا الاقانيم الثلاثة لقـــاء عشر قطع من الفضة . يا أيها الفريسيون ! يا مــزيفي نقود الحقيقة ، يا قــردة الالوهية ! أنتم لا تخشــون ان تركعوا أمام الصليب والمذبح ، وتمزقون ظهوركم بسياط الرياضات ، وتميتون أجسادكم بالصــوم ، فتتصورون أنكم ، بهذه الألاعيب تخدعون من تدعونه ، حتى في جنونكم ، الله العليم بكل شيء ، تمــاما كما يسخر المــرء سخرية شديدة المرارة من عظمــاء الارض حين يقول لهم متملقا أنهم يكرهون المتملقين ، وتتخذون حجة من فضيلتكم وسلوككم المثالي ، والله الذى يعلم السر وأخفى ، سيغضب على الخليقة ، لو لم

يخلق هو نفســه عجائب مخلوقات النيل . أبعــدوه عن نظرى !

الراهب : أيمكن شريرا ان يكون متعجرفا الى هذا الحــد ؟

مــور : هذا لا يكفي . الآن ستتكلم كبريائي وعجرفتي . اذهب وقل للمحكمة الموقرة التي تلعب لعبة الــنرد بالحياة والموت : انني لست اللص الذى يتآمر مع النوم والليل ، ويتباهى بالتسلق . ما فعلته سأقرؤه من غــير شك ذات يوم في الكتاب السماوى للديون ، لكني لا أريد أن اضيع كلمة واحدة مع نواب العدالة الالهية المساكين ، قل لهم ان الثأر شغلتي ، وان الانتقاممهنتي .
(يدير ظهره اليــه)

الراهب : اذن انت لا تريد العفو ولا المغفرة ؟ حسن ، لقــد انتهيت معك . (متوجها نحو العصابة) وانتم ،اسمعوا ما كلفتني به العدالة أن أقوله لكم : لو سلمتم فورا ومقيدا بالاغلال هذا المجرم المحكوم عليه ، فانعقاب جرائمكم سيرفع عنكم ، حتى آخــر ذكرى لــه ، والكنيسة المقدسة سترحب بكم في حضنها الأمومي بمحبة جديدة ، بوصفكم نعاجا ضالة ، وتدع الطريق مفتوحا لكل واحد منكم ليتخذ مهنة شريفة . (بابتسامة المنتصر) والآن ، والآن ! ماذا تقول في هذا جلالتكم ؟ بسرعة ! أوثقوه ، تكونوا أحــرارا .

مــور : أتسمعون ؟ أتسمعون ؟ لمــاذا تترددون ؟ فيم هــذا الارتباك ؟ انهم يعرضون عليكم الحرية . وفي الحقيقة أنتم الآن أسرى ، ويعرضون عليكم النجاة بحياتكم ،

اندفاع الشباب . أنا وحدى الذى يريدون ان يأخذوه ، أنا وحدى الذى يستحق أن يكفر عن سيئاته . أليس كذلك ، أيها الاب ؟

الراهب : ما اسم الجنّي الذى يتكلم هو بلسانه ؟ نعم ! أكيد ، أكيد ، الأمر هكذا ، ان هذا الرجل يشيع الدوار في رأسي .

مور : ماذا ، لا جواب حتى الآن ؟ هل تظنون انكم تستطيعون ان تتخلصوا من هذه الورطة بقوة السلاح ؟ انظروا حواليكم ، انظروا ، لا تفكروا في ذلك ، ستكون هذه ثقة صبيانية . أو تتباهون بالسقوط أبطالا ، لانكم رأيتموني مسرورا بالمعركة ؟ لا تعتقدوا هذا . انتم لستم مور . ما أنتم الا لصوص بائسون ، وأدوات بائسة لتنفيذ خططي الواسعة ، أنتم حقراء مثل الحبل في يد الجلاد . اللصوص لا يمكن ان يسقطوا في المعركة أبطالا . الحياة كلها مكسب للصوص ، لأن الآخرة تهديد مروع لهم . وللصوص الحق في الارتعاد أمام الموت . اسمعوا صوت أبواقهم ، وانظروا لمعان سيوفهم المهددة . ماذا ؟ لا تزالون مترددين ؟ هل أنتم مجانين ؟ هل فقدتم الوعي ؟ هذا امر لا يغتفر . لن أشكركم على إنقاذ حياتي ، بل أنا أشعر بالعار من تضحيتكم .

الراهب : (في غاية الدهشة) سأجن ، اذا لم أهرب . هل سمع بمثل هذا من قبل ؟

مور : أو تخشون ان أنتحر بطعنة خنجر ، فاسخا بهذا الفعل

الميثاق الذى يطلب تسليمي حيا ؟ كلا ، يا أولادى . هذا خوف لا مبرر له . هأنذا أرمي بخنجرى بعيدا ، هو ومسدساتي وقارورة السم التي قصد منها تخليصي من الورطات . اني بائس الى حد أني فقدت ايضا الحق في التصرف في حياتي . ماذا ، لا تزالون حيارى ؟ ربما تتوهمون انني سأدافع عن نفسي حين تريدون تقييدى ؟ انظروا سأربط يدى اليمنى بغصن الزان هذا . لا شيء يدافع عني ، وأى طفل يستطيع ان يجندلني . مَنْ أول من يتخلى عن قائده في المحنة ؟

رولــر : (باندفاع) حتى لو أحدق بنـا الجحيم بتسع حلقات ! (مشهرا سيفه) من ليس كلبا ، فلينقذ القائد .

اشفيتسر : (يمزق مرسوم العفو ويلقي بقصاصاته في وجه الراهب) العفو إنما يوجد في رصاصات بنادقنا . إمش ، أيهـا الوغد ، وقل لمجلس الشيوخ الذى بعث بك أنك لم تجد في عصابة مـور خائنا واحدا . أنقذوا ، انقـذوا القـائد !

الجميـع : (بضجة) انقذوا ، أنقذوا ، أنقذوا القائد !

مـور : (متخلصا بسرور) الآن نحن أحرار ، يا رفاقي ، إني أشعر بقوة جيش في قبضـة يدى . الموت أو الحرية ؟ على الأقل لن يظفروا بواحد منا حيـا .

(ينفخ في النفير للهجوم) . ضوضاء واضطراب . يخرجون وسيوفهم مشهرة)

الفصل الثالث

المنظر الاول

أماليـــا (في الحديقة ، تعزف على العــود)

رائعـــا مثـــل المـــلاك
بطـــلا في « الفـــالهلا" »
أجمـــل الفتيـــان طـــرا
كانت النظـــرة منـــه
شـــمس أيّارَ الجميلـــة
تتراءى في بحـــار اللازورد

وعنـــاقات للذيـــذة وعنيفـــة
واتفاق في القلوب ، بارتعـــاد وحـــرارة
شـــدت الأذان والأفـــواه ســـحرا
وأمام النظـــرات : الليـــالي
وتدور الـــروح علـــوا للســـماء

قبلات هي احســـاس بجنـــه
كعنـــاق بين شـــعلات لهيـــب
مثـــل أنغـــام لِهَـــرْب
في تلاحـــين الســـماء

وكـــلا الروحين طـــارا في جنـــون
وكـــلا الخـــدين والثغرين شـــبا في ارتعاش
غاصت الأرواح في الأرواح ، والأرض تداعـــت
والســـماء
حـــول ذيـــن العاشـــقين

قد مضى ، اواه ، لكن عبثـــا
تركض الزفـــرة في لوع وراءه
قد مضى لكن لذات الحيـــاة
تزفـــر الآهة في غير رجـــاء

فرانتس (يدخـــل)

فرانتس : ها انت قد غدوت حالمة عنيدة ؟ لقد تركت المأدبـــة خفية ، فافسدت بهذا سرور الضيوف .

اماليـــا : ياللخساره بالنسبة الى هذه المسرات البريئة ! لابد ان اذنيك مملؤتان بعد بالاناشيد الجنائزية التي صاحبـــت جنازة ابيك حتى القبر .

فرانتس : هل ستظلين في نواح الى الابد ؟ دعي الموتي يرقدوا ، وأسعدى الاحياء اتيت ـــ

اماليـــا : ومتى ترحـــل ؟

فرانتس : ياويلتاه ! اتركى هذه الطلعة الكئيبة المتكبرة ! انت تحزنيني يا اماليا . اتيت لاقول لك ـــ

اماليـــا : لابد ان اسمع من غير شك : فان فرانتس فـــون مور هو الان السيد الموقـــر .

فرانتس : نعم ، هذا صحيح ، واود ان اكلمك في هذا الشان . ان مكسمليان قد مضى ليرقد في قبر آبائه ، وانا السيد الآن . لكني اريـــد ان اكون السيد على نحـــو اتم ، يا اماليا . انت تعلمين مكانتك في بيتنا : لقد كنـــت تعتبرين بمثابة ابنة مور . ومحبته لك باقية حتى بعــــــد وفاته ، ولا شك انك لن تنسيه ابـــدا .

اماليـــا : ابدا ، ابدا . من ذا الذى يكون من الخفة بحيث يستقى النسيان من كؤوس النبيذ في مأدبـــة ؟

فرانتس : ينبغي ان تشملي الابناء بالمحبة التي شملت بها اباهم ، وكارل قد مات . اهذا يدهشك ؟ هل اصابك دوار . حقا ان هذه الفكرة هي من السمو والاغراء بحيـــث يدهش لها حتى كبرياء المرأة . ان فرانتس يطأ بقدميه آمال انبل الاوانس . فرانتس يقدم الى يتيمة مسكينة بدونه لاسند لها ــ يقدم اليها قلبه ويده وكل ذهبـــه وقصوره وغاباته . فرانتس ، الـــذى يحسده الـــكل ويخافونه ، يطيب له ان يعلن انه عبد اماليـــا .

اماليـــا : لماذا لا تأتي الصاعقة لتشق اللسان الدنيء الذى يتفـــوه بهذه الكلمات الاجرامية ؟ لقد قتلت من احببتـــه ، وعليّ بعد هذا ان ادعوك زوجا لى ! انت ــ

فرانتس : لا تغضبي كل هذا الغضب ، ايتها الاميرة المبجلـــة . صحيح ان فرانتس لا ينحني امامك كما ينحـــــــني سلادون (٤٠) وهو يتهدل . وصحيح انه لا يعرف ، مثل راعى اركاديا الولهان ، ان يرجع بصدى الكهوف

والصخور نواح اناته الغرامية . فرانتس يتكلم ، واذا لم يُجَبْ عليه ، فانه سيأمر بعد قليل .

اماليـــا : ياحشرة ، انت تأمرني ؟ تأمـــرني انا ؟ واذا كان جواب امرك ضحكة ازدراء واحتقار ؟

فرانتس : لن تفعلي ذلك . وانا اعرف وسائل قادرة على ان تحني كما يجب كبرياء مدعية صادرة عن عنيدة : الديـــر واســـواره !

اماليـــا : مرحى ، رائع ! وفي ذلك الدير ، وبين اســواره ، اتخلص الى الابد من نظرتك الافعوانية (٤١) ، ويكون عندي مايكفي من الفراغ للتفكير في كارل وحبـــه . ايها الدير ، مرحبا بك ، افتح لي ، افتح لي ابوابك !

فرانتس : آه ، آه ، صحيح ؟ حذار ، لقد علمتني الآن فـــن تعذيبك . ما عليّ الا ان اظهر ، مثل فورية ذات شعور من نار ، كيما اطرد من روعك هذا التفكير الدائم في كارل . ان صورة فرانتس المخيفة سترصد دائمـــا وراء صورة معشوقك ، مثل الكلب المسحور الذي يحرس خزائن الذهب تحت الارض . سأجرك مـــن شعرك الى الهيكل ، والسيف في يدي ، وسأنتزع من روحك قَسَم الزواج ، وسأقتحم عنـــوةً سريـــر بكارتك ، وسأتغلب على حيائك المستكبر بكبريـــاء اعظم منه .

اماليـــا : (تصفعه على وجهه) ابدأ باستلام البائنة !

فرانتس : (غاضبا) ستدفعين ثمنها آلاف الاضعاف . لـــن

تصبحي زوجتي ، لن تنالي هذا الشرف ، بل ستصيرين خليلتي ، وستشير اليك الفلاحات الشريفات بالاصبع ، اذا تجرأت على عبور الشارع . اصرفي باسنانـــك ، ولتندلع من عينيك نيران قاتلة ، ان غضب المـــــرأة يسليني . هذا يجملك ويجعلك مشتهاة اكثر فاكثر . تعالى ، مقاومتك ستكون العوبة انتصارى ، وتثيرين شهوة العناقات المغتصبة . تعالى الى غرفتي ، اني مشتعل شهوة ، تعالى فورا ، اني اريد ذلك :

(يريد ان يجرهـــا)

امالیـــا : (تقفز ممسكة برقبته) عفوا يا فرانتس ! (لما اراد ان يحضنها . انتزعت منه سيفه وقفزت الى الخلـــف) انظر ياسافل ماذا استطيع ان اصنع بك . ما انا الا امرأة لكني امرأة غاضبة . تجرأ على مس جسمي بحركـــة سافلة ، ينفذ هذا الحديد من صدرك الشهواني . ان روح عمي تقود يدي . اهرب فـــورا !

(تطـــرده)

آه ! كم انا مرتاحة ! الآن اتنفس بحرية ، واحس اني قوية كالفرس الذى تطلق سنابكه الشرر ، وكالنمرة التي تطارد خاطف اولادها الظافر الصارخ . في دير ، هكذا يقول . شكرا لك هذا الاكتشاف السعيد . الآن ، وجد الحب اليائس ملاذه : الدير . ان صليب المخلص هو مأوى الحب اليائس .

(تتهيأ للخروج)

هرمن (يدخل باستحياء)

هرمــن : ياآنسة اماليا ، ياآنسة اماليا !

اماليــا : ايها الشقى ، لماذا تزعجنى ؟

هــرمن : لابد لى من ان اخلص روحى من هذا الحمل قبل ان يجرها الى الجحيم . (يرتمى عند قدميها) عفوا ، عفوا ! لقد اسأت اليك كثيرا ، ياآنسة اماليا .

اماليــا : انهض ، امش . لا اريد ان اعرف شيئا .

(تريد ان تخــرج)

هــرمن : (يحتجزها) كلا ، ابقى ! بحق السماء ، قسمــا بالله السرمدى ! يجب ان تعرفى كل شىء .

اماليــا : ولا كلمة . عفوت عنك . اذهب في سلام .

(تتوجه مسرعة نحو الباب)

هــرمن : لا تسمعى الا كلمة واحدة . سترد اليك الهــدوء .

اماليــا : (عائدة الى الوراء ، ومتطلعة فيه بدهشة) كيــف ، ياصديقى . من هو الذى يستطيع ، في السماء او على الارض ، ان يرد الىّ الهــدوء ؟

هــرمن : كلمة واحدة تخرج من شفتىّ ستستطيع ذلك . اصغى الىّ !

اماليــا : (بلهجة متعاطفة ، وهى تمسك يده) ايها الرجــل الشهم ، كلمة واحدة تخرج من شفتيك يمكنها ان تفتح لى مغاليق الابدية ؟

هــرمن : (ناهضا) كارل حى .

امالیـــا : (صارخة) شـــقی !

هـــرمن : الامر هكذا . ثم كلمة اخرى . عملك —

امالیـــا : (مندفعة نحوه) انت تكذب .

هـــرمن : عمـــك —

امالیـــا : كارل حـــي ؟

هـــرمن : وعمـــك —

امالیـــا : كارل حـــي ؟

هـــرمن : وعمك ايضا . لا تفْشي سری .

(يخرج مسرعا)

امالیـــا : (تظل فترة كأنها متحجرة . ثم تقفز وتندفع وراءه) : كارل حـــي !

المنظر الثاني

على ضفـــاف الدانـــوب

اللصوص (معسكرين على رابية تحت ظلال الاشجار وخيولهم ترعى على الســفح)

كارل : هنا يجب علينا ان نتوقف . (يرمي بنفسه على الأرض) تكسرت أوصالي ، ولساني جاف كالطوب . (اشفيتسر يتركهم دون ان ينتبه اليه أحد) أردت ان أطلب منكم ان تذهبوا لجلب ماء من النهر في راحة أيديكم ، لكنكم جميعا متعبون حتى الموت .

اشفارتس : والخمـــر في قنانينا نفـــد .

كارل : انظروا اذن الى السفح الجميل ! تكاد الشجيرات تنحني تحت ثمارها ، والكروم تبشر بكل الآمال .

جـريم : سيكون المحصول جيدا هذا العام .

كارل : تعتقد ؟ سيكون هذا العرق قد نال جـزاءه في العالم . عرق واحد ؟ لكن البَرَد يمكن أن يسقط ذات يـوم ويقضى على كل شيء .

اشفارتس : ممكن جدا . يمكن أن يدمر كل شيء قبل الحصـاد بثلاث ساعات .

كارل : هذا هو ما أقوله . سيدمر كل شيء . لمـاذا يفلح ما حاكى فيه الانسان النمل ، بينما يخفق ما يجعلـه مساويا للآلهة ؟ أو هذا هو حد مصيره ؟

اشفارتس : لا أدرى .

كارل : لقد أصبت القول ، وخيراً فعلت حين لم تطلب أبداً أن تعرف ! يا أخ ، لقد رأيت الناس وهمومهم التي تشبه هموم النحل ومشروعاتهم العملاقة وخططهم ومشاغلهم الجرذانيه ، وهذا السباق الغريب جداً نحو السعادة . فهذا يثق بركضة فرسـه ، وذاك بشم حماره وثالث بساقيه ــ لعبة الحياة المتعددة حيث يراهن الناس ببراءتهم وخلودهم ابتغاء الظفر بالجائزة الاولى في اليانصيب ــ وفي نهاية المطاف النتيجة صفر : لم تكن هناك جائزة أولى . انه منظر ، يا أخ ، يستدر الدموع من مآقيك ، ويبسط حجابك الحاجز للاغراق في الضحك .

اشفارتس : ما أروع مغيب الشمس !

كارل : (مستغرق في التأملات) هكذا يموت البطل . منظــر رائــع !

جــريم : يبــدو عليك أنك متأثر جدا .

كارل : حينما كنت لا أزال صبيا صغيرا ، كانت هذه فكرتي المحبوبة : أن أحيا واموت مثل الشمس ! (كاظما آلامه) كانت هذه فكرة صبي صغير .

جــريم : هــذا ما أرجــوه .

كارل : (مسدلا قبعته على وجهه) مضى زمن – دعوني وحدي يا رفاقي !

اشفارتس : مور ! مور ! ماذا دهاك ! انظروا كيف تغير لونه !

جــريم : يا للأبالسة ! ماذا حدث له ؟ هل أصابه ســوء ؟

كارل : مضى زمن لم أكن أستطيع فيه أن أنام إذا نسيت صلاتي في المســاء .

جــريم : هل أنت مجنون ؟ أتدع ذكريات طفولتك تتحكم فيك ؟

كارل : (واضعا رأســه على صــدر جريم) يا أخ ، يا أخ !

جــريم : كيف ؟ لا تكن طفلا ، أرجوك .

كارل : آه ! ان أكون طفلا ، ان أعود طفلا !

جــريم : تبــا ! تبــا !

اشفارتس : كُفَّ عن الاغتمام ! تأمل هذا المنظر الخلاب ، وهذا المســاء الحلو .

كارل : نعم ، يا أصدقائي ، العالم جميل جدا .

اشفارتس : الآن أحســنت الكلام .

كارل : الأرض رائعــة .

جــريم : حقا ، حقا . ويللذلي ان اسمع هذا منك .

كارل : (تاركا نفسه يسقط على ظهره) وانا ، انا قبيح جدا في هذا العالم الجميل ، انا وحش على هــذه الارض الرائعــة .

جــريم : ياويلتاه ، يا ويلتــاه !

كارل : براءتي ، براءتي ! انظروا ، كل الناس خرجــوا ليستدفئوا على اشعة الربيع الخيرة . فلماذا يجب عليّ انا وحدي ان استقي من مسرات السماء آلاما جهنمية؟ الكل سعداء ، تؤاخي بينهم روح السلام . ما العــالم كله الا اسرة واحدة ، ابوها هناك في الاعالي ، لكنه ليس ابي انا . انا وحدي منبوذ ، مطرود من زمــرة الاطهار ، انا وحدي لاحق لي في اسم الطفولةالعذب ، ولا في النظرة المليئة بالشهوة من عيون الحبيبة . ابدا ، ابدا لم يعد لي حظ في قبلات حبيب قلبي . (يتراجع الى الوراء بسيماء متوحشة) يحيط بي قتلة ، وتلتــف حولي افاع صافرة ، وتقيدني الى الرذيلة قيود حديدية ، لا يسندني الا اليراع المترنح للرذيلة على حافة هاويــة الخسران ، مثلي ، وسط ازهار عالم السرور هــذا ، مثل ابا دوناي (٤٢) يبكي وينوح .

اشفارتس : (مخاطبا الآخرين) لا افهم في الامر شيئا ، اني لم اره ابدا على هذه الحــال .

كارل : (بحزن) اوه ! الا ليتني عدت الى بطن امي ! الا ليتني اولد من جديد على شكل شحاذ ! كلا ، بل التمس اكثر من هذا اينها السماء ! ان اكون واحدا من هؤلاء العمال باليومية ! اود ان استهلك نفسي بالالم والمشقة ، حتى يتفجر الدم من اصداغي — ابتغاء الظفر بلذة قيلولة هادئة ، وسعادة دمعة وحيدة .

جريم : (مخاطبا الآخرين) صبرا ، لقد تجاوزت الازمة ذروتها .

كارل : كان ثم زمان كنت فيه سريع الدموع . ايه ايتها الايام الساخنة ، ايه ياقصر ابي ، ايه ايتها الاودية المخضوضرة الحالمة ، ايه ايتها المناظر الفردوسية في ايام طفولتي ! هل تعودين ابدا ، ابدا لتنعشي بهمسك الرقيق صدري المشبوب ، شاركيني في حدادي ايتها الطبيعة ! انها لن تعود ابدا ، ابدا لتنعش بهمسها الرقيق صدري المشبوب . لقد مضت ، مضت الى غير عودة .

(اشفيتسر محضرا ماء في قبعته)

اشفيتسر : اشرب ، ايها القائد ، ها هو ذا ماء ، ماء كاف ، بارد كالثلج .

اشفارتس : لكن الدم ينزف منك . ماذا فعلت ؟

اشفيتسر : يا صاحبي ، مزاج كاد ان يكلفني ساقي وعنقي . لما انحدرت على صخور الرمل عند شاطىء النهر ، انهار الرمل تحتي ، ووجدت نفسي انزل عشر اقدام الى

اسفل ، وبعد ان استعدت وعيى رأيت في الحصى ماء صافيا جدا . كفاني هذه الرقصة هذه المرة ، هكـذا قلت لنفسى ، ان القائد سيستطيبه .

كارل : (معيدا اليه قبعته وماسحا وجهه) حين تلبس هـذا القبعة فان الندوب التي تركها فرسان بوهيميا عـلى جبينك لا تظهر . كان ماؤك طيبا يا اشفيتسر ، هذه الندوب لائقة عليك .

اشفيتسر : ياه ! لا يزال هناك متسع لثلاثين ندبة أخرى .

كارل : نعم ، يا اولادى ، لقد كانت امسية ساخنة ، لم يفقد فيها غير رجل واحد — لقد مات رولر ميتة جميلـة لو كان قد مات من اجل شخص آخر غيرى ، لأقيم نصب من المرمر على عظامه . فلتقنع بهذا . . (يمسح عينيه) كم من الاعداء سقطوا في المعركة ؟

شفيتسر : مائة وستون هوسارا ، وثلاثة وتسعون دراجـونا ، وحوالى اربعين مطاردا ، وفي الجملة ثلثمائة .

كارل : ثلثمائة في مقابل واحد فقط ! لكل واحد منكـم حقوق على هذا الرأس (يكشف عن رأسه) اني ارفع امامكم خنجرى . قسما بروحى ، لن اترككم ابدا .

اشفيتسر : لا تقسم ، انت لاتدرى انك ربما عدت سعيدا ، وانك قد تندم على قسمك .

كارل : قسما ببقايا رولر العزيز ! لن اترككم ابدا .

كوزنسكى (يدخل)

كوزنسكى : (مخاطبا نفسه) قيل لى اني سأجده في هذه النواحى .

هى ، هولا ! اية وجوه ! هل ! كيف ؟ نعم . انهم هم ، انهم هم ، سأغدو للتكلم معهم .

اشفارتس : حذار ! من هناك ؟

كوزنسكى : يا سادة ، عفوا . لست ادرى هل انا على الطريق الصحيح اولا .

كارل : ومن ينبغى ان نكون حتّى تكون على الطريق الصحيح؟

كوزنسكى : رجال .

اشفيتسر : ألم نبرهن على هذا ايها القائد !

كوزنسكى : اني ابحث عن رجال يواجهون الموت . ويدعون الخطر يتلاعب من حولهم كأنه ثعبان مستأنس . ويؤثرون الحرية على الشرف وعلى الحياة . ويكون اسمهم وحده ــ وهو اسم يرحب به الفقراء والمضطهدون ــ قادرا على ان يشيع الجبن والخوف في قلوب اشجع الشجعان وعلى ان يرسل الشحوب على وجوه الطغاة .

اشفيتسر : (مخاطبا القائد) هذا الولد يعجبنى . اسمع . ياصاحبى ، لقد وجدت رجالك .

كوزنسكى : هذا ما اعتقده . وارجو ان يكونوا عما قريب اخواني . تستطيعون ان تدلوني على رجلى الكونت العظيم فون مور .

اشفيتسر : (مصافحا اياه بحرارة) : يا فتاى العزيز ، لنرفـع التكلف فيما بيننا .

كارل : (مقتربا) اتعرف اذن القائـد ؟

كوزنسكي : انه انت . بهذه السيماء . من ذا الذى يراك فيبحث عن غيرك ؟ (يُحِدّ النظر فيه طويلا) كنت اتمنى دائما ان ارى الرجل ذا النظرة الساحقة جالسا على اطـلال قرطاجة . . الآن . انا لا اريد ذلك .

اشفيتسر : ياولـــد !

كارل : وماذا جاء بك ؟

كوزنسكي : ايها القائد ! مصيرى الذى هو اكثر من قاس . لقـد غرقت بي السفينة على البحر العاتي لهذا العالم ، وكان عليّ طوال حياتي ان اشهد مصرع آمالى ، ولم يبق لى الا الذكرى المدمرة ، ذكرى ضياعها ، وسأجن اذا لم اسع الى خنقها بنوع آخر من النشاط .

كارل : هذا شخص آخر يتهم الالوهية . استمر .

كوزنسكي : واصبحت جنديا . فطاردني البؤس هنا ايضا . ابحرت الى جزر الهنـد الشرقية ، فغرقت سفينتي لمـا ان اصطدمت بصخور — لا شيء غير مشروعات دمرت . واخيرا سمعت في كل مكان حديثا عن مغامراتك . من قتل وحرائق ، كما قالوا ، فقطعت ثلاثين ميلا للمجيء الى هنا ، وعندى تصميم راسخ على الخدمة تحت امرتك ، ان قبلت خدماتي . اتوسل اليك ، ايها القائد القدير ، لا ترفض رجائي .

اشفيتسر : (واثبا) هيسا ، هيسا ! لقد عوض رولر الف مرة .
اخ حقيقي لعصابتنا !

كارل : ما اســـمك ؟

كوزنسكي : كوزنسكي .

كارل : كيف ؟ كوزنسكي ! ألا تعرف أنك صبي خفيف العقل ، وانك تقوم بأعظم تصرف في حياتك باستخفاف كأنك فتاة لا تفكير عندها : هنا لا يوجد لعب كرة أو لعب أوتاد Kegelkugeln ، كما تتصور .

كوزنسكي : أعرف ماذا تريد ان تقول . عمرى ثلاث وعشرون سنة فقط ، لكني شاهدت سيوفا تلمع . وسمعت أزيز الرصاص من حولي .

كارل : صحيح ، أيها الشاب ؟ ألم تتعلم القتال ألا تقتـــل مسافرين مساكين طمعا في قطعة نقود . أو لمهاجمة نساء من خلفهن وغـــرز خنجر في بطونهن ؟ اذهب ، اذهب ! انت هارب من مربيتك لانها هددتك بالجلد .

اشفيتسر : بحق الشيطان فيم تفكر أيها القائد ؟ أتطرد هذا الهرقلي ؟ ألا تبدو عليه سيماء من يريد ان يطرد مارشال سكسونيا الى ما وراء نهـــر الكنج بضربة من ملعقة ؟

كارل : الآن انحرافاتك باءت بالإخفاق ، أتيت الينا زاعما أن تصير مجرما وسفاحا ؟ القتل ، يا ولدى ، هل تعرف معنى هذه الكلمة ؟ لقد استطعت من غير شك ان تنام هادئا بعد ان قطعت بعض رؤوس من الخشخاش . أما أن تحمل قتلا على ضميرك —

كوزنسكي : سأتحمل مسئولية كل الاغتيالات التي تأمرني بارتكابها .

كارل : كيف صرت داهية هكذا ؟ هل جال بخاطرك ان تملكني بالتملق ؟ أين علمت أني لا أحلم أحلاما مزعجة واني لن أشحب على سرير الموت ؟ كم من أفعال ارتكبت وانت تفكر في مسئوليتك ؟

كوزنسكي : الحقيقة انها قليلة جدا حتى الآن . منها على الاقل السفرة التي جاءت بي الى هنا ، أيها الكونت النبيل .

كارل : ألم يضع معلمك بين يديك قصة روبن Robin — ينبغي تقييد هؤلاء الاوغاد الى مجاديف المراكب — هذه القصة ألم تلهب خيالك الصبياني ، ألم تُعْدِك بعَدْوى جنون العظمة ؟ ألا يراودك الأمل في الظفر بالمجد والشهرة ؟ ألا تريد شراء الخلود بواسطة القتل والاحراق ؟ ليكن هذا في علمك . أيها الشاب الطموح ! لا ينمو شجر الغار بالنسبة الى القتلة ومشعلي الحرائق . وانتصارات اللصوص لا تجلب لهم الفخار ، بل اللعنة والخطر والموت والعار . ألا ترى المشنقة منصوبة على قمة تلك الرابية هناك ؟

اشبيجلبرج : (رائحا غاديا معتكر المزاج) آه ! أية حماقة ! أية حماقة مخيفة لا تغتفر ! ليست هذه هي الطريقة ، لو كان الامر بيدى ، لاتبعت مسلكا آخر .

كوزنسكي : ماذا يخشى من لا يخشى الموت ؟

كارل : حسن ! لا مثيل له ! كنت عاقلا في المدرسة . وانت تحفظ رسائل سنكا Seneca عن ظهر قلب .

لكن ، يا عزيزى ، لن تتغلب على الطبيعة بمثل هـذه العبارات ، وليس هكذا ستقفل سهام الألم . فكـر جيدا ، يا ولدى (ممسكا بيده) فكر في الأمر ، إني أسدى اليك نصائح والد لابنه . أعرف عمق الهـاوية قبل ان تقفز عليها . لو كنت لا تزال قادرا على التمتع بلذة واحدة في هذا العالم — ويمكن ان تقع لك في اللحظة التي تستيقظ فيها — فانها ربما كان الأوان قد فات . هنا ستكون بمثابة من خرج على الانسانية : ولا بـد لك ان تكون انسانا سـاميا ، أو جنيا . ومرة أخرى ، يا ولدى ، ان كانت ترف لك في مكان ما ومضـة أمل ، فاترك هذه المخالفة الرهيبة التي لا مكان فيهـا الا لليأس ، حينما لا تكون مؤسسة على حكمة عالية . يمكن المـرء أن يخطىء ، صدقني ، ويمكن ان يعـد قـوة للروح ما ليس في النهاية الا اليأس . صدقني تماما ، واسرع بتركنـا .

كوزنسكي : كلا ، لن أهرب الآن . ان لم تتأثر لرجائي ، فاسمع قصـة شقائي . هنالك ستضع أنت بنفسك الخنجـر بين يدى — اجلس هنا على الارض ، واسـتمع اليّ بانتبـاه .

كارل : اريد سماع ما تود ان تقوله .

كوزنسكي : اعلم اذن انني نبيل من بوهيميا ، وان موت أبي المبكر جعل مني سيدا على ضيعة شاسعة . كان الاقليم فردوسا حقيقيا ، لانه كان يضم بين أرجائه ملاكا ، فتاة تزينها كل مفاتن الشباب الزاهر ، عفيفة مثل النور السماوى.

لكن لمن أقول هذا ؟ انه يدع أذنيك غير مكترثين .
أنت لم تعشق أبدا ، ولم يعشقك أحد أبدا .

اشفيتسر : على رسلك ، على رسلك ، ان قائدنا يحمر خجلا .

كارل : توقف ! سأستمع اليك في مرة أخرى ، غدا ، عما قريب ، أو — حين أرى دمك يسيل .

كوزنسكي : الدم ، الدم ، استمع الى الباقي ، أؤكد لك ان الدم سيملأ نفسك ، كانت ألمانية ، من الطبقة الوسطى ، لكن مرآها كان يكفي لاذابة تحفظات النبلاء . وتلقت من يدى بكل تواضع خاتم الخطبة ، وبعد غد يجب علي أن أقتاد الى الهيكل حبيبتي أماليا .

(كارل ينهض بعصبية)

كوزنسكي : وفي وسط السعادة التي تنتظرني ، واثناء التجهيزات للزواج ، استدعيت بالمستعجل الى القصر . فذهبت . فأروني رسائل أوحت بها الخيانة ، واتهموني بأني أنا الذى كتبتها . فخجلت من هذا الغدر . ونزعوا مني سيفي ، وطرحوني في السجن ، مما أفقدني صوابي .

اشفيتسر : وفي تلك الاثناء — استمر — شممت رائحة الشياط .

كوزنسكي : بقيت في السجن شهرا ، دون ان أعرف ماذا حدث لي . كنت قلقا على حبيبتي أماليا ، التي استشعرت ألف موت بسبب مصيرى. واخيرا ظهر الوزير الاول وبعبارات معسولة . هنأني على اكتشاف براءتي ، وقرأ عليّ الامر باطلاق سراحي ، وأعاد اليّ سيفي . ومنتشيا بنشوة الانتصار ، هرعت الى قصرى ،وأردت

الطيران بين ذراعي حبيبتي أماليا ، لكنها كانت قـد اختفت . وقيل لي انها اختطفت في وسط الليـل ، ولا يعلم أحد الى أين أخذوها . ومنذ ذلك الوقت لم يرها أحد . آه ! هنالك نفذت في ذهني فكرة مثـل البرق ، فأسرعت الى المدينة وقمت بتحريات في القصر — وكل العيون كانت مركزة عليّ — لكن لم يشأ أحد ان يخبرني بشيء . واخيرا وجدتها وراء قضبان ، في مخبأ نسـاء في القصر ، فرمت اليّ ببطاقة .

اشفيتسر : ألم أقل هذا لكم ؟

كوزنسكي : قسما بالموت ، والجحيم والشيطان ! هذا ما قرأته في البطاقة : لقد تركوا لها الخيار بين أن تراني أموت ، وبين ان تصير خليلة الامير . وفي الصراع بين الشرف والحب ، اختارت الامر الثاني (ضاحكا) ونجوت أنا.

اشفيتسر : ماذا فعلت حينئـذ ؟

كوزنسكي : كنت كما لو أصابتني ألف صاعقة . كانت أول خاطرة لدى هي : الدم ، وكانت آخر خاطرة هي : الدم . كنت أرغي وازبد ، فهرعت الى المنزل ، واخترت سيفا ذا ثلاث طبات ، ومضيت ودمي فائر ، الى بيت الوزير ، لانه هو وحده كان الوسيط الجهنمي . ولا شك انني شوهدت في الطريق ، لانني حين وصلت وجدت كل الابواب مغلقة . . بحثت ، سألت ، فكان الجواب انه ذهب الى الامير . فذهبت مباشرة ، فادعوا انهم لا يعلمون عنه شيئا ، رجعت ، ودفعت الابواب ،

ووجدته . واردت — واذا بخمسة خـدم أو سـتة يخرجون من مكمنهم وينتزعون السيف من يدى .

اشفيتسر : (ضاربا الارض بقدميه) وهو لم يحصل على شيء ، وانت عدت خاوى الوفاض ؟

كوزنسكي : قبضوا عليّ ، ولاحظوا هذا جيدا ، واتّهموني بوصفي مجرما — ولاحظوا هذا جيدا — وبعفو خاص طردت خارج الحدود . على نحو خسيس ، واعطيت أملاكي للوزير ، وبقيت حبيبتي أماليا بين مخالب النمر ، وهي تقضي حياتها في أنين المحنة ، بينما أنا متعطش للانتقام ، وعليّ ان انحني تحت نـير الاستبداد .

اشفيتسر : (ناهضا ومحدا سيفه) لقد أتى بمـاء الى طاحونتنا ، يا أيها القائد . يا له من نار جميلة للاشعال .

كارل : (الذى ظل حتّى تلك اللحظة مضطربا جدا ، مخاطبـا اللصوص) : لا بد أن أراها ! هيا بنا ، احشـدوا كل العصابة . ابق معنا يا كوزنسكي . احزموا أدواتكم بسرعة .

اللصوص : الى أين نحن ذاهبون ؟ كيف ؟

كارل : الى أين ؟ من الذى يسأل : الى أين ؟ (مخاطبا اشفيتسر بعنف) أيها الخائن ، أتريد ان تمنعني ! لكن باسـم الرجاء الإلهي !

اشفيتسر : خائن ، أنا ؟ أمضى الى الجحيم ، وأنا أتبعك .

كارل : (واثبا الى رقبته) ان لك قلب أخ . ستتبعني — انهـا تبكي ، تقضي حياتها في الحزن ، بسرعة ، هيـا ! جميعا ، الى فرنكونيا ! لا بد ان نصل الى هناك في ظرف ثمـانية أيام .

(يرحلون)

* * * *

الفصـــل الرابـــع

المنظـــر الأول

كارل وكوزنسكي (في البعـــد)

كارل : اسبقني وأعلن عن قدومي ! هل تعلم كل ما عليك ان تقـــوله ؟

كوزنسكي : أنت الكونت فون براند Graf von Brand وانت ، قادم من مكلنبوج Mecklenburg ، وأنا سائسك . لا تخف ، سأمثل دورى جيدا . وداعا .

(يذهب)

كارل : السلام عليك يا وطني (يقبل الارض) ، ويا ســـماء وطني ، ويا شمس وطني ! وأنت أيتها الارياف ، والروابي والانهار والغابات احييكم جميعا بكل قلبي . ما أرق النسيم الذى يهب من جبال وطني ! وأى بلسم ساحر يستقبل الشارد المسكين ! إيه يا عِليّون Elysium يا مقام الشعراء ! توقف ، يا مور ! فان قدمك تطـــأ ارض معبد مقدس .

(يقترب) ها هي ذى ايضا أوكار السنونو في فنـــاء القصر ! وباب الحديقة الصغير ، وركن السياج الذى كنت فيه تترصد وتعاكس من كان يريد الامساك بك — وهنالك ، الوادى والمروج التي كنت — مثل البطل الاسكندر تقود المقدونيين للقـــاء في أربيل (٤٣)

Arbela ، وعلى الجانب الرابية المعشبة التي منهـا ارتحلت لقهر السّراب الفارسي ، والراية الظافـرة ترفرف في الريح ! (باسما) ان السنوات المذهبـة في الطفولة ، شبيهة بشهر أيار ، تعود الى الحياة في قلب هذا المسكين . هناك كنت سعيدا ، سـعادة ساجية ، مجردا من كل الغيوم — وها هي ذى الآن البقايا المحطمة من مشروعاتك . هناك حلمت ان تمـر ذات يوم ، وانت رجل يعض على ناجذ الحلم ، رائع القوام ، مكرم ، كيما تعيش من جديد سنوات الطفولة وأنت تشاهد أبناء أماليـا وهم يترعرعون ، هنـاك كان ينبغي ان تكون معبود هؤلاء الناس . لكن الشيطان سخر من هذا كله ! (ينتفض) لمـاذا اذن أنا هنا ؟ أليكون لي حظ السجين الذى تنتزعه ضجة أغـلاله من أحلامه في الحرية ؟ كلا ، اني عائد الى منفـاى البائس . . ان السجين نسي النور ، بيد أن حلم الحرية مـر عليه مرور البرق خلال الليل ليتركه بعد ذلك أشـد ظلاما . وداعا يا أودية وطني ! قديما شاهدت كارل صبيا ، وكان كارل صبيا سعيدا . وها أنت ذى تشاهدين الآن الرجل ، وهو في يأس . (يتجه مسرعا نحو عمق المسرح ، ثم يتوقف فجأة ، وينظر بحـزن في اتجاه القصر) لا أراها ، لا أتمتع بنظرة منها ، بينما لا يفصلني عن أماليا الا سـور بسيط ! كلا ، لا بد لي ان أراها ، ان أراها ، حتى لو كلفني مرآها تحطيم قلبي ! (يدور نصف دورة) يا أبتاه ، يا أبتاه ، ان ابنك يقترب . بعيدا عني منظر هذا الـدم الأسـود

ذا الدخان ، وهذه العيون الغائرة ، وهذه الأجفان المقشعرة من سكرات الموت الرهيبة ! خلصوني من أجل هذه الساعة وحدها . أماليا ! أبي ! كارلك يقترب (يمشي مسرعا تجاه القصر) عذبوني حين يتنفس النهار ، ولا تتركوني حين يأتي الليل . عذبوني بالكوابيس المروعة ، لكن لا تسمموا عليّ هذه الشهوة الوحيدة ! (يتوقف عند البوابة) ماذا دهاني ؟ ما هذا يا مور ؟ كن رجلا ! عدة الموت ، استشعار الفزع !

(يدخل)

المنظر الثاني

رواق في القصر

كارل ، أماليا (يدخلان)

أماليا : أتظن أنك قادر على تعرف صورته بين هذه اللوحات ؟

كارل : أوه ! قطعا ! ان صورته بقيت دائما حية في نفسي . (وهو يمر أمام اللوحات) انه ليس هذا .

أماليا : انت على حق . فهذا هو مؤسس اسرة الكونت ، وقد منحه النبالة بارباروسا (٤٤) Barbarosa ، لانه عمل في خدمته ضد القراصنة .

كارل : (هائما أمام اللوحات) ولا هذا ، ولا ذلك ، ولا ذلك الآخر هناك . انه غير موجود بين هذه اللوحات .

أماليا : كيف ؟ أمعن النظر أكثر ! كنت أظن أنك تعرفه .

كارل : لا أعرف أبي خيرا من هذا . هذه الصورة ليس فيها التعبير الرقيق في الفم الذي يميزه بين آلاف ـ انه ليس إياه

أماليا : انت تدهشني. كيف؟ انك لم تره منذ ثمانية عشر عاماً ولا تزال تقـــدر –

كارل : (بحمرة خجل مفاجئة) انه هذا !

(يبقى كما لو كانت وقعت عليه صاعقة)

أماليـــا : يا لـــه من انسان ممتـــاز !

كارل : (سارحا في تأمله) أبي ، أبي ، اعف عني . – نعم ، انسان ممتـــاز .

(يمسح عينيه) انســـان الهي !

أماليـــا : يبـــدو أنك شـــديد الاهتمام به .

كارل : اوه ! انسان ممتاز . ويقال انه لم يعد حيـــا .

أماليـــا : لقد مضى ، كما تمضي اجمل مسراتنا . (آخـــذة يده برفق) أيها الكونت العزيز ، لا خالد تحت الشمس !

كارل : هذا حق تمـــاما ، حق تمـــاما . وانت هل عانيت هذه التجربة الاليمة ؟ ان عمرك لا يتجاوز الثالثة والعشرين.

أماليـــا : وعانيت هذه التجربة ، الناس لا يعيشون الا من أجل ان يتخطفهم الموت على نحو محزن . كل ما نهتم به . وكل ما نقتنيه ، نحن نضيعه في الالم .

كارل : هل فقدت أحـــدا ؟

أماليـــا : لا أحد – الجميع – لا أحد . هل نستمر في المســـير ، أيها الكونت ؟

كارل : بهذه السرعة ؟ ما هذه الصورة عن يمين ؟ يبـــدو لي ان عليها سيماء الشـــقاء .

أماليـــا : الصورة التي على اليسار هي لابن الكونت ، الذى هو السيد الحالي للضيعة . تعال ! تعال !

كارل : لكن هذه الصورة التي على يمين ؟

أماليـــا : هل تريد ان تنزل الى الحديقة ؟

كارل : لكن هذه الصورة التي على اليمين ؟ أتبكين ، يا أماليا ؟

(أماليـــا تخرج باندفاع)

كارل : انها تحبني ، انها تحبني . بكل كيانها ، بدأت تنبذ هذا القسر . الدموع التي سالت من عينيها على خديها قـــد فضحتها . انها تحبني . أيها الشقي ، هل أنت تستحقها ؟ أو لست أنا ها هنا كالمحكوم عليه أمام المشنقة ؟أليست تلك هي الاريكة التي كنت اسبح عليها في النشـــوة ، وذراعاى يحيطان بجيدها ؟ أليس هذا قصر آبائي ؟ (وهو في غاية التأثر أمام الصورة) أنت ، أنت ، أبي ، عيناك تقذفان بالشرر واللهيب . اللعنة ، اللعنة ، الدم ! أين أنا ؟ بصرى يظلم . يا اله الخوف ، انه أنا ، أنا ، أنا الذى قتلته .

(يهـــرب)

فرانتس فون مور (مستغرقا في تأمل عميق)

فرانتس : سحقا لهذه الصورة ! سحقا ! أنا الجبان الرعديد ! لمـــاذا التردد ، والارتعاد ، وأمام من ؟ منذ هـــذه الساعات القليلة ، منذ جاء الكونت يتجول شاردا بين هذه الجدران ، ألا يبدو لي أن جاسوسا من الجحيم قد انزلق على كعب قدمي ؟ لا بد لي ان أعرفه ! ان في وجهه الوحشي الذى أحرقته الشمس عظمة شوهدت من قبل مرارا ، تجعلني أرتعد . وأماليا هي الاخـــرى

لا تبدو غير حافلة به . أتدع تلك النظرات العطشى المليئة بالحنان تترامى على هذا الغريب مع انها في العادة تضن على الناس جميعا بمثـل هذه النظرات ؟ أو لم أشاهدها ؟ لقد رمت في كأس خمرها ببعض الدموع المستخفية ، ومن وراء ظهرى أسرعت الى الشرب ، كما لو كانت الكأس ستنصب كلها فيها . نعم ،رأيتها رأيتها بعيني في مـرآة . هولا ! يا فرانتس . خـذ حذرك ! ان في الامر غرابة يمكن أن ينجم عنها ضياعك

(يتوقف أمام صورة كارل ، ويبدو عليه انه يبحث)

رقبته الطويلة كرقبة البجعة . وعيناه السوداوان اللتان تقذفان بالنار ، هَمْ هَمْ ! وحاجباه المظلمان الكثيفان. (يرتعد فجأة) أيها المكر الجهنمي ، هل أنت الـذى توحي الي بهذا الهاجس ؟ انه كارل ! نعم . الآن كل ملامحه تنبعث أمامي . انه هو ، على الرغم من القنـاع الذى يرتديه . انه هو ! الموت والعذاب ! (يغـدو ويروح بخطى سريعة) أمن أجل الوصول الى هـذه النتيجة ، قد بددت ليالي ، واكتسحت صخـورا ، وسويت وهادا ، وتمردت على كل غرائز الانسانية — حتى يأتي هـذا المتشرد في النهـاية ويخرب بحماقاته مُبْدَعات دهائي ؟ على رِسْلِكَ ، بكل هـدوء ، اللعبة مستمرة . لقد غُصْتُ حتى اذني في الكبائر . سيكون من الجنون ان يدور السباح نصف دوره بعيدا عن الشاطىء الذى تركه . لا ينبغي التفكير في العـودة الى هذا الشاطىء . ان العفو سيتحول هو نفسـه الى

تسول ، والرحمة اللانهائية ستفلس ، لو أرادا التكفير عن خطاياى . اذن الى الامام ، برجولة (يقرع الجرس) ليلحق بروح ابيه وليأت ! اني اسخر من الموتى . — دانيل ، ها ، دانيل ! ما الفائدة ، لا شك انهم هيجوه ضدى . ان على وجهه سيماء الغرابة .

دانيـــل (يدخل)

دانيـــل : بمـــاذا تأمـــر يا سيدى ؟

فرانتس : لا شيء . اذهب واملأ هذه الكأس بالخمر ، وبسرعة ! (دانيل يخرج) انتظر ، أيها الوغد العجوز ! أريد ان استوقفك ، ان اتأمل في عينيك تأملا شديدا يجعـــل ضميرك ، وقد اصيب ، يشحب من خلال قنـــاعك . لا بد أن يموت . ما هو الا عاجـــز ، ذلك الذى لا يؤدى من عملـــه الا نصفه ، ثم يتنحى عنه ويتأمل ، فاغـــر الفم ، ماذا يحدث بعد ذلك .

دانيـــل (ومعه الخمـــر)

فرانتس : ضَعْها ها هنا . تأمل جيدا في عيني . ان ركبتيك تتهاويان ! كم انت ترتعد . أيها العجوز ، اعترف . ماذا فعلت ؟

دانيـــل : لا شيء ، يا سيدى ، هذا حق كما هو حق ان الله حي وان روحي المسكينة حيـــة .

فرانتس : اشرب كل هذه الخمر . ماذا ؟ أتتردد ؟ أفصـــح ، بسرعة ! ماذا وضعت في هذه الخمر ؟

دانيـــل : كان الله في عوني ! ماذا ؟ أنا — في الخمر ؟

فرانتس : أنت وضعت سما في الخمر ! ألست شاحبا كالثلج ؟ اعترف ، اعترف ، من الذى أعطاك اياها ، أهـــو الكونت ، أليس كذلك ، انه هو الذى اعطاك أياها ؟

دانيــــل : الكونت ؟ يا يسوع ، يا مريم ! الكونت لم يعطـــني شــــيئا .

فرانتس : (يلح عليه بشـــدة) سأخنقك حتى تصير أزرق ، أيها الكذاب العجوز ! لا شيء ؟ وماذا تدبرون معـــا هو وانت وأماليا ؟ وبماذا كنتم تتهامسون ؟ أفصح ! أى أسرار ، نعم ، أى أسرار أستودعك ؟

دانيــــل : الله ، العليم بكل شيء ، شـــاهد على ذلك . إنــــه لم يستودعني أى سر .

فرانتس : هل تنكر ؟ أية دسائس حكتموها للتخلص مني ؟ أليس كذلك ؟

لخنقي وانا نائم ؟ لحـــز رقبتي وانا أحلق ؟ لوضع سم في خمرى أو في كاكاوى ؟ أفصح ، قل — أولتزويدى بالنوم الابدى بواسطة حسائي ؟ اعترف ، أنا أعلم كل شيء .

دانيــــل : ليساعدني الله في المحنة ، بمقدار ما أقول لك الآن الحقيقة الخالصة البسيطة .

فرانتس : هذه المرة أنا أعفو عنك . لكن ، أليس صحيحا ، ملأ جيوبك ؟ وانه شـــد على يديك اكثر من المعتاد

دانيــــل : أبدا ، يا ســـيدى .

فرانتس : قال لك ، مثلا ، انه يعرفك من قبل ، وانك لا بد أن

تتعرفه ، وان الغشاوة ستزول يوما عن عينيك ، وان ـ
ماذا ايضا ؟ أتزعم انه لم يقل لك شيئا من هذا القبيل ؟

دانيـــل : أبـــدا .

فرانتس : وان بعض الظروف تحتجزه ـ وان المـرء يضطـر احيانا الى ارتداء قناع لإمكان الاقتراب من أعدائه ـ وانه أراد ان ينتقم لنفسه ، ينتقم بقســوة ؟

دانيـــل : ولا كلمة واحدة من هذا كلــه .

فرانتس : ماذا ؟ لا شيء أبدا ؟ تذكر جيدا ـ وانه عرف جيدا ، بوجه خاص عرف جيدا الكونتالعجوز ، وانه كان على مودة معه ، مودة غير عادية ، تشــبه مودة الابن لابيــه ؟

دانيـــل : اذكر انني سمعته يقول شيئا كهذا .

فرانتس : (شاحبا) صحيح ، حقا ؟ كيف ، قل لي اذن ؟ هل قال انه أخي ؟

دانيـــل : (مدهوشا) ماذا ، يا سيدى ؟ كلا ، انه لم يقل هذا . لكن لمـــا كانت الآنسة تتجول معه في الرواق ، كنت أنفض الغبار عن اطارات اللوحات ، فتوقف فجأة أمام صورة المرحوم الكونت وكأنه اصيب بصاعقة . والآنسة أرته الصورة قائلة : انسان ممتــاز ! ـ نعم ، انسان ممتـــاز ، بهذا أجاب وهو يمسح عينيه .

فرانتس : اسمع يا دانيل ! انت تعلم أنني كنت نحوك ســيدا محسنا دائما ، ولقد وفرت لك الطعام واللباس ، وفي كل الاشياء يسرت شيخوختك .

دانيـــل : جزاك الله العزيز خير الجزاء ! وانا خدمتك دائمـــا باخلاص .

فرانتس : وهذا ما كنت على وشك أن أقوله انك لم تخالف عن أمرى طوال حياتك ، لانك تعلم تمـــام العلم انك تدين لي بالطاعة في كل ما آمرك به .

دانيـــل : في كل شيء ، بكل قلبي ، اذا لم يكن في ذلك مخالفة لله ولضميرى .

فرانتس : ترهات ، ترهات كل هذه . ألا تستحي ؟ شيخ عجوز مثلك يعتقد في خرافات عيد الميلاد هذه ؟ اذهب يا دانيل ، لقد كانت فكرة حمقاء . أنا سيدك . الله وضميرى هما اللذان سيعاقباني ، ان كان هناك إلـــه وضمير .

دانيـــل : (وهو يضم يديه) يالرحمة السماء !

فرانتس : بالطاعة التى تدين بها لى ! اتفهم هذه الكلمة ؟ بالطاعة التى تدين بها لى ، فاني آمرك ، غدا يجب الا يكـــون الكونت في عداد الاحياء .

دانيـــل : أغثنى ، يا الهى الاقدس ! ولمـــاذا ؟

فرانتس : بالطاعة العمياء التى تدين بها لى ! وسأجعلك مسؤولا عن ذلك .

دانيـــل : انا ؟ النجدة يا ام الالم المقدسة ! انا ؟ اى شر ارتكبته ، انا العجوز المسكين ؟

فرانتس : ليست امامك مهلة طويلة لتقرر ، ان مصيرك بـــين يدى . هل تريد ان تنتهى حياتك في النواح في أعمق

مطمورة في سجني ، حث يرغمك الجوع علــى ان تقرض عظامك ، ويرغمك العطش المحرق على ان تشرب بولك ؟ او تفضل ان تأكل طعامك في سلام وتقضى شيخوخة هادئــة ؟

دانيــل : ماذا ، ياسيدى ! سلام ، شيخوخة هادئة لقاتل ؟

فرانتس : اجب عن سؤالى .

دانيــل : شعرى الاشمط ، شعرى الاشــمط !

فرانتس : نعم ، اولا ؟

دانيــل : لا ، وليرحمنى الله !

فرانتس : (على وشك الخروج) حسن ، ستحتاج الى هذا .

(دانيل يحتجزه ويرتمى عند قدميه)

دانيــل : ارحمه ، ياسيدى ، الرحمــة !

فرانتس : نعم ، اولا ؟

دانيــل : سيدى ! ان عمرى الآن احدى وسبعون سنة ، وكنت برا بوالدى ووالدتى ، ولم اسىء الى احد عن قصد ، وصنت ايمانى باخلاص وامانة ، وخدمت في منزلك اربعا واربعين سنة ، وانا انتظر الآن موتا هادئــــا مقدسا. وا اسفاه ، ياسيدى ، وااسفاه ! (يقبل ركبتيه بعصبية) وتريد ان تنتزع منى سلواى الاخيرة فيساعة الموت ، تريد ان يعترض الندم ضميرى ويحرمنى من آخر دعاء لى ، كيما ادخل في الرقدة الاخيرةمسخطا الله والناس ! لا ، لا ، ياسيدى العزيز ، العزيز جدا ،

الطيب ! انت لاتريد ذلك، ولا يمكنك ان تريد ذلك من انسان في الحادية والسبعين .

فرانتس : نعم ، اولا ؟ فيم كل هذه الثرثرة ؟

دانيـــل : اريد من الآن فصاعدا ان اخدمك بحماسة اكبر ،اريد كعامل اليوميـــة ان استهلك في خدمتـــك عضلاتي المهزولة ، وان استيقظ مبكرا ، وانام متأخـــــرا . وأريد ان ادعو لك في صلواتي صباحا ومساء ، والله لا يرفض دعـــوات عجوز .

فرانتس : الطاعة افضل من التضحية . هل سمعت ابدا عن جلاد يتردد كل هذا التردد حين يجب عليه ان ينفذ الحكم باعدام شخص .

دانيـــل : لا ، طبعا ! لكن ذبح انسان بريء ، لكن ـ

فرانتس : هل ادين لك بشيء ؟ هل بلطة الجلاد يمكنها ان تسأل لماذا يجب عليها ان تهوى هناك ، لا في مكان آخر ؟ انظر الى كرمى معك . اني اقدم اليك مكافأة عـــــن اخلاصـــك.

دانيـــل : لكني كنت آمل في ان اقدر ان ابقـــى مسيحيا في اخلاصى لك .

فرانتس : لا تثر اعتراضا ! اعطيك نهارا مهلة للتفكير فكر . السعادة او الشقاء ، اتسمع ، اتفهم ؟ اكبر ســـعادة ، او ابشع شقاء .ساصنع العجائب في تعذيبك .

دانيـــل : (بعد برهة من التفكير) سأفعل ذلك ، سأفعله غدا .

(يخـــرج)

فرانتس : الاغراء عظيم ، وهذا الرجل لم يولد قطعا من اجل ان يكون شهيد ايمانه . شهية طيبة اذن ، ايها الكونت ! من المحتمل جدا ان يكون عشاؤك غدا ، هو العشاء الاخير . كل شيء يتوقف على طريقة التفكير ، ومجنون من يفكر ضد مصالحه . ان الاب الذى ربما شرب زجاجة من الخمر اكثر مما ينبغى قد هيجته الشهوة — ومن هذا خرج انسان ، وهذا الانسان كان آخر ما فكر فيه في هذا العمل الهرقلي. وانا ايضا قد هاجت شهوتي ، ومنها سيموت انسان، ومن المؤكد ان في هذا من الاسباب والنيات أكثر مما في ميلاده افلا تدين أغلبية بنى الانسان بوجودها في غالب الاحوال لظهيرة حارة في شهر يوليو ، او لمرأى جذاب لفراش السرير ، او الى وضع افقى لربة المطبخ وهى راقدة ،او لضوء يطفئه المرء ؟ اذا كان ميلاد انسان هو من عمل شهوة بهيمية ، من عمل صدفة ، فمن ذا الذى يعتقد ان نفى هذا الميلاد له اية اهمية ؟ اللعنة على جنون المربيات والمرضعات اللواتي يفسدن الخيال بحكاياتهن المفزعة ويطبعن في الذهن المطيع صورا مروعة للعقوبات، حتى اذا صرنا رجالا هزت الرعدات اللاارادية اوصالنا وجمدتها من الفزع ، ووقفت اشد تصميماتنا جراءة ، وفرضت على عقلنا حين يستيقظ قيود الخرافات الغامضة — وهذا قبل — اى جيش من الفوريات الجهنمية يدور حول هذه الكلمة ! وكان يكفى ان تكون الطبيعة قد نسيت ان تصنع انسانا زيادة ، وان الحبل السرى لم يعقد ،وان

الاب ، كان مصابا بالعنّة في ليلة الزفاف ، واذا بكل هذه الاشباح تختفي ! ما كان شيئا قد صار لا شيء. اولا نستطيع ان نقول بنفس الدرجة من الصواب: لم يكن شيء ، ولن يكون شيء ، وحول هذا اللاشيء لا تتبادل اية كلمة . يولد الانسان من سلالة من طين ، ويعود للاختمار في الطين حتى لا يصير الا قليلا من من الطين الذى يلتصق بنعل حفيد حفيده . تلك خاتمة الاغنية ، الدائرة الطينية للمصير الانساني . وهكذا اذن ، رحلة طيبة سيدى الاخ ! الاخلاقي المصاب بالنقرس والمالنخوليا — الذى هو الضمير — يمكنه ان يطرد المومسات من بيوت الدعارة حين تتعضن البشرة ، او ان يعذب المرابين المسنين وهم على فراش الموت ، اما انا ، فلن يظفر ابدا بمقابلتي .

(يخرج)

المنظر الثالث

حجرة أخرى في القصر

كارل مور في جانب ، ودانيل في جانب آخر

كارل : (بحدة) أين الآنسة ؟

دانيل : يا سيدى ، اسمح لانسان مسكين ان يقدم اليك التماسا.

كارل : موافق ماذا تريد ؟

دانيل : انه ليس كثيرا ، وهو كل شيء ، انه قليل جدا ، وهو كل شيء . دعني أقبل يدك .

كارل : لا ينبغي ، أيها العجوز الطيب (معانقا له) انت يا من أستطيع ان اسميه بأبي .

دانيـــل : يدك ، يدك ! ارجوك .

كارل : لا ينبغي .

دانيـــل : بل لابد من هذا (يمسك يده ، ويتأمل فيها بسرعة ، ويجثو على ركبتيه) يا كارل العزيز الطيب !

كارل : (منتفضا ، ثم مستردا أنفاسه ، ثم متظاهرا بالدهشة) ماذا تقول يا صديقي ؟ أنا لا أفهمك .

دانيـــل : نعم ، أنْكِر ، تَنَكّر ! حسن ، حسن . ستكون دائما سيدي الشاب ، الكريم اللطيف . يا الهي ، ان أنــال هذا السرور وانا في شيخوختي — كم أنا أحمق غليظ الفهم بحيث لم استطع ان أتعرفك في الحال ! آه ، أيها الأب السماوى ! هأنت ذا قد عدت ، والكونت العجوز تحت التراب ، هأنت ذا قد عدت ! كم كنت أنا حمارا أعمى (يضرب رأســه بيده) بحيث لم أتعرفك للوهلة الاولى . لكن ، ياه ، من كان يخطر بباله هذا ، حتى في الحلم ! — هذا ما كنت اطلبه في دعواتى ليسوع المسيح وانا أبكي ! انه ها هنا بشخصه ، في القاعة القديمة .

كارل : ما معنى هذا الكلام ؟ هل أصابتك الحمى الساخنة ، أو أنت تتدرب على دور تمثيل ؟

دانيـــل : تبــا ، تبــا اذن ! ليس من الجميل ان تسخر من خادمك العجوز هكذا . هذه الندبة ! آه ! هل تتذكر ؟

يا إلهي العظيم ، أي خوف عظيم أشعته في نفسي ، وأنا
الذى أحببتك دائما حبا جما وأي آلام كان في وسعك
ان تبثها في نفسي ، كنت جالسا على ركبتي – أتتذكر
هذا ؟ هناك في القاعة المستديرة أليس كذلك يا فتى ؟
لا شك في أنك نسيت هذا ، وكذلك العصفور الذى
كنت تحب سماعه ! انظر ، لقد انكسر العصفور ،
وسقط على الارض ، انها سوزل العجوز هي التي
كسرته وهي تكنس القاعة . نعم اذن كنت جالسا
على ركبتي وتصيح هو ، فعدوت للامساك بالمهر .
يا يسوع ، يا رب ! ماذا دعاني أنا الأبله العجوز الى
الخروج ؟ ولاح لي أني أتلقى وابلا من ضربات الشظايا ،
حين سمعت هذه الصرخات المخيفة في البهو ، فعدت
واثبا ، وكان الدم يسيل بغزارة ، وكنت مجندلا على
الارض ، وكان عندك – يا أم الاله المقدسة ! – كنت
أشعر كما لو القي قدر من الماء المثلج على قفاى ،
وهذا ما يحدث حين لا تكون عين المرء على الاطفال .
يا الهي العظيم ، ماذا لو كانت دخلت في العين ؟ لكنها
كانت اليد اليمنى . فقلت لنفسي : أبدا لا ينبغي ان
يكون في يد الطفل سكين ، ولا مقص ، ولا أى شيء
حاد . ولحسن الحظ كان السيد والسيدة مسافرين ،
نعم ، نعم ، ليكن هذا انذارا لي مدى الحياة . يا ربي ،
يا ربي ، ربما كنت فقدت وظيفتي ، ولكنت لعنت
الطفل ، عفا الله عنك ، لكن الحمد لله ، التأم الجرح
بسرعة ، ولم يترك الا هذه الندبة القبيحة .

كارل : أنا لا أفهم أية كلمة مما تقول .

دانيــل : نعم ، أليس كذلك ، أليس كذلك ؟ كان ذلك زمانا سعيدا . كم من الفطائر ، والبسكويت والحلــوى دسستها لك ! كنت دائما مفضلا عندى ، وانت لا تزال تذكر ما قلته لي هناك في الاسطبل حينما أركبتك على الحصان البني الذى كان يملكه الكونت العجوز ، وجعلتك تدور دورة حول المرج الكبير ركضــا ؟ دانيل ، هكذا قلت لي ، دعني فقط اصبح رجلا ، وستكون ناظرا عندى ، وتصحبني في عربتي . نعم ، هكذا قلت وأنا اضحك ، ان منحني الله الحيــاة والصحة ، واذا لم تخجل من عجوز ، وقلت لك : سأطلب منك ان تترك لي البيت الصغير ، هاك في القرية ، وهو خال منذ زمان طويل ، وهنالك أردت ان اصنع عشرين خابية من النبيذ ، وأكون حمارا في أخريات أيامي . هذا حسن ، اضحك ! اضحك ! أليس كذلك ، يا سيدى الشاب ، كل هذا أنت نسيته لا تريد ان تعرف العجوز ، وتتصنع انك غريب نبيل ، أوه ، عُدْ سيدى الشاب العزيز ، صحيح انني الآن محطم بعض الشيء ، لكن لا تظن بي السوء . فالشباب لا بد ان يمضي ، وفي النهاية يمكن ان يرتب كل شيء.

كارل : (واثبا الى عنقه) لا ، يا دانيل ، لا اريد الاســتخفاء اطول من هذا . أنا كارلك ، كارل الذى فقــدته . ماذا تفعل أماليای ؟

دانيــل : (وقد أنشأ في البكاء) ان يكون لي أنا ، أنا العجــوز

الخاطىء المسكين ، هذا الحظ السعيد ، بينما سـيد المرحوم ذرف الكثير من الدموع دون ان يكون لـ هذا الحظ ! انزل الى القبر ، انزل أيها ،الرأ الاشمط ! وانت أيتها العظام الجاسية ، انزلي الى الا بسرور ! ان سيدى ومولاى حي ، وقد رأيته بعيني

كارل : وسيَفِي بوعده ، خذ هذا ، أيها الشائب العجوز ذكرى للحصان البني والاسطبل ! (يعطيه كيس مملوءا بالنقود) حقا انني لم أنس خادمي القديم .

دانيـل : كيف ، ما هذا الذى تفعله ؟ هذا كثير جدا ، ا غلطان .

كارل : لم أغلط ، يا دانيل (دانيل يريد ان يرتمي على قدمي انهض وقل لي ، ماذا تفعل أمالياى ؟

دانيـل : الحمد لله ، الحمد لله ! يا يسوع ! ان أمالياك ، لك لن تعيش بعد هذه الفرحة ، انها ستموت منها .

كارل : (بعصبية) انها لم تنسني اذن ؟

دانيـل : تنساك ؟ ماذا تقول ؟ تنساك ؟ كان بودى ان تك حاضرا وان تشاهد بنفسك كيف تصرفت ، حين - نبـأ موتك ، وهو نبـأ عمل سيدى على اشاعته .

كارل : ماذا تقول ؟ أخي —

دانيـل : نعم ، أخوك ، سيدى ، أخوك . سأقص عليك هـ الامر في مرة أخرى ، في الوقت المناسب ، وكيا انها طردته ، حينما ظل يجدد طلبه كل يوم من أ ربنا ، طالبا ان يتزوجها . اوه ، عليّ ان اذهب ، أذهب لاقول لها ذلك ، لا حمل اليها هذا النبأ .

(يريد ان يخـــرج)

كارل : توقف ، توقف ! ينبغي الا تعرف ، ينبغي الا يعرف أحد ، ولا أخي .

دانيــــل : أخوك لا ، خصوصا هو ، ينبغي الا يعرف ، أبدا ، اللهم الا اذا كان يعرف فعلا اكثر ممـــا ينبغي لـــه . أوه ! أقول لك ، يوجد ناس ســـفلة ، ويوجد اخوة ســـفلة ، وسادة ســـفلة ، لكنني لم أرد ان أكون خادما ســـافلا ولو أعطاني سيدى كل ما يملك من ذهب . ان سيدى الكونت اعتقد انك مت .

كارل : همّْ ! بمـــاذا تغمغم ؟

دانيــــل : (بصوت خفيض) واذا بعث الانسان هكذا غـــير مرغوب فيـــه ! كان اخـــوك هو الوريث الوحيد للمرحوم سيدى .

كارل : ايها العجوز ، بماذا تغمغم بين اسنانك ، كما لو كان سر رهيب يثقل على لسانك ، سر لاتستطيع انتتخلص منه ، لكن عليك مع ذلك ان تتخلص منه ؟ افصـــح عما تريد .

دانيــــل : افضل ان اغرق عظامى النخرة جوعا ، وان اشرب بولى من العطش ، على ان اظفر بالثراء عن طريـــق القتـــل .

(يخـــرج مسرعا)

كارل : (باندفاع ، بعد صمت رهيب) خيانة ، خيانة . هذا الخاطر ينفذ في كياني كأنه برق . مؤامرة اجرامية !

بحق السماء والجحيم لست انت ، يا ابتاه ! مؤامـــرة اجرامية ! ان اصبح قاتلا ، ولصاً بسبب مؤامـــرة اجرامية ! لقد لطخ سمعتي ، وزيف رسائلي واخفى بعضها ان قلب ابينا كان مملؤا بالعطف والحنـــان ، فيالي من وحش احمق ، لقد كان قلبه الابوى حافلا بالحنان . يا للخسة ، يا للخسة ! ما كان عليّ الا ان ارتمى على قدميه ، وان اذرف دمعة . ايها المجنـــون الاحمق ، الاحمق ، الاحمق (يرتمى على الجـــدار) كان في استطاعتي ان اكون سعيدا . سفالة ، سفالة ! كل سعادة حياتي قضت عليها احابيل سفلة ، سفلة . (يعدو في كل اتجاه وهو في غاية الهياج) اصير قاتلا ولصا بسبب مؤامرة اجرامية . انه لم يغضب لم يخطر بباله ان يلعنني في قلبه ! ايها الخسيس ، ايها الخسيس الداعر ، الزاحف ، الكريه !

كوزنسكى (يدخـــل)

كوزنسكى : والان ايها القائد اين اختبأت ؟ ماذا هناك ؟ يلوح لى انك تريد ان تبقى ها هنا وقتا اطول ؟

كارل : هيا بنا ! اسرج الخيل ! لابد ان نعبر الحدود قبـــل مغيب الشمس .

كوزنسكى : انت تمـــزح .

كارل : (بلهجة الآمر) بسرعة ، بسرعة ، لاتتردد اكثر من ذلك . اترك كل الباقي ــ ولا يرَيَنّك احـــد !

(كوزنسكى يخـــرج)

انا بعيد عن هذه الجدران . واقل تأخير يمكن ان يدفع

بي الى النهاية ، وهو ابن ابي . اخى ، اخى ، لقد جعلت منى اشقى انسان على ظهر الارض ، مع انني لم اسيء اليك ابدا . انت لم تتصرف تصرف اخ. اجتن في سلام ثمار شرورك . حضورى لن يسمم هذا الاستمتاع . لكن من المؤكد ان هذا لم يكن تصرف اخ مع اخيه ! فلتغطك الظلمة ابدا ، ولا يعكرنك الموت .

(كوزنسكي يدخل)

كوزنسكي : اسرجت الخيل . تستطيع ان ترحل حين تريد .

كارل : انت تستعجل ، انت تستعجل ! لماذا كل هذهالعجلة؟ اولا استطيع ان اراها مرة اخرى ؟

كوزنسكي : ان شئت ، حللت السروج في الحال . انت الذى استعجلتني ودفعتني واستحثثتني .

كارل : مرة اخرى ! وداعا ثانيا ! لابد لى ان اشرب حتى الثمالة سم هذه السعادة ، وحينئذ — توقف ، ياكوزنسكي ! عشر دقائق اخرى في فناء القصر ، في الخلف ، ثم نرحل .

المنظر الرابع

الحديقة

أماليا : هل تبكين يا أماليا ؟ ولقد قال ذلك بصوت ، صوت بدا لي معه أن الطبيعة قد تجددت به . هذا الصوت بعث الأربعة(٤٥) الماضية لغرامنا ، والبلبل غنى مثلما كان يغني في الماضي ، والازهار ، تنفست عن

عطورها كما كانت تفعل في المـاضي ، وكنت لاصقة به ، نشوى من اللذة ! آه ! أيها القلب الخائن الزائف ! كم تود أن تلتمس أعذارا لخيانتك ! لا ، لا ، اخرجي من قلبي أيتها الصورة الآثمـة ؟ اخرجي من قلبي ، أيتها الاماني الغادرة الكافرة ! في القلب الذى يسيطر عليه كارل يجب ألا يسكن أحد من أبنـاء الارض . لكن ، لمـاذا ، يا قلبي ، لمـاذا هذا الغريب يجتذبك رغما عنك ؟ أليس قريبا كل القرب من صورة حبي الوحيد ؟ أليس هو رفيقه الدائم ؟ أنت تبكين ، يا أماليا ؟ آه ! أريد أن أهرب منه ، أن أهرب منه . لن ترى عيناى أبدا هذا الغريب .

كارل (يفتح باب الحديقة)

أماليـا : (منتفضة) اسمعي ، اسمعي ، ألم يهـز البـاب ؟ (تلمح كارل فتنهض بوثبة واحدة انه هو ؟ أيـن أذهب ؟ ماذا ؟ أشعر بانني مغروسة ها هنا ، عاجزة عن الهرب . لا تتخل عني يا اله السماء ! لا ، لـن تنتزعني من كارلي ليس في قلبي مكان لعبادتين ، وما أنا الا فتاة مسكينة فانية ! (مخرجة صورة كارل) وانت ، يا عزيزى كارل ، كن ملاكي الطيب ، احمني من هذا الغريب الذى جاء ليعكر صفو غرامي ! حسبي ان أتطلع فيك أنت دون أن أصرف عيوني عنك فتنتهي كل النظرات الكافرة التي أوليها للآخـر ! (تجلس في صمت ، وعيناها مركزتان على الصورة) .

كارل : انت ها هنا ، يا آنسـة ؟ وحزينة هكذا ؟ ودمعـة

مدروفة على هذه الصورة – (أماليا لا تجيب) . ومن هو الرجل السعيد الذى وضع لؤلؤة فضية في عيـون هذا الملاك ؟ هل استطيع ان أرى موضوع هذه العبادة؟

(يريد ان يرى الصـورة)

أماليـا : لا ، نعم ، لا .

كارل : (متراجعا) آه ! وهل يستحق العبادة ؟ هل يستحقها ؟

أماليـا : لو كنت عـرفته !

كارل : لكنتُ حَسَدْته .

أماليـا : عبدته . هكذا أردت ان تقول .

كارل : آه !

أماليـا : اوه ! كنت ستحبه . لقد كانت هناك اشياء ، اشياء كثيرة في وجهه ، في عينيه ، في نبرة صوته – أشياء كثيرة تجعله يشبهك ، وتجعلني احبه كثيرا .

(كارل يخفض عينيـه)

أماليـا : رأيته ألف مرة في الموضع الذى انت فيه ، وبالقرب منه تلك التي كانت في حضرته تنسى السماء والارض . وكان يلوح عليها انها تستشعر الثمن العظيم لهذه النظرة ، وتصير أكثر جمالا وهي تستشعر موضوع استمتاعها . هناك كان يسحر بموسيقى سماوية طيور الجو ، هناك في هذه الخميلة كان يقطف الورود ، يقطفها من أجلي أنا . هناك ، هناك كان يعانقني ، وكانت شـفتاه تلتهبان لدى مس شفتي أنا ، وكانت الأزهار تمـوت عن طيب خاطـر وقد داستها أقـدام العاشقين .

كارل : ألم يعد حيا ؟

أماليا : انه يبحر على بحار هائجة ، وحب أماليا يبحر معه . انه شارد في رمال عديمة الآثار في الفلوات ، وحب أماليا يجعل الرمل الساخن يخضر تحت قدميه ويجعل الآجام الوحشية تتفتح عن أزهار . شمس الجنوب تحرق رأسه المكشوف ، وثلوج الشمال تلوى أقدامه وزخات البَرَد تنصبّ على صدغيه ، وحب أماليا يهدهده في العاصفة بحار وجبال وآفاق تفصل بين العاشقين ، لكن قلبيهما يخرجان من هذا السجن الأرضي ، ويلتقيان في فردوس الغرام . – يبدو عليك الحزن ، أيها الكونت .

كارل : كلمات الغرام تحيي ايضا غرامي .

أماليا : (شاحبة) ماذا ؟ هل تحب واحدة أخرى ؟ يا لتعاستي ! ماذا قلت ؟

كارل : لقد اعتقدَتْ أنني ميت ، وبَقِيَتْ مخلصة لمن اعتقدت انه مات . وعَلِمَتْ انني في قيد الحياة ، وضحت لي بتاج قديسة . هي تعلم انني تائه في الصحراء وانني شارد في الشقاء ، وغرامها يطير للقائي في الصحراء والشقاء . واسمها ايضا : أماليا ، مثلك ، يا آنسة .

أماليا : كم أحسد أمالياك هذه !

كارل : اوه ! انها فتاة يائسة . لقد اعطت حبها الى رجل ضائع ، وهذا الحب لن يكافأ أبدا ، أبدا .

أماليا : بلى ، سيكافأ في السماء أو لا يقولون انه يوجد عالم

أفضل ، فيه ينعم البائسون ، ويلتقي العاشقون ؟

كارل : نعم ، عالم تسقط فيه الحجب ، ويتلاقى فيه العاشقون وهم في خوف . اسمه الأبدية ، وأمالياى فتاة بائسة .

أماليا : بائسة ، وأنت تحبها .

كارل : بائسة ، لأنها تحبني . كيف ؟ واذا كنت قاتلا ؟ ماذا ، يا آنسة ، واذا كان حبيبك يستطيع ان يعدد جرائمي بقدر ما أعطى من قبلات يا لأماليا المسكينة ! ما هي الا فتاة بائسة .

أماليا : (بوثبة فرح) آه ، كم أنا فتاة سعيدة ! غرامي الوحيد هو انعكاس للألوهية ، والألوهية انما هي لطف ورحمة : انه لم يكن يحتمل رؤية ذبابة تتألم . وقلبه بعيد عن خواطر القتل بُعْدَ النهار عن الليل .

(كارل ، منحرفا بسرعة ، يدخل في خميلة ، ويتطلع بحدة أمامه)

أماليا : (تغني بصحبة عودها) :

أتود ، يا هكتور ، ترحل للنهاية
حيث الحديد ، حديد ياكس ، مفزعا
يعطي لبتركل الضحية ؟
من ذا الذى سيعلّم ابنك في غدٍ رَمْيَ الرماح
وعبادة الارباب ، ان يبلعك سنتوس للابد ؟

كارل : (يأخذ العود دون ان ينبس بكلمة ويعزف)

هيا اذهبي ، زوجي الأمينة واحضرى رمحي المميت،
ودعيني امضي لرقصة الحرب الرهيبة .

(يرمي بالعود ويهرب)

المنظر الخامس

غابة مجاورة . الليل . في الوسط : قصر عتيق متداع

اللصوص (يعسكرون على الارض)

اللصوص : (يغنــون)

السرقة والقتل والفســق والشجار
لا تعني عندنا الا تبــديد الوقت
غدا ســنعلق في المشــانق
لهــذا دعنــا اليوم مسرورين
نحن نقضي حيــاة حــرة
حيــاة مليئــة باللذات
الغــابة مأوانا في الليــل
في العاصفة وفي الريح نعمــل
والقمــر هو الشمس عنــدنا
وعطــارد هو صــاحبنا
الذى يحســن العمل جيــدا
اليــوم لنذهب عند القســيس
وغدا عند المســتأجرين الاثرياء
أما ما يحدث في اليوم التالي فلا ننشــغلن بامره
ولندعه بين أيدى الله العــزيز
وبعصــير الكــرم نروى حلوقنــا
مستمدين منه القــوة والشجاعة

وانعقـــد أواصر الأخـــوة
مع الشـــيطان المتلظي في الجحيم
نواح آبـــاء مصروعين
وصراخ امهات جزعـــات
وانين العروس المهجـــورة
كلها نغمات نَطْرَبُ نحن لهـــا
هـــا ! وان ارتعدوا تحت المقصلة
وتخاوروا تخـــاور العجـــول
وتساقطوا كالذبـــاب
فان هذا يدغـــدغ عيوننـــا
ويشـــنف آذاننـــا
واذا جـــاءت ساعتنا
فليذهب بنا الشـــيطان
فهـــذا جزاؤنا !
فلنلمع احذيتنـــا
ولنشرب جرعة من ابنة الكرم الحـــارة
ونحن في الطريق ، ومرحى مرحى هيا
كما لو كنا طائريـــن .

اشفيتسر : وافي الليل ، والقائد لم يعـــد .

راتســـمن : لقد وعد بان يكون هنا في تمام الثامنـــة .

اشفيتسر : لو كان حدث له حادث ـ يا رفاقي ، اذن لكنا نحرق ونذبح حتى الرضعـــاء .

اشبيجلبرج : (متنحيا براتسمن ناحية) كلمة ، ياراتسمن .

اشفارتس : (مخاطبا جريم) ألا نرسل كشافة ؟

جـــريم : دعه . لابد انه ضرب ضربة تجعلنا جميعا نغار منـــه .

اشفيتسر : انت لا تدرى شيئا ، بحق الشيطان ! حين تـــركنا لم يكن يبدو عليه سيماء من يدبر ضربة شريرة . هـــل نسيت ما قاله وهو يجتاز المرج ؟ « من يسرق ولو لفتة من هذه الحقول فانه سيدفع راسه ثمنا لهـــــا لوعلمت ذلك ، هذا مؤكد تاكيد ان اسمى مور » . ممنوع علينا ان نسرق .

راتســمن : (يهمس الى اشبيجلبرج) ماذا تقصد بهذا ؟ تكلـــم كلاما اوضح .

اشبيجلبرج : صه ! صه ! لست ادرى اية فكرة لدى كل واحـــد منا عن الحرية ، حتى نكون هـــا هنا لجر العربة مثل الثيران ونحن نخطب خطبا طنانة عن استقلالنا . هـــذا امر لا يسرني .

اشفيتسر : (مخاطبا جريم) ماذا يجول بخاطر هذا الطائش ؟

اشبيجلبرج : صه ! صه ! جواسيسه في كل مكان ، وهم يتسمعون لنا . قائد ، تقول هذا ؟ من ذا الذى وضعه قائـــــدا علينا ؟ الم يغتصب هذا اللقب الذى هو من حقـــى ؟ كيف ؟ هل نضع حياتنا كلها في خطر ، ونضطر الى الخضوع لكل نزوات مصير سوداوى ، كيما ننتهى بأن نعلن انفسنا سعداء ان نكون عبيد عبد ؟ نعم عبيد، بينما نحن نستطيع ان نكون امراء ! والله ياراتســمن هذا الامر لم يسرني ابدا .

اشفيتسر : (مخاطبا الآخرين) نعم — انت في نظرى البطل الحقيقى القادر على ان يرمى ، من بعيد ، الضفادع بالاحجار . ان الضوضاء التي يحدثها انفه حين يتمخط تكفـــى لجعلك تمر من ثقب الابرة .

اشبيجلبرج : (مخاطبا راتسمن) نعم — منذ سنوات (٤٦) وانا اعتقد انه لابد من ان يتغير هذا . ياراتسمن ، اذا كنت من كنت اعتقده دائما ياراتسمن ! لقد اختفى ، ويمكن ان يعدّ نصف مفقود . راتسمن ! يلوح لى ان الوقت غير ملائم له . كيف ؟ ان ناقوس الحرية يدق مـــن اجلك ، وهذا لايضرج وجهك بالحمرة ! اليس لديك شجاعة كافية لتفهم علامة حزينة من علامات المصير ؟

راتســـمن : ايها الشيطان ، الى اين تريد ان تجـــر نفسى ؟

اشبيجلبرج : هل بدأت تفهم ؟ حسنا ، فلنستمر . لقد شاهدت اين دلف . تعال ، ان من النادر ان يخطىء مسدســـان التصويب ، واذن — سنكون نحن اول من يخنقـــون الرضيع .

(يريد ان يجره)

اشفيتسر : (هائجـــا ، يستل سكينه) آه ، ايتهـــا الدابة ! انت تذكرني في الوقت المناسب بمـــا جرى في غابـــات بوهيميا . الست انت ، ايها الجبان الرعديد ، اول من انخرع حين سمعت صائحا يصيح : ها هو ذا العدو ! هنا لك اقسمت بكل قلبي : ارحل ، ايها القاتـــل !

(يقتله)

اللصوص : (يتدافعون في اضطراب) قتل ، قتل ! اشفيتـــسر ، اشبيجلبرج ! احجزوا بينهما .

اشفيتسر : (راميا سكينه) هكذا ! فطس اذن . الهدوء يارفاقي ، لا تتوقفوا لهذا السبب . هذه الدابة السامة كانت دائما تغار من القائد وجلده لاتوجد فيه اية ندبة . مـــــرة اخرى ، كونوا هادئين . آه ، هذا السافل ! يريد ان يهاجم الناس من الخلف ، من وراء ظهورهم ! هل تصبب العرق منا على الاصداغ من اجل ان نرسل الى العالم الآخر حفنة كالاوغاد ؟ اذهب ، يا دابة . هـــل رقدنا في وسط النيران والدخان من اجل ان ننتهى مثل الفــئران ؟

جـــريم : لكن الى الشيطان ، يارفيقى ، ماذا كان بينكمـــا ؟ ستثور ثائرة غضب القائـــد .

اشفيتسر : سأتولى انا هذا الامر . وانت (مخاطبا راتسمن) ايها الشقى ، لقد كنت شريكه ، انت ! اغرب عـــنى — هكذا صنع شفترله ، ولهذا شنق الان في سويسره ، كما تنبأ له القائد .

(طلقات نار)

اشفارتس : (ناهضا) اسمعوا ، طلقة مسدس ! (طلقة اخرى) طلقة اخرى ! هولا ! انه القائد .

جـــريم : صبرا . لابد له ان يطلق ثالثة .
(تسمع طلقة ثالثة)

أشفارتس : انه هو ، انه هو . انج بنفسك ، يا اشفيتسر — ودعنا لننوب عنك .

(يطلقون عدة طلقات)

كارل وكوزنسكى (يدخلان)

اشفيتسر : (متقدما للقائهما) مرحبا ايها القائد . لم استطيـــع ان اضبط نفسى دائما ، منذ ان رحلت . (يقوده الى حيث الجثة) . كن حكما بيننا . لقد اراد ان يقتلك مـــــن الخلف .

اللصوص : (مبلسين) كيف ؟ القائـــد !

كارل : (مستغرقا في تأمله ، يصيح) يالها من فعلة غير مفهومة فعلها شيطان الانتقام ! اليس هذا الرجل هو الـــذى اسمعنى نشيد السيرينات (٤٧) Sirenenlied ؟ كرس هذا السكين لالهة الانتقام الغامضة . لست انت الذى فعلت هذا يا اشفيتسر .

اشفيتسر : والله لقد فعلته ، والشيطان يعلم ان هذا ليس اسوأ فعل ارتكبته في حياتي .

(يبتعد ، محنقا)

كارل : (متأملا) انا فاهم . يا اله السماء ، يا من تدبـــر كل شيء ! انا فاهم . الاوراق تتساقط من الاشـــجار ، وها هو ذا خريفى قد وافي . احملوا هذا الرجل بعيدا عن عينى .

(يحملون جثة اشبيجلبرج)

جـــريم : مرنا ، ياقائد . ماذا ينبغى ان نفعل الآن ؟

كارل : عما قليل ، عما قليل ، سيتحقق كل شيء . اعطنى عودى . انا نفسى قد ضعت منذ ان كنت هنـــاك .

اقول ، اعطني عودي . لا بدلي ان استرد قوتي بهذه الموسيقى المهدهدة . اتركوني .

اللصوص : لقد انتصف الليل ، يا قائـــد .

كارل : لم تكن هذه غير دموع في مسرح — لابدلي ان اسمع نشيد الرومان ، كيما اوقظ عبقريتي النائمة . عودي ! منتصف الليل ، تقولـــون ؟

اشفارتس : عما قليل ينتصف الليل . يغلبنا نعاس من رصـــاص . لم تغمض لنا عيون منذ ثلاثة ايام .

كارل : هل بلسم النوم يهبط اذن على عيون الاوغاد ايضـــا ؟ لماذا يهرب النوم مني ؟ لم اكن ابدا جبانا ، ولا شريرا. اذهبوا للنوم . وغدا ، في الصباح ، سنواصل سيرنا .

اللصوص : عِمْ مساءً ، ياقائـــد .

(يرقدون على الارض وينامون) (صمت عميق)

كارل : (يأخذ عوده ويعزف) :

بروتـــس

الا مرحبا بك ، ايتها الحقول الساجية
تقبلي آخر الرومانيين
من قلبي حيث حمى وطيس القتـــال
دلفت مسيرتي التي هدتها الغموم
كاسيوس ، اين انت ؟ هل ضاعت روما ؟
لقد ذبح جنودي وهم اخـــوان
لم يعد لي ملجأ غير باب المـــوت !
لم يعد لبروتس عالم بعد الآن !

قيصر

من ذا ينزل اذن بخطى لا تقهـــر
ينزل من منحـــدر الصخور
آه ! ان كانت عيوني لا تكذبني ؟
هذه خطى روماني .
يا ابن التيبر ، من اين انت قـادم ؟
هل لا تزال باقية المدينة ذات التلال السبعة ؟
كثيرا ما بكيت على الارملـة
التي لم يعد لهـا قيصر

بروتـــس

هأنت ذا قد عدت يا صاحب الجروح الثلاثةوالعشرين
من دعاك ، ايها الميت ، الى النـــور ؟
ارتجف الى الوراء عائدا الى هاوية الجحيم
ايها الباكي المتكبر ، لا تعتقدن انك منتصر
على مذابح فيلبي الفولاذية
يصاعد دخان دم الضحايا الاخيرة للحرية
روما تعالج سكرات الموت على نعش بروتس
بروتس ، ذاهب الى مينوس ، اختبيء تحت الامواج

قيصر

اوه ، ضربة قاتلة من سيف بروتس ،
حتى انت يابروتس ؟
ابن ــ لقد كان اباك ــ ابن ــ
كانت الدنيا ستكون ميراثا لك !
اذهب ــ اصبحت الاول من الرومانيين
لمـا أن أغمدت حديدك في صـدر أبيك

اذهب ـ اجعله يرن حتى تلك الابواب :
بروتس اصبح الاول بين الرومانيين
لما ان أخمد حديده في صدر أبيه ،
اذهب ـ انت تعلم الآن ما احتجزني على شاطىءالليثيه
أيها الملاح الاسود ، لنترك البر !

بروتس

أبتاه ، توقف ! ـ في ملكوت الشمس كله
لم أعرف غير واحد
يناظر قيصر العظيم :
هذا الواحد أنت سميته ابنك
قيصر واحد يمكنه ان يفسد روما ،
بروتس وحده كان يقدر على تخويف قيصر
أينما حَيّ بروتس فيجب ان يموت قيصر
اذهب ناحية الشمال ، ودعني اذهب ناحيةاليمين(٤٨)

(يضع عوده ، يغدو ويروح ، وهو غارق في خواطره)
من يضمن(٤٩) ؟ وكل شيء غامض تماما . أتاويه ملتوية جدا ، لا مخرج منها . ولا نجم يرشد . لو انتهى كل شيء مع النفس الاخير ، مثل لعبة عرائس لا طعم لها ! لكن فيم اذن هذا التعطش الحار للسعادة ؟ لماذا هذا المثل الاعلى لكمال ليس في المتناول ؟ كل هذه الخطط التي اجلت دون ان تنفذ ؟ لو كان الضغط البائس على هذا الشيء البائس (ممسكا بمسدس في يده أمام وجهه) يخفض الحكيم الى مستوى الاحمق ، والشجاع الى مستوى الجبان ، والكريم الى مستوى اللئيم ؟ ان في الطبيعة الجمادية انسجاما إلهيا ، فلم

هذا النشـــاز في عالم العقل ؟ لا ، لا ، هنالك ما هو اكثر من ذلك ، لانني لم أعرف السعادة أبدا .

أتظن انني سأرتجف ؟ يا أشباح من ذبحت من الناس ، لن أرتجف (ترتعد كل فرائصه) أنـــّاتكم الخائفـــة أمام الموت ، وجوهكم السود في الخنق ، جـــراحكم الفاغرة ليست الا حلقات في سلسلة القـــدر المحكمة ، وقد ارتبطت في النهاية بفراغ نفسي ، ومزاج مربياتي ومربي ، ومزاج أبي ودم أمي (يرتعد من القشعريرة) لما صنـــع مني القدر ثـــورا تخبيء أحشاؤه المدخنـــة الانسانية وهي في غليان وانصهار ؟

(يضغط المسدس على وجهه) الزمان والسرمدية ، يرتبط كلاهما بآن واحد . أيها المفتاح الرهيب الذى سيغلق من ورائي سجن الحياة ويفتح لي مقام الحيـــاة الابدية ، قل لي ، أوه ! قل لي ، الى أين ستقودني ؟ أيتها الارض الاجنبية التي لم تدر حولها أية ســـفينة ! انظرى ، ان الناس يرتخون تحت قوة هذه الصـــورة . وتوتر اللامتناهي يتضاءل ، والخيال ـ هذا النسناس المتقلب للعقل ـ يظهر أمام سذاجتنا ظلالا غريبة . لا ، لا ، ينبغي على الرجل الا يترنح ، كوني ما شئت ان تكوني أيتها الآخرة ، بشرط ان تبقى ذاتي وحـــدها مخلصة لي ! كوني ما شئت ان تكوني ، اذا كنت في القليل أستطيع ان أحمل معي ذاتي . الأمور الخارجية ليست بالنسبة الى الانسان الا مظهرا . أنا نفسي فردوس ذاتي وجحيم ذاتي . لو أنك منحتني عالمـــا صـــار

رمادا ، وزالت منه نظرتك ، وليس أمامي فيــه غبر الليل الموحش والقفر الدائم ؟ اذن لملأت تخيلاتي الوحدة الصامتة ، واستخدمت الأبدية لتمييز اللوحة المختلطة للشقاء الكلي . أو هل ستقودني ، بين ولادات جديــدة وألوان شــقاء جديدة ، درجة فدرجة – الى الفناء ؟ ألا أستطيع ان اكسر بسهولة – مثلما اكسر الحيــاة الارضية – نسيج الوجود المنسوج لي في الآخــرة ؟ يمكنك ان تجعل مني عــدما . واما هذه الحــرية فهي وحدها التي لا تستطيع ان تسلبني اياها . (يعمــر المسدس ثم يتوقف فجأة) ماذا ، هل لا بد من الموت خوفا من عذابات الحياة ؟ ومن الإقرار بانتصــار الشقاء ؟ كلا ، لن أحتمل . (يرمي المسدس) كبريائي تقوى على وضع حد لعذابي . سأمضي حتى النهاية .

(يتزايد الظلام)

هــرمن : (مخترقا الغابة) سمّاع ! سمّاع ! نعيب البــومة الرهيب ! منتصف الليل يدق هنالك في القرية . حسن ، حسن ، كل المجرمين ينامون ! (يتقدم نحو القصــر ويقرع الباب) اصعد ، أيها المسكين المقيم في هــذا البرج . طعامك جاهــز .

كارل : (متراجعا دون ضوضاء) ما معنى هذا ؟

صــوت : (خارج من القصر) : من الطارق ؟ هيه ! أهو أنت يا هرمن ، يا غُرابي ؟(٥٠)

هــرمن : نعم أنا هرمن ، غُرابك . اصعد الى القفص الحديدي وكُلْ .

(نعيب البوم) رفاقك في النوم يصرخون صرخات مخيفة . أهو طيب ، أيها العجوز ؟

الصـوت : كنت جائعا جدا . الشكر لمن ارسل الي الغراب حاملا الخبز في الصحراء ! وكيف حال ولدى العزيز ، يا هـرمن ؟

هـرمن : صـه ، اسمع . يلوح أنه شخر . ألا تسمع ؟

الصـوت : كيف ؟ هل تسمع شـيئا ؟

هـرمن : صفير الريح التي تهب خلال فروج البرج . وموسيقى ليلية تجعلني اصرف بأسناني وتزرق منها أظافرى . اسمع ، ايضا يخيل إلي دائما انني اسمع صفيرا . انت في رفقه ، أيها العجوز . هو ، هو ، هو !

الصـوت : أتبصر شـيئا ؟

هـرمن : وداعا ، وداعا . يا له من مكان مروع ! عد وانزل الى ثقبك . هناك في أعلى مخلصك ، من ينتقم لك . أيها الابن اللعين !

(يريد ان يهـرب)

كارل : (يسـد عليه الطريق ، وهو متهيج) : قف !

هـرمن : (صارخا) يا ويلتـاه !

كارل : قف ، أقول لك .

هـرمن : يا ويلتاه ، يا ويلتاه ، يا ويلتاه ! الخيانة !

كارل : قف ، تكلم . من أنت ؟ ماذا تفعل هنا ؟ تكلم !

هـرمن : الرحمة ، الرحمة يا سيدى . اسمع كلمة قبل ان تقتلني .

كارل : (ساحبا سـيفه) ماذا علي أن أسمع ؟

هـرمن : هذا حق ، أنت منعتني من هذا ، قسما بحياتي . لكني لم استطع أن أفعل غير ذلك ، لم يكن من حقي . إن في

السماء الها — وهناك يوجد أبوك . أشفقت عليـه . اقتلني !

كارل : ها هنا سر . اكشف عنه ، تكلم ! أريد ان أعـرف كل شيء .

الصـوت : (خارجا من القصر) يا ويلتاه ، يا ويلتاه ! أهو أنت يا هرمن الذى تتكلم هنا ؟ مع من تتكلم يا هرمن ؟

كارل : هناك شخص في أسفل . ماذا يجرى ؟ (مسرعا الى البرج) أهو سجين ألقى به الناس بعيدا عنهم ؟ أريد ان اكسر قيوده . قل لي ، أيها الصوت ، أين الباب ؟

هـرمن : الرحمة يا سيدى ، لا تذهب الى أبعد من هـذا ، يا سيدى . الرحمة ، امض في سـبيلك .

(يسـد عليه الطريق)

كارل : مغلق عليه اربع غلقات ! افسح الطريق . لا بد أن يخرج للمرة الاولى ، كوني في عوني ، يا صنـاعة اللصوص !

(يأخذ أدوات اقتحام ويفتح القضبان . وفي العمـق يخرج عجـوز متيبس كأنه هيكل عظمي)

العجـوز : الرحمة للمسكين الرحمة !

كارل : (متراجعا من الفزع) هذا صوت أبي !

مـور : الشكر لك يا إلهي ! دقت سـاعة الخلاص .

كارل : يا روح أبي ، من جاء لازعاجك في سلام القبر ؟ هل جررت في العالم الآخر خطيئة تغلق دونك أبواب الجنة؟

سأعمل على اقامة قداسات لتعود روحك الشاردة الى وطنها . هل دفنت تحت الارض ذهب الأرامل واليتامى ، أهذا هو ما يجعلك تئنّ في هذه الساعة من نصف الليل ؟ سأنتزع من مخالب التنين المسحور الكنز المدفون ، حتى لو قذفني بآلاف اللهب الابدية ؟ تكلم ، تكلم . أنا لست ممن يكسوهم الفزع بالشحوب

مور : لست روحا ، المسني ، أنا حي – اوه ، حياة بائسة تستدر كل رحمة .

كارل : ماذا ؟ ألم يدفنوك ؟

مور : نعم دفنوني : أعني ان جسد كلب قد دفن في قبر آبائي – أما أنا ، فاني منذ ثلاثة أشهر استهلك نفسي تحت أقبية هذا السرداب المظلم الذى لا ينفذ اليه ضوء الشمس ، ولا أحس فيه بأى نسمة من الهواء الدافىء ، ولا أستقبل أى صديق ، في هذا المكان الذى تنعق فيه الغربان المتوحشة ، وتنعب البومة في منتصف الليل .

كارل : بحق السماء والارض ، من فعل هذا بك ؟

مور : لا تلعنه . انه ابني فرانتس .

كارل : فرانتس ، فرانتس ؟ يا للعمى الابدى !

مور : ان كنت انسانا ، ولك قلب انساني ، أيها المنَجّي الذى لا أعرفه ، فاستمع الى صنوف الشقاء التي أوقعها ولد بأبيه . منذ ثلاثة أشهر ، وأنّاتي تقول ذلك للجدران العديمة الآذان ، لكن صدى الكهوف هو وحده الذى يرَجّع أنّاتي . ولهذا ، أن كنت انسانا ، ولك قلب انسان –

كارل : ان هذا الرجاء يكفي لاخراج الوحوش من جحورها .

مــور : كنت راقدا على فراش الاوجاع ، وبعد مرض شديد بدأت بعدها في استعادة بعض عافيتي ، واذا بهــم يأتونني برجل زعم أن ابني الاكبر قد سقط في ساحة القتال ، واحضر سيفا مصبوغا بدمه ، ووداعه الاخير قائلا ان لعنتي دفعت به في المعارك والموت واليأس .

كارل : (مشيحا بوجهه في ارتجاف) هذا واضح . . . .

مــور : اسمع الباقي . ولدى سماعي هذا الخبر ، أغمي عليّ : ولا بد أنهم حسبوني قد مت ، لاني حين أفقت ، كنت مسجى في النعش ، مغطى بالكفن كأى ميت . فقرعت غطاء النعش . ففتحوه . وكان ذلك في أعماق الليل ، وكان ابني فرانتس واقفا أمامي . ماذا ـ هكذا صاح بصوت مروع ، أتريد ان تعيش الى الأبد ؟ وفي الحال أغلق عليّ غطاء النعش بسرعة . وهذا الصوت الشبيه بصوت الرعد حرمني من وعيي ، فلما أفقت ، أحسست انهم حملوا النعش ووضعون في عربة ، على بعد نصف ساعة من هناك . ثم فتحوه . وكنت عنــد مدخل هذا القبو ، وابني أمامي ، ومعه الرجل الذى أحضر السيف المغطى بدم كارل . وعشر مرات قبلت ركبتيه ، ضارعا اليه ، ومعانقا له من جديد ومتوسلا اليه ، لكن تضرعات أبيه لم تصل الى قلبه . بل صاح بصوت كالرعد : أنزلوا هذا الرجل العجيب ، لقد عاش بما فيه الكفاية . وقذفوا بي دون رحمة في أعماق السرداب ، واغلق ابني فرانتس الباب ورائي .

كارل : هذا مستحيل ، مستحيل ، هذا جنون مطبق !

مــور : ربما كان هذا من الجنون . اسمع الباقي ، ولا تغضب . بقيت على هذه الحال عشرين ساعة ، ولم يحفل أحــد بما أصابني . لم يطأ احد هذه الوحدة ، اذ يروى في كل مكان أن أشباح آبائي تتجول ، في هذه الاطلال ، بأزيز قيودها ، وانها في الليل تردد نشيدها الحــزين ، نشيد الموتى . واخيرا سمعت الباب يفتح ، وأتاني هذا الرجل بخبز وماء . وكشف لي أنه حكم عليّ بالموت جوعا ، وان حياته ستكون في خطر لو عرفوا أنه أحضر لي طعاما . وعلى هذه الحال استطعت أن أبقى حيا كل هذه المدة ، لكن البرد القارس الذى لايتوقف والجو الفاســد من برازى ، والغموم التي تنتابني بغير توقف قد جعلت قواى تتخلى عنى ، وجعلتني أستهلك نفسي . والف مــرة تضرعت الى الله أن يميتني ، لكن يبدو ان عقابي لم يبلغ ذراه بعد ، أو أن فرحــة ما تنتظرني بعد ، حتى انني بقيت في قيد الحياة على نحو خارق للعادة تماما . لكن من العدل ان أتألم. يــا كارلي ! يا كارلي ! ــ انه لم تكن قد شابت له شعرة واحدة بعد .

كارل : هذا يكفي . قوموا ، يا خشب ، يا قطع ثلج ، يــا كسالى نائمون عديمــو الشعور . قوموا ! ألا يريد احد منكم ان يستيقظ ؟

(يطلق رصاصا من مسدسه فوق اللصوص النائمين)

اللصوص : (وقد انتفضوا مستيقظين) آه ! هولا ! ماذا جرى ؟

كارل : ألم توقظكم هذه القصة ؟ هل النوم الابدى توقف هو الآخـــر عن النوم ! انظروا ، انظروا ، ان نواميس الكون لم تعد غير لعبة نرد ، وروابط الطبيعة تفككت ، والنزاع القديم قد انطلق ، والابن قتل أباه .

اللصوص : ماذا يقول القـــائد ؟

كارل : لا ، لم يقتله ، فهذا تمويه للحقيقة ـــ الابن عذب أباه ألف مـــرة بالعجلة والخازوق وسلخه . اني أجد هذه الكلمات انسانية اكثر ممـــا ينبغي . ان الخطيئة نفسها تخجل من هذه الجريمة، وآكِلُ لحـــوم البشر يرتجف منها ، ومنذ ما لا نهاية له من القرون لم يتخيل الشيطان جريمة كهذه ـــ الابن يفعل هذا بأبيه ! اوه ! انظروا ، انظروا ، لقد وقع مهزولا ـــ في هذا القبو ، القى الابن بأبيه . البرد ، التعرى ، الجوع ، العطش ، اوه ! انظروا ، انظروا . انه أبي أنا ، لا بد لي أن أعترف لكم بذلك .

اللصوص : (جاءوا مسرعين واحاطوا بالعجوز) ابوك ، أبوك أنت ؟

اشفيتسر : (مقتربا باحترام وركوع) أى والد قائدى ، اني أقبل قدميك تستطيع ان تتصرف في خنجرى .

كارل : لينتقم لك ، لينتقم لك ، لينتقم لك ، أيها الشيخ الذى أهين اهانة بالغة مروعة . الآن أمزق الى الابد الرابطة الاخوية (يمزق ثوبه من أعلى الى أسفل) وامام السماء الفسيحة أصب اللعنات على كل قطرة من دم أخي . اصغي اليّ أيها القمر والنجوم ، اصغي اليّ يا ســـماء

متنصف الليل الذى شهد حدوث هذا العار . اسمع لي يا إلهي المثلث الجبروت يا من هناك في أعلى فوق القمر تحكم العالم ، يا من تنتقم وتدين فوق النجوم وترسل اللهيب المحرق فوق الليل ! اني أسجد ها هنا لك ، وامد اليك يدى اليمنى في فزع الليل — وأنا اقسم ها هنا — واذا حنثت في يميني ، فلتنبذني الطبيعة دابة متوحشة شريرة — أقسم ألا احيي ضـــوء النهار قبل أن يتصاعد أمام الشمس دخان دم قاتل أبيـــه مهـــراقا على هذا الحجـــر .

(ينهـــض)

اللصوص : يا لها من جريمة نكراء وحشية ! ثم يقولون بعد هـــذا أننا أشرار ! كلا ، بحق كل تنانين الجحيم ، لم نفعل مثل هذا أبدا .

كارل : نعم ، وبحق كل أنات الخوف التي انبعثت ممن قتلتهم خناجركم ، والتهمتهم نيرانكم ومن سحقهم برجي بسقوطه ، لن يخطر ببالكم خاطر قتل أو نهب قبل ان تنصبغ ملابسكم بدم هذا الشقي . انكم لم تحلموا أبدا بانكم ذراع جلالة عليـــا ؟ ان عقدة قدرنا المعقدة قد حلت . اليوم ، نعم اليوم جاءت قوة خفية لجعل مهنتنا نبيلـــة شريفة . صلوا لمن هيأ لكم هذا المصير السامي ، واقتادكم الى هنا ، وأكرمكم مثل الزبانية في محكمته المظلمة . احسروا عن رؤوسكم ! واسجدوا في التراب ثم انهضـــوا متطهرين .

(يســـجدون)

اشفيتسر : أمرك ، أيها القائد . ماذا يجب علينا ان نفعل ؟

كارل : انهض يا اشفيتسر ، والمس هذه الضفائر المقدسة . (يقتاده الى أبيه ويجعله يلمس شعر الشيخ) انت تذكر كيف انك في ذات يوم شججت رأس ذلك الفارس البوهيمي الذي أشهر سيفه فوقي ، بينما سقطت أنا ، مقطوع الانفاس منهوكا من كثرة العمل . حينذاك وعدتك بمكافأة سلطانية ، وحتى الآن لم أستطع ان أدفع هذا الدين .

اشفيتسر : انت أقسمت على هذا ، هذا صحيح . لكن اسمح لي أن أدعوك دائما مديني .

كارل : كلا ، الآن سأدفع . يا اشفيتسر ، حتى الآن لم يظفر انسان بمثل هذا الشرف . انتقم لأبي !

(اشفيتسر ينهض)

اشفيتسر : أيها القائد النبيل ، اليوم وللمرة الاولى أنت تملؤني فخرا ، مرْ ، أين ، كيف ، متى ، يجب علي ان أضرب ضربتي ؟

كارل : الدقائق مقدسة ، عليك بالاسراع . اختر أجدر من في العصابة وقدهم فوراً إلى القصر . اقتلعه من فراشه ان كان نائما أو بين أحضان الشهوة ، وجُرّه بعيدا عن المائدة ، ان كان بسبيل السكر ، وانتزعه من صليبه ان كان جاثيا للصلاة . لكن أقول لك ، وألح بكل دقة ، لا تأتني به ميتا . واذا خدشه واحد منكم أو مس شعرة من شعره ، فسأمزق لحمه

والقي به غذاء للرخم الجائع . أريده سليما ، واذا أتيت به حيا سليما ، ستكون مكافأتك مليونا ،سأسرقها من ملك حتى لو أدى ذلك الى فقداني حياتي ، وبعد ذلك تستطيع ان تذهب لشأنك حـــرا مثل الهواء الطلق.

اشفيتسر : هذا يكفي ، أيها القائد . أعدك بهذا . فاما ان نعـــود نحن الاثنين ، واما ألا ترى منا أحدا . يا زبانيـــة اشفيتسر ، تعالوا .

(يذهب ومعـــه مجموعة)

كارل : أما أنتم أيها الآخرون ، فتشتتوا في الغابة . وأنا سأبقى ها هنـــا .

* * * *

الفصل الخامس

المنظر الاول

منظر عــدة غــرف كثيرة . ليــل دامس

دانيل (يدخل ومعه مصباح وحقيبة)

دانيــل : وداعا ، يا بيت أمي(٥١) العزيز ! طالمـا استمتعت فيك بالكثير من الخير والحب ، حينما كان المرحوم السيد لا يزال حيا . اني أبكي على عظامك ، ياسيدى ، يا من صار بدنه نهبــا للفساد منذ زمان طويل في وسعك ان تطلب هذا من خادمك العجوز . ها هنا كان السقف الذى يحتمي به اليتامى ، والمرفأ الذى يلجأ اليــه المتروكون ، لكن ابنه جعل من هذا البيت خندقا للقتل. وداعا أيتها الارضية الطيبة ! لطالمــا كنسك دانيــل العجوز ! وداعا ، أيتها المدفأة الطيبة ، ان دانيــل العجوز يفارقك وملؤه الأسف . كل هذا صار أليفــا عندى ــ ان هذا سيؤلمــك ، يااليعازر (٥٢)العجوز . لكن ليحفظني الله بفضله من خداع الاشرار ونغالتهم جئت ها هنا خاوى اليدين ، وارحل من هنا خاوى اليدين ، لكن روحي نجت .

(في اللحظة التي يريد فيها ان يخرج ، يدخل فرانتس باندفاع ، وهو يلبس عبــاءة المخدع)

دانيـــل : اللهم احفظنا ! يا سيدى !
(يطفىء مصبـــاحه)

فرانتس : خيانة ، خيانة ! القبور تقيء أشباحا . ملكوت الموتى ، وقد خرج من السبات الأبدى ، يزأر ضـــدى يا قاتل ، يا قاتل ! من يتحرك ها هنا ؟

دانيـــل : (بقلق) عونك يا أم الرب المقدسة ! أهو أنت ، يا سيدى ، الذى يرسل خلال العباب هذه الصرخات المفزعة التي ينتفض من هولها كل النائمين ؟

فرانتس : النائمين ؟ من أمرك أن تنام ؟ هيا أشعل النور .
(دانيل يخرج ، ويدخل خادم آخـــر) لا يحق لاحد أن ينـــام في هذه الساعة فاهم ؟ الجميع يجب ان ينهضوا ، ويمتشقوا السلاح ، ويحملوا البنادق معمـــرة بالذخيرة . ألم تر هناك كيف يتزلقون ، على طـــول الرواق ؟

الخـــادم : من ، يا ســـيدى ؟

فرانتس : من يا أبلـــه ، من ؟ يا اه من سؤال بارد عديم المعنى . ألم يقفزوا عليّ كالدوار . من ؟ أشباح وشياطين ! كم الســـاعة ؟

الخـــادم : حارس الليل قد أعلن ان الساعة هي الثانية .

فرانتس : ماذا ! هل تدوم هذه الليلة حتى يوم الحساب ؟ ألا تسمع الضجة ، هناك بالقرب منا ؟ صرخات انتصارهم ؟ ركض الخيول ؟ أين كارل ــ أقصـــد : الكونت ؟

الخـــادم : لا أعلـــم ، يا ســـيدى .

فرانتس : لا تعلم ؟ هل أنت فــرد في العصابة ؟ سأنتزع قلبك من بين ضلوعك برفسات قدمي ، أنت وجــوابك اللعين : لا أعلم . اذهب واحضر القسيس .

الخــادم : ســيدى !

فرانتس : أتغمغم ؟ تتردد ؟ (الخادم الاول يخرج مسرعا) . ماذا ؟ هؤلاء الشحاذون متآمرون هم أيضا ضــدى ، بحق السماء والجحيم ! إنهم جميعا متآمرون ضدى !

دانيــل : (عائدا ومعه نور) سيدى !

فرانتس : كلا ، أنا لا أرتجف . لم يكن هذا إلا حلما . إن الموتى لا يبعثون بعد . من قال أنني أرتجف وأن وجهي شاحب ؟ إني أشــعر بأني خفيف ، وفي عافية !

دانيــل : انت شاحب كالميت ، وصوتك خواف متلعثم .

فرانتس : أشعر بحمى . حين يأتي القسيس ، قل له فقط أنني محموم ، وغدا سأفصد ، قل هذا للقسيس .

دانيــل : هل تأمر ان أصب من اكسيرك على قطعة من السكر ؟

فرانتس : صب لي على سكر ! إن القسيس لن يحضر في الحال . صوتي خواف متلعثم . صب لي اكسيرا على قطعة سكر

دانيــل : أعطني أولا المفاتيح ، وسأغدو لأبحث عنه تحت ، في الصــوان .

فرانتس : لا ، لا ، لا ! ابق أو سأذهب معك . أنت ترى أنني لا أستطيع أن أبقي وحدى ! إذ يمكن أن يغمى علي بسهولة لو أنني بقيت وحدى . دع عنك هذا ، دع عنك هذا ! سيزول هذا . ابق .

دانيـــل : اوه ! لكنك مريض على نحو خطـــر .

فرانتس : نعم حقا ، نعم حقا ! هذا كل ما في الامر . والمرض يعكر صفاءالمخ ، ويولد أحلاما غريبة مجنونة . الأحلام لا تدل على شيء ، أليس كذلك يا دانيل ؟ الأحلام تصـــدر عن البطن ، والأحلام لا تدل على شيء . وقد رأيت منذ قليل حلما بهيجا .

(يســـقط مغشـــيا عليه)

دانيـــل : يا يسوع المسيح ! ما هذا ؟ جيورج ، كونراد ، بستيان ، مارتن ! اعطوا دليلا على وجودكم ! (يهز فرانتس) . يا مريم ، يا مجدلية ، يا يوسف ! كونوا عقلاء ! سيقولون انني أنا الذى قتلته ! ليرحمني الله !

فرانتس : (بتشوش) امش ، امش ! لماذا تهزني ، ايها الهيكل العظمى المخيف ؟ الموتي لا يبعثون بعد —

دانيـــل : ايها الخير الابدى ! لقد فقد عقله .

فرانتس : (ينهض وهو منهوك القوة) اين انا ؟ اهو انت يادانيل؟ ماذا قلت انا ؟ لاتلق بالا . مهما يكن ، فانه كذب ، تعال ، ساعدني على النهوض . انه مجرد قليل مـــــن الدوار لانني ، لانني لم انم بما فيه الكفاية .

دانيـــل : آه لو كان يوهسان هنا حاضرا . سأطلب النجدة ، ساطلب اطباء .

فرانتس : ابق ، اقعد الى جوارى على الاريكة ! هكذا ! انت رجل عاقل ، رجل طيب ، اريد ان اقص عليك . .

دانيـــل : ليس الآن ، في مرة اخرى ! سارقدك على السرير ، فالراحـــة انسب لك .

فرانتس : لا ، ارجوك ، دعني اقصص عليك ، واسخر مني ما شئت . هكذا لاح لي انني احتفلت احتفالا سلطانيا لاني كنت طيب المزاج الى اعمق اعماق قلبي . كنت نصف سكران ، راقدا على خضرة النسيان ، وفجأة — وكان ذلك قرب الظهر — فجأة ، لكن اقول لك اسخر مني ما شئت .

دانيـــل : فجـــأة ؟

فرانتس : فجأة ، في نومي ، جاءت ضربة رعد شديدة فقرعت اذني ، فقمت وانا اترنح ، ولاح لي انني ارى كل الافق يشتعل بنار شديدة ، وان الجبال والمدن والغابات تنصهر انصهار الشمع في التنور ، وان اعصارا مزمجراً يكنس البحر والسماء والارض ، ولاح لي اني اسمع ابواقا من النحاس تُصَوّت صائحة : ايتها الارض اخرجي امواتك ، اخرجي امواتك . ايها البحـــر وبدأت الحقول الجرداء تصرخ صرخات تشبه طلـــق الولادة ، وترمي نحو السماء بالجماجم والاضـــلاع والفكوك والسيقان وقد تجمعت لتكوين اجســـام بشرية ، وسالت في سيل متواصل وتوال حـــتى هنالك رفعت عيني ، واذاني عند ،سفح (حضيض) جبل سيناء وقد اصابتني صاعقة ،ومن فوقي ومـــن تحتي حشد متراحم و على قمة الجبل ، على ثلاثـــة

كراسى ذات دخان ثلاثة رجال كانت المخلوقات تهرب من نظراتهم .

دانيــــل : هذه صورة شبيهة بيوم الحساب

فرانتس : أليس هذا كله مجرد تهاويل جنونية ؟ هنالك تقـــــدم شخص شبيه بالليلة ذات النجوم ، كان بين يديـــه خاتم من النحاس يمسكه بين المشرق والمغرب قائلا : صمد ، مقدس ، عادل ، لا يتغير ! لاتوجد غـــير حقيقة واحدة ، ولا يوجد غير فضيلة واحدة ! الويل ، الويل ، الويل للمخلوق البائس الذى يشك . — ثم تقدم شخص ثان ، وكانت في يـــده مرآة لامعة ، كان يمسكها بين المشرق والمغرب قائلا : هذه المرآة هى الحقيقة ، ان النفاق والتمويه لا يثبتان امامها . هنالك اصابنى فزع ، وكذلك سائر الناس ، لاننا شاهدنا ، منعكسة في المـــرآة الرهيبة ، اشكال افـــاع ونمور وفهود . — وحينئذ تقدم شخص ثالث ، وكانت في يده موازين نحاسية كان يمسكها بين المشرق والمغرب ، قائلا : تقدموا ، يا ابناء آدم ، سأزن افكاركـــم في كفة غضبى ، وسأزن اعمالكم باوزان سخطى .

دانيــــل : رحماك ياربي .

فرانتس : الجميع كانوا هناك شاحبين كالثلج ، وكان الانتظار يخفق قلقا في كل صدر . ولاح لى اني اسمع اسمـــى يتردد اول اسم بين اعاصير الجبل ، وفي اعماق عظامى تجمد نخاعى ، وسمع لاسناني صريف . وبسرعـــــة اخذت الموازين في الرنين ، والصخرة في الدوران ،

ومرت الساعات الواحدة تلو الاخرى امام الكفة المائلة ناحية اليسار ، والواحدة تلو الاخرى تلقى فيها خطيئة كبيرة من الخطايا المميتة .

دانيـــل : اوه ، ليغفر لك الله !

فرانتس : لم يفعل ذلك . تكدس على الكفة جبل ، اما الكفة الاخرى المحملة بدم الفداء ، فبقيت مرفوعة في الهواء. وفي النهاية ، جاء شيخ عجوز حناه الهموم ، وذراعه نهشتها لسعات الجوع الهائجة ، والجميع اشاحوا خائفين بعيونهم . وتعرفت هذا الرجل ، وقطع خصلة من شعره الفضي ، والقى بها في كفة الخطايا ، واذا بالكفة تنزل ، وتنزل فجأة حتى في الوهاد ، بينما كفة النجاة تصاعد عاليا جدا . وحينئذ سمعت صوتا يخرج من الصخور ذات الدخان : المغفرة ، المغفرة لكل خطاة الارض والهاوية ! وانت وحدك المدان . (بعد وقفة طويلة) والآن ، لماذا لا تضحك ؟

دانيـــل : أنىّ لى ان اضحك ، وانا ارتعد رعبا وفزعا ! ان الاحلام تأتي من الله .

فرانتس : تبا ! لاتقل هذا . . قل عنى اني مجنون ، مجنون مخرف تافه ! افعل هذا ، ياعزيزى دانيل ، ارجوك، اسخر مني كما ينبغي ،

دانيـــل : الاحلام تأتي من الله . سأصلى من اجلك .

فرانتس : انت تكذب ، امش فورا ، اجر ، اقفز . اذهب وفتش عن القسيس ، واطلب منه ان يأتي حالا بسرعة ، بسرعة . لكنني اقول لك انك تكذب .

دانيـــل : (ذاهبا) ليرحمك الله !

فرانتس : حكمة شعبية ، خوف شعبي ! ولم يقل بعد ان الماضى لم يمض حقا ، وان عينا تنظر فوق النجوم . هَمْ ! هَمْ ! من الذى جاء يهمس لى بهذا ؟ هل يوجد منتقم فوق النجوم ؟ كلا ، اقول هذا ! مخبأ بائس تريد ان يتستر فيه جنبك ! إنها الصحراء ، الخلوة ، لا أحد يسمعك هناك ، فوق النجوم ! لكن لوكان هنـــاك ـــ مع ذلك ـــ شيء أكثر ؟ كلا ، كلا ، لايوجـــد شيء ! أنا آمر بهذا ، لا يوجد شيء . لكن لو كان هناك شيء مع ذلك ؟ الويل لك ، لوكان كل شيء قد سجل ، ولو تم حسابك امام نفسك هذه الليلـــــة نفسها ؟ لماذا تسرى في نفسي رعدة وتنفذ في عظامى؟ ان اموت ! لماذا تستولى علىّ هذه الكلمة هكـــذا ؟ تقديم حساب الى المنتقم هناك في اعلى فوق النجوم ، واذا كان عادلا ، فان صرخات اليتامى والارامـــل والمضطهدين والمعذبين تتصاعد نحـــوه ! واذا كان ، عادلا ، فلماذا تألموا ؟ لمـــاذا تغلبت عليهم ؟

القسيس موزر (يدخـــل)

مـــوزر : لقد ارسلت في طلبي ، ياسيدى . انا مندهش . هـــذه هى المرة الاولى في حياتي . . هل في نيتك ان تستهزىء بالدين ، او بدأت ترتجف منه ؟

فرانتس : ان استهزىء، او ان ارتجف ـــ هذا يتوقف على اجابتك انت . فاهم ؟ قسما بحياتك ، آمرك بان تجيب علىّ .

مـــوزر : ان تستدعى العلى القدير امام محكمتك . والعلى القدير سيجيب عليك ذات يوم .

فرانتس : الان اريد ان اعرف الآن ، فورا ، كيلا ارتكب الحماقة المخجلة اعني التوجه في محني الى معبود العامة. كثيرا ماقلت بابتسامة ساخرة ، وانا اشرب كأساً من النبيذ البورجوني : لا يوجد اله ! والآن انا اكلمك بجد واقول : لا يوجد إله . فبرهن لى على عكس ذلك بكل الاسلحة التى تملكها ، بيد انى ، بنفخة من فمي سأقضي عليها .

موزر : ليتك تستطيع ان تقضي ، بنفخة ، وبهذه السهولة على الصاعقة التى ثقلها عشرة آلاف قنطار والتى ستنقض على روحك المغرورة ! هذا الاله العليم بكل شيء والذى تود حماقتك وشرارتك ان تقضيا عليه في مخلوقاته ليس في حاجة الى تبرير ذاته بواسطة فم كائن ما هو الا تراب . انه عظيم في تجليات الاستبداد بقدر ما هو عظيم في اية ابتسامة تصدر عن الفضيلة المنتصرة.

فرانتس :لا بأس بما تقول ياقسيس ! انك تسرني .

موزر : انا ها هنا محامي سيد اكبر ، وانا اخاطب انسانا ، مخلوقا بائسا مثلى ، لا اسعى ان أسره . من المؤكد انه لابد ان اكون قادرا على صنع معجزات من اجل ان انتزع اعترافا من عنادك الفاسد . لكن اذا كان اعتقادى راسخا هكذا ، فلماذا استدعيتنى ؟ اجبنى ، لماذا استدعيتني في منتصف الليل ؟

فرانتس : لانني شعرت بالملل ، ولم تكن عندى رغبة في اللعب بالشطرنج . اريد ان اتلهى بمعاكسة رجال الدين وليست ترهيباتك الفارغة هى التى ستسلبنى الشجاعة .

انا اعلم ان من لم يجد السعادة على الارض يرجوها في الابدية لكنه سيخيب رجاؤه خيبة شنيعة . لقد قرأت باستمرار ان وجودنا نتاج للدورة الدموية ، ومع آخر قطرة دم ستزول روحنا وفكرنا . ان الروح تشارك في كل اسقام البدن ، افلا تتوقف عن الوجود عند فناء البدن ؟ الا تتبخر حين يبدأ البدن في التعفن ؟ يكفى ان تسيل قطرة من الماء في مخك كي تتوقف الحياة فجأة عند حدود عدمها ، واذا استمر هذا فانه هو الموت. والحساسية لا ترجع الا الى اهتزاز بعض الاوتـــار ، والبيانو اذا تحطم فلن يرن بعد . واذا هدمت قصوری السبعة ، واذا حطمت تمثال فينوس هذا ، انتهـــــى التمثال والجمال . وتلك هي نفسك الخالدة .

مـــوزر : هذه فلسفة يأسك . لكن قلبك الذى ينبض بقلق بين ضلوعك ، بينما تفتش عن كل براهينك يكذبـــك كلمة واحدة تكفى لتمزيق هذا النسيج من المذاهب ! لابد من الموت ! وانا اتحداك ، هذه ستكون التجربة لو بقيت ثابتا في الموت ، ولم تنحل عنك مبادؤك في هذه اللحظة ، لحظة الموت ، فانك تكون قد كسبت . لكن اذا استولى عليك اقل خوف في لحظة المـــوت ، هنالك فالويل لك ! ستكون حينئذ المخطىء المخدوع .

فرانتس : (مضطربا) اذا استولى عليّ الخوف في لحظة الموت ؟

مـــوزر : لقد شاهدت يائسين آخرين كانـــوا ، حتى تـــلك اللحظة ، يقابلون الحقيقة بتحد عنيد ، لكن امام الموت نفسه تبدد الوهم سأكون عند فراش موتك حين تموت

ـ اذ يشوقني ان ارى مستبدا يرحل ـ سأكون هناك، وساتطلع في عينيك حين يأخذ الطبيب يدك البـــاردة المغطاة بالعرق ، وبصعوبة يعثر على نبضك الخافـــت جدا ، ثم يرفع عينيه ويقول لك ، بهزة مروعـــة من كتفيه : كل معونة انسانية عبث لا فائدة فيه . هنالك احـــذر ، احـــذر ان يبدو عليك مظهـــ . تشرد او نيرون (٥٣)»

فرانتس : لا ، لا .

مـــوزر : « لا » هذه هي الاخـــرى ستصير « نعـــم » باكيـــة بالدموع . ان محكمة باطنة لا يستطيع ان يفسدهــــا شكك بأبحاثه الدقيقة ، ستستيقظ حينئذ وتصدرحكمها عليك . لكنها ستكون تغطية شبيهة بتغطية المدفون حيا في مقبرة . سيكون خنقـــا شبيها بخنق المنتحر الذى يضرب نفسه الضربة القاتلة ويأسف عليها . سيكـــون ضربة صاعقة تشعل ليل حياتك . سيكون نظـــرة لو استطعت احتمالها لكسبت .

فرانتس : (يغدو ويروح باضطراب) كل هذا ثرثرة قساوسة!

مـــوزر : حينئذ ، للمرة الاولى ، تنفذ خناجر الابدية في نفسك، وهذه المرة الاولى سيكون الاوان فيها قد فات . ان فكرة الله توقظ فكرة رهيبة مجاورة لها ، هي فكـــرة القاضي . وانت ، يامور ، بين يديك حياة آلاف من الناس ، وفي كل الف اشقيت حياة تسعمائة وتســـعة

وتسعين . ولكي تكون نيرون Neron لا ينقصك الا الامبراطورية الرومانية ،ولكي تكون بيثاور (٥٤) Pizarro لا ينقصك الا بلاد البيرو Peru فهل تعتقد ان الله سيسمح لرجل واحد ان يتصرف تصرف الهائج المجنون في الكون ، ويقلب كل شيء رأسا على عقب ؟ وهل تعتقد ان هؤلاء التسعمائة والتسعة والتسعين وجدوا من اجل دمارهم ، كيما يكونوا ألا عيب لتسلياتك الشيطانية ؟ اوه ! لا تظنن هذا . كل دقيقة قتلتها لهم ، وكل سرور سممته لهم ، وكل كمال حلت بينهم وبين بلوغه ، سيحاسبك عليه ذات يوم ، واذا وجدت ما تجيب به يامور فستكون قد كسبت .

فرانتس : كفى ، لا تنطق بكلمة واحدة اكثر من ذلك ! اتزعم انني سأضع نفسي تحت امرة احلامك السوداوية ؟

موزر : انظر ، ان مصير الناس خاضع لتوازن رهيب . فان رجحت الكفة في هذه الدنيا ، فانها ستشيل في الآخرة ، واذا شالت هنا ، رجحت هناك . وما كان هنا ألما عابرا سيكون هناك فوزا ابديا ، وما كان هنا فوز عابرا ، سيكون هناك قنوطا ابديا لا نهاية له .

فرانتس : (واثبا على نحو متوحش) اخرستك الصاعقة ، ياروح الكذب ! سأمزق لسانك اللعين خارج فمك .

موزر : هل شعرت بوطأة الحقيقة مبكرا هكذا ؟ ومع ذلك فانني لم أسُقْ بَعْدُ أيَّ برهان من براهيني . فلننتقل الآن الى البراهين .

فرانتس : اخرس ، واذهب الى الشيطان انت وبراهينك . ستعدم الروح ، اقول لك ، ولا تحاول الرد عليّ .

مــوزر : هذا ما يطلبه المدانون في الهاوية مما يطلقون مــن صرخات ، لكن الذى في السماء يهز رأسه . اتتصور انك ستفلت من يد الله المنتقمة بأن تهرب الى مملكـة العدم الخاوية ؟ اصعد الى السماء ، انه هناك ، التجىء الى الجحيم ، انه ايضا هناك . قـل لليل : زمّلنى ! وللظلمات : خبئيني ! لابد ان تلمع الظلمات حولك ، وان تضيء الليل العميق ادانتك مثل النهار — وروحك الخالدة ستتمرد ضد هذه العبارات ، وتتغلب على هذه الافكار العميــاء .

فرانتس : لكنى لا اريد ان اكون خالدا . وليخلد من شاء ، فاني لا استطيع ان امنعه من ذلك . وسارغـم الله على ان يفنيني ، سأثير غضبه حتى يفنيني في هــذا الغضب . قل لى ما هى اكبر الكبائر ، التى تثير غضبه اكثر من غيرهــا ؟

مــوزر : لا اعرف منها غير اثنتين . لكن الناس لا يرتكبونهما ، ولا يشعرون بوجودهمــا .

فرانتس : وهاتان الكبيرتان ما همــا ؟

مــوزر : (بقوة) احداهما تسمى قتل الاب ، والثانية تسمــى قتل الاخ . لماذا صرت شاحبا كل هذا الشحوب فجأة؟

فرانتس : كيف ، ايها الشيخ ؟ هل بينك وبين السماء او الجحيم ميثاق ؟ من قال لك هــذا ؟

مــــوزر : الويل لمن يحمل على ضميره هاتين الخطيئتين . كان الاولى به الا يولد ابدا . لكن هدىء روعك ، فليس لك أب ولا أخ .

فرانتس : آه ! كيف ، ألا تعرف خطيئة افدح ؟ فكر مليــا . الموت ، السماء ، الابدية ، الادانــة ــ كلها معلقة بكلمة منك . ألا تعرف خطيئة افدح ، ولا خطيئــة واحــدة ؟

مــــوزر : ولا واحــدة .

فرانتس : (ينهار على كرسى) انها الفناء ، الفناء !

مــــوزر : افرح اذن افرح اذن ! اعتبر نفسك سعيدا . على الرغم من كل جرائمك الفظيعة فأنت لا تزال قديســـا ، بالمقارنة مع من يقتل اباه . واللعنة النازلة بك ، بالمقارنة مع تلك التى تنتظر قاتل ابيه ، هى نشيد غرام ، هى الكفــارة ــ

فرانتس : (قافزا) اذهب الى اعماق الجحيم ، ايتها البومــة العتيقة ، من طلب منك المجىء الى هنا ؟ امش ، اقول لك ، والا انفذت الخنجر في بدنك .

مــــوزر : هل ثرثرة قسيس تستطيع ان تسخن اذني فيلسوف ؟ دعه يختف بنفخة من فمــك .

(يخــرج)

(فرانتس ، في شدة الاضطراب ، ينهار على كرسى .

صمت عميق)

خادم (يدخل مسرعا)

خـــادم : اماليا هربت ، والكونت اختفى فجـــأة .

دانيـــل (يدخل وعليه سيماء القلق)

دانيـــل : ياسيدى ! جماعة من الفرسان المندفعين تنحدر على المنحدر راكضة . وهم يصيحون : الى القتل ، الى القتل ! وكل القرية انذرت .

فرانتس : اذهب ، وليدقوا كل الاجراس ، وهرعوا جميعا الى الكنيسة ، وليركعوا وليصلوا من اجلى ، وليطلـــق سراح المسجونين ، وسأرد الى الفقراء مثلين بل وثلاثة امثال ما اخذ منهم ، اذهب اذن واستدع متلقـــى الاعتراف ، وليغفر لى كل خطاياى . ألم تذهب بعد ؟

(الهيجان يزيد)

دانيـــل : ليغفر لى الله كل ذنوبي ! كيف يمكن ان اتصور هذا؟ انت كنت دائما تلقي بالصلوات فوق كل السطوح ، وضربت رأسى بكتاب المواعظ وبالكتاب المقـــدس الخاصين بي ، حينما فاجأتنى وانا اصلى .

فرانتس : لا تنطق بحرف في هذا الصدد . الموت ، الموت ، كما ترى ! سيكون الاوان قـــد فات . (يسمع صوت اشفيتسر الغاضب) صل اذن ، صل !

دانيـــل : قلت هذا لك دائمـــا . لكنك كنت شديد الازدراء للصلاة ، لكن حذار ، حذار ! حينما يدهم الخطر ، ويصعد الماء حتى يبلغك ، فانك تعطى كل كنـــوز الدنيا ثمنا لاقل انه يتفشها مسيحى تقى . هل ترى هذا ؟ لقد كنت تسخر منى ، وهأنت ذا تقع في هذا الآن ! هل ترى هذا ؟

فرانتس : (يعانقه بقوة شديدة) سامحني ، ياعزيزى ، يا دانيل النفيس ، ياكنزى ! سامحني . سألبسك ثيابا جديـــدة من رأسك حتى قدميك ، لكن صل اذن ــ ستكون جميلاً مثل العريس ، سأذهب لكن صلّ اذن . اتوسل اليك ، اتضرع اليك راكعا . باسم الشيء . . . لكـــن صلّ اذن .

(هرج ومرج في الطرقات ، صراخ ، ضجيج)

اشفيتسر : (في الشارع) اهجموا ، اقتلوا ! اقتحموا البـــاب ! اشاهد ضوءا . لابد انه موجود هنـــاك .

فرانتس : (راكعا) استمع لدعائي يا الله الذى في السماء . هذه هى المرة الاولى ــ مؤكد ، هذا لن يحدث مرة اخرى . سامحني ، يا الله الذى في السماء .

دانيـــل : ماذا تفعل ؟ صلاتك صلاة كافر .

(الشعب يهرع)

الشـــعب : الى اللص ! الى القاتل ! من يحدث هذه الضجة المروعة في منتصف الليـــل ؟

اشفيتسر : (لا يزال في الشارع) ادفعهم الى الوراء يا رفيقـــى . انه الشيطان قد جاء ليأخذ سيدكم . اين اشفارتـــس وفرقته ؟ حاصر القصر يا جرّيم ! هاجم السور المحيط !

جـــريم : احضروا مشاعل ! سنصعد والا فلينزل . سألقى بالنار في غرفتـــه . .

فرانتس : (وهو يصلى) لم اكن قاتلا عاديا يا الهى ! ولم اشغل نفسى ابدا بهذه التفاصيل ، يا ربي ــ

دانيـــل : فليرحمنا الله . صلواته نفسها هي خطايا .

(تتطاير الاحجار والشعلات من كل ناحية ، والواح الزجاج تتساقط ، والقصر يحترق)

دانيـــل : يايسوع ! مريم ! انجدانا ! القصر كله يحترق .

فرانتس : خذ هذا السيف ، بسرعة ، واغرزه في ظهري ، حتى لا يأتي هؤلاء الاوغاد فيجعلوا مني العوبتهم .

(الحريق يتزايد وينتشر)

دانيـــل : حاشا لله ، حاشا لله ! لا أريد ان ارسل احدا الى السماء قبل أوانه ، وبالاحرى قبل اوانه بكثير —

(يهـــرب)

فرانتس : (ينظر اليه وهو يخرج ، بعد فترة صمت) الى الحجر ، هكذا اردت ان تقول . (وهو تائه) أهذه اناشيـــد الهاوية ، اهم انتم الذين اسمع صفيرهم ، يا افاعي الهاوية ؟ انهم يقتحمون السلم ، ويحاصرون الباب ، فلماذا ارتجف أمام هذا النصل الذي سينفذ في بـــدني؟ الباب يترنح ، يسقط ، لا استطيع الافلات منهـــم آه ارحمني اذن .

(ينتزع الحبل الذهبي من قبعته ويخنق به نفسه)

اشفيتسر (ورجالـــه)

اشفيتسر : ياقاتل ، يا سافل ، اين انت ؟هل رأيت كيف هربوا؟ اصحابه قليلون الى هذا الحد ؟ اين اختفى هذا العتُلُّ

جـــريم : (مصطدما بالجثة) قفوا ! من يعترض الطريــــق ؟ اضيئوا هنا .

اشفارتس : لقد سبقنا . اغمدوا سيوفكم . ها هو ذا ، كالقـــط الميت .

اشفيتسر : مات ، كيف ، مات ؟ مات من غيري انا ؟ هذا ليس صحيحا ، اقول لك . حذار ، سيقفز . (يهـــــزه) هوه ! ثم هب ليقتل .

جــريم : لا داعي ، لقد مات فعلا .

اشفيتسر : (مبتعدا) نعم ، الخبر لايسره . لقد مات فعـــــلا . عودوا فقولوا للقائد انه مات فعلا ، وانه فيما يتعلـــق بي انا ، فلن أُرى بعد الآن .

(يطلق رصاصة على نفسه)

المنظر الثاني

مكان المنظر هو نفس مكان المنظر الاخير من الفصل الرابع

مور الاب جالسا على حجر ، كارل في مواجهتـــــه لصوص يغدون ويروحون في الغابـــة

كارل : هولا يأتي ؟

(يضرب بخنجره على حجر ، فينطلق شرر)

مـــور : ليكن العفو عقوبة ، وليكن تضاعف حبي هو انتقامي .

كارل : لا ، وحق غضبة نفسي ! هذا لا يجوز . ولا اريده . يجب ان يحمل وزر جريمته وهو ينتقل الى الابديـــة . او ، لماذا اذن قتلته ؟

مـــور : (تفيض منه الدموع) اوه ، يا ولـــدى !

كارل : ماذا ؟ اتبكى عليه ؟ وعند هذا البرج ؟

مـــور : الرحمة ، الرحمة . (ضاما كفيه) في هذه اللحظة . في هذه اللحظة تجرى محاكمة ولـــدى .

كارل : (بفزع) اى ولديك ؟

مـــور : آه ! ما معنى هذا السؤال ؟

كارل : لا شيء ، لاشيء .

مـــور : هل اتيت لتسخر من محنتى ؟

كارل : ان ضميرى يفضحنى . لا تلق بالا لكلماتي .

مـــور : نعم ، لقد عذبت احد ولدى ، ولا بد ان الاخـــــر يعذبنى بدوره ، تلك يد الله . ايه يا كارلى ، كارلى ، لو جئت لتحلق حوالىّ في ثوب السلام الابـــدى ، سامحنى ، أوه ! سامحنى .

كارل : (بحدة) انه يسامحك . (مذهولا) ان كان جديرا بأن يدعى ولدك . يجب عليه ان يسامحك .

مـــور : آه ! كان نعمة عظيمة جدا علىّ . لكنى سأغــــدو للقائه بدموعى ، ولياليّ الخالية من النوم ، وفظائـــع احلامى ، واعانق ركبته ، واصيح ، اصيح بصوت عال جدا . لقد ارتكبت خطيئة ضد السماء وضدك . . لست جديرا بان تنادينى باسم الأب .

كارل : (في تأثر بالغ) اكنت تحبه ، ولدك الآخـــر ؟

مــور : انت تعلمين ذلك ، ايتها السماء ! لمــاذا تركت نفسي تنخدع بدسائس ابن شرير ؟ كانوا يعدونني سعيــدا بين الاباء في هذا العالم . وكبر ولداى من حــولى ، يحيط بهما ازهر الآمال . لكن ، يأيتها الساعةالمنحوسة ! اندست روح الشر في قلب الابن الثاني ، وصــدقت ما قاله لى هذا الثعبان . ففقدت ولدىّ الاثنين .

(يغطى وجهــه)

كارل : (مبتعدا) فقدتّهما الى الابــد .

مــور : اوه ! اني اشعر شعورا عميقا بما قالته لى اماليا ، لقد كانت روح الانتقام تتكلم بلسانها : عبثا تمــد ، في ساعة الموت ، يديك الى ابنك ، وعبثا تعتقد انــك تمسك يد ابنك كارل الحاقدة ، انه لن يكون حاضرا ابدا في ساعة موتك .

(كارل يمد اليه يده ، مشيحا بوجهه)

مــور : آه لو كانت هذه هي يد ابنى كارل ! لكنه بعيــد ، راقد في مرقده الضيق ، انه ينام نومه الحديدى . لــن يسمع ابدا صوت محنتى . الويل لى ! ان اموت بين يدى رجل غريب اجنبي ! لا ولد ، نعم لا ولد يمكن ان يغلق عينى !

كارل : (في اضطراب شديد جدا)والآن ،لابد ،الآن ،دعنى . (مخاطبا اللصوص) ومع ذلك ، فهل استطيع ان ارد اليه ابنه ؟ اني لا استطيع ان ارد اليه ابنه ، كلا ، لن افعل ذلك .

مــور : ماذا ياصديقى ؟ بأى شيء كنت تغمغم الآن ؟

كارل : ابنك ، نعم ، ايها الشيخ (متلعثما) ابنك — قد ضاع الى الابـــد .

مـــور : الى الابـــد ؟

كارل : (رافعا بصره نحو السماء في قلق مروع) اوه ! لهـــذه المرة فقط ، لا تسمح ان تضعف نفسى . لهذه المرة . اسندني .

مـــور : الى الابـــد ، هكذا تقول ؟

كارل : لا تلقِ اسئلة بعدُ . الى الابد ، اقول لك .

مـــور : ايها الغريب . ايها الغريب ! لمـــاذا انتزعتنى من هذا الـــبرج ؟

كارل : ماذا ؟ لو انني اختلست منه الآن بركته ، لو اختلستها منه كاللص وهربت بعد ذلك محملا بهذه الفريســـة الالهية ؟ يقولون ان بركة الوالد لا تضيع ابدا .

مـــور : وابنى فرانتس ايضا قد ضاع ؟

كارل : (يلقى بنفسه عند قدميه) لقد حطمت مغاليق هـــذا البرج . فامنحنى بركتك .

مـــور : (متألما) لماذا كان عليك ان تصنع ضياع الابن بعدان صنعت نجاة الاب ؟ انظر ، ان رحمـــة الله لا تتعب ابدا ، ونحن الاخرين ، نحن المخلوقات البائســـة المسكينة ، ننام على غضبنا . (واضعا يده على رأس اللص « كارل ») كن سعيدا بقدر ما كنت شفوقا .

كارل : (ينهض رقيق النفس) اوهٍ ! اين قوتي ؟ ان عضلاتي تسترخى ، والخنجر يسقط من يدى .

مـــور : ياله من خير ثمين ان يكون هناك وفاق بين اخوين في نفس البيت ، انه ثمين مثل الندى الذى يسقط على جبال صهيون ! تعلّم ان تستحق مثل هذه السعادة ، ايها الشاب ، وملائكة السماء يستدفئون على اشعة مجدك . ولتكن حكمتك مثل حكمة الشعر الاشـيب، لكن ليبق قلبك بريئا براءة الطفولة .

كارل : اوه ! كأرهاص بهذه السعادة ،قبلنى ،ايها الشيخ الالهى

مـــور : (يقبله) فكر في ان هذه قبلة ابيك ، وانا افكر انى اقبل ابنى ـ اتستطيع انت ايضا البكاء ؟

كارل : لقد فكرت انها كانت قبلة ابي . الويل لى ، لو اتوا به الآن .

(رفاق اشفيتسر يظهرون في موكب جنائزى حزين مطأطأى الرؤوس ، ومغطين وجوههـــم)

كارل : يا للســـماء !

(يتراجع فزعا ويسعى ان يختبىء . يمرون امامـــه . كارل يشيح بنظره . صمت عميق . اللصوص يبقون بلا حراك)

جـــريم : (بصوت خفيض) يا قائـــدى !

(كارل لا يجيب ، ويبتعد)

اشفارتس : يا قائـــدى !

(كارل يبتعد اكثر)

جـــريم : نحن ابرياء ، يا قائـــدى .

كارل : (دون ان ينظر اليهم) من انتم ؟

جـــريم : انت لا تتطلع فينا ، نحن رفاقك المخلصون .

كارل : الويل لكم ، ان كنتم لى مخلصين .

جـــريم : لقد جئناك بالوداع الاخير من خادمك اشفيتسر . انه لن يعود ابدا ، خادمك اشفيتسر .

كارل : (منتفضا) اذن انتم لم تجـــدوه ؟

اشفارتس : بلى ، وجدناه ميتـــا .

كارل : (في حركة سرور) الحمد لك يا الهى ، يارب كل شيء ! عانقوني يا اولادى . من الآن فصاعدا لتكن الرحمة شعارنا . الآن ، نحن قد تغلبنا على هذا ايضا ، تغلبنا على كل شيء .

لصوص آخرون ــ اماليـــا

اللصوص : هيسا ، هيسا ! غنيمة ، غنيمة عظيمـــة !

اماليـــا : (وشعرها يتطاير في الهواء) يقولون ان الموتي قد بعثوا على صوته . عمى حى ، في هذه الغابة ، اين هـــو ؟ كارل ! عمى ! آه !

(تتدافع نحـــو الشيخ)

مـــور : اماليا ! ابنتى ! اماليـــا !

(يحتضنها بذراعـــه)

كارل : (واثبا الى الخلف) من اتى بهذا الوجه امام عينى ؟

اماليـــا : (تفلت من ذراع الشيخ وتقفز نحو كارل ، وتعانقه في نشوة) . اني احتضنه ، ايتها النجوم ! اني احتضنه !

كارل : (متخلصا منها . ومخاطبا اللصوص) ارحلوا انـتم الآخرون ! ان روح الشر قد فضحتني .

اماليـا : يا عريسي ! ياعريسي ! انت تهذي ! آه ! يا لها من نشوة ! لماذا انا عديمة الاحساس باردة هكذا في وسط هذه الدوامة من السعادة ؟

مـور : (مستعيدا وعيه)عريسك ،يا ابنتي ،يا ابنتي ،عريسك؟

اماليـا : اني له الى الابد ، الى الابد ، انه لي الى الابد ، الى الابد . ايه ايتها القوى السماوية ، خففي عني العبء القاتل لهذه السعادة حتى لا انوء تحت الحمل .

كارل : انتزعوها من بين ذراعي ، اقتلوها ، اقتلوه . انـا ، انتم ، الجميع ! وليتحطم العالم بأسره !

(يريد الهـرب)

اماليـا : ماذا ؟ الى اين تذهب ؟ حب ،ابدية ،سعادة لاتنتهي ! — وتهرب ؟

كارل : اذهبي ، اذهبي يا اشقى العرائس ! تطلعي في نفسك . تساءلي ، اصغي . يا اشقى الآباء ! دعوني اهرب الى الابـد !

اماليـا : اسندوني . لله ، اسندوني ! الظلام ينسدل امام عيني . انه يهـرب !

كارل : فات الاوان ! عبثا . لعنتك ايها الاب ، لا تطلب اكثر من ذلك . انا ، انا عندي ، لعنتك . لعنتك المزعومة ! من جرني الى هنـا ؟ (يستل سيفه ، ويتقدم نحـو اللصوص) من منكم جرني الى هنا ، يا مخلوقـات

الهاوية ؟ موتي اذن يا اماليا ، ومت يا والد ! اني اجيء لك بالموت للمرة الثالثة . ان الناس الذين انقذوك هم لصوص وسفاحون . وكارلك هو قائدهـــم .

(مور الاب يسلم الروح)

(اماليا تبقى صامتة ، ساكنة كالتمثال . كل العصابة تلتزم صمتا رهيبـــا)

كارل : (يضرب رأسه في شجرة سنديان) ارواح اولئـــــك الذين خنقتهم وهم في نشوة الحب ، وسحقتهم وهم وهم في النوم المقدس ، واولئك ، آه ! آه ! آه ! الا تسمعون صوت مخزن البارود وهو ينهار على اسرّة النساء وهن بسبيل الولادة ؟ الا ترون النيران وهـــي تلعق مهاد الرضعاء ؟ هذه شعلة الزفاف ، هذه موسيقى زفافي ، اوه ! انه لا ينسى شيئا ، وهو يعمل على ربط كل الوقائع . ولهذا ، بعيدة عني شهوات الحـــب ! ولتكن لي عذاباته ! انتقام عادل !

اماليـــا : هذا حق ! يارب السماء ! هذا حق . لكن ماذا فعلت انا ، انا الحمل البريء ؟ لقد احببت هذا الرجل .

كارل : هذا فوق ما يحتمله الانسان . ومع ذلك سمعت صفير الموت ، الذي اطلقته عليّ آلاف البنادق ، فلم اتقهقر خطوة واحدة . فهل اتعلم الآن ان ارتعد كامـــرأة ، ارتعد امام امرأة ؟ لا ، لن تزعزع امرأة شجاعـــتي الرجولية . دما ، دما ! ما هذا الا ضعف امرأة ، لابد لي من الارتواء من الدم ، هذا سيمر .

(يريد ان يهـــرب)

امالیـــا : (تمسك به بين ذراعيها) قاتل ! شيطان ! مـــلاك — أياً مَنْ كنت ، اني لا استطيع ان اتركك .

كارل : (دافعا اياها) اذهبي ، ايتها الافعى الغدارة انـــت تريدين ان تسخرى من غاضب ثائر ، لكنى اتحـــدى طغيان القدر . ماذا ؟ اتبكين ؟ يافساد النجوم الخبيث. انها تتظاهر بالبكاء ، كما لوكانت هناك نفس حيـــة تستطيع ان تبكى علىّ ! (اماليا تقفز الى رقبته) آه ! ما هذا ؟ انها لا تبصق في وجهى ، لاتنبذني . اماليا ، هل نسيت ؟ اتعرفين بَعْدُ من تعانقين ، يا اماليـــا ؟

امالیـــا : يا حبيبي الوحيد ، لا شيء يقدر على ان يفصل بيننا .

كارل : (مستسلما لبهجة غامرة) انها تسامحنى ، انها تحبنى . انا طاهر مثل النور السماوى ، انها تحبنى . ولتخبرك دموعى عن عرفاني بالجميل ، يا اله السماء الرحيم ! (يركع وهو يزفر) لقد استعدت سلام القلـــب ، وقد هدأ العذاب ، وتوقف الجحيم . انظرى ، انظرى ان ابناء النور يبكون عند رقبة الشياطين الباكيـــة . (ينهض ويوجه الكلام الى اللصوص) وانتم ، ابكـــوا ايضا ، ابكوا ، ابكوا ، فما اسعدكم ! ايه يا اماليا ، اماليا ، اماليا !

(يبقى معلقا بشعرها ، ويظلان في عناق صامت)

احـــد

اللصوص : (متقدما بغضب) توقف ، ايها الخائن ! اتركهـــا فورا ، والا قلت لك كلمة تردد في اذنيك وتجعـــل اسنانك في صريف اليأس .

(يضع سيفه بين العاشقين)

لص اكبرسنا: فكر في غابات بوهيميا اتسمع ،هل تتردد؟ في غابات بوهيميا يجب ان يكون التفكير ! يا خائن ، ايـــن أيمانك ؟ هل نسيت جراحنا بهذه السرعة ؟ حين خاطرنا من اجلك بالثروة ، والشرف والحياة ، وضعنا مـــن انفسنا سورا يحميك ، وتلقينا ، كالدروع ،الضربات التى كانت موجهة اليك ــ الم ترفع يدك حينذاك لتقسم يمينا مغلظة بانك لن تتركنا ابـــدا ، كما لم نتركك نحن ابدا . حينئذ خال من الشرف ! تريد ان تتخلى عنا من اجل فتاة تبكى !

لص ثالث : ويل للحانث ! شبح رولر المذبوح ، والذى ناشــدت شهادته في ملكوت الموتي ، سيحمر خجلا من جبنك، وسيخرج شاكى السلاح من قبره ليعاقبك .

جماعة

اللصوص

في هرج : (وقد مزقوا ملابسهم) تطلع هنا ، تطلع . اتعـرف هذه الندوب ؟ انت في حوزتنا ، انت عبد لنا ، لقد اشتريناك بثمن دمائنا الغالية ، انت في حوزتنا . حتى لو تشاجر الملاك ميكائيل مع مولوخ ! سر معنـــا ، تضحية مقابل تضحية ! اماليا في مقابل كل العصابة !

كارل : (متخلصا من عناق اماليا) قضى الامر . كنت وددت ان اتراجع وان اعود الى ابي ، لكن الله السماء تكلم . هذا يجب الا يحدث . (ببرود) يا لى من احمق ، لماذ جالت بنفسى هذه النية ؟ ان خاطئا كبيرا مثلى لا يمكن ان يتراجع ، كان عليّ ان افهم هذا منذ وقت طويل.

هدوءا ، رجاء، هدوءا . الامور تسير هكذا سيرا حسنا. لم ارده حين طلبني ، والان حينما اطلبه هو لايريدني. ماذا اعدل من هذا ؟ لاتدر العينين هكذا ! حقيقة هو ليس في حاجة الى . او ليس عنده كتل من المخلوقات؟ في وسعه ان يستغني بسهولة عن واحد منهم ، وانا هذا الواحد . تعالوا يا رفاقي .

امالیـــا : (تجذبه بالقوة) قف ، قف ! ضربة واحدة قاضية ، ضربة قاضية ! هجر جديد ! استل سيفك وارحمني .

كارل : ان الرحمة قد التجأت الى الدببة . لن اقتلك .

امالیـــا : (تعانق ركبته) اوه ! لله . الرحمة ! لا ابحث بعـــد عن الحب ، انا اعلم ان نجمينا المتعاديين هناك يفـــر كلاهما امام الآخـــر . انا لا اطلب الا المـــــوت . مهجورة ، مهجورة ! اتفهم الفزع الذى ينطوى عليه هذا ، ان اكـــون مهجورة ؟ لا استطيع تحمـــله . انا لا اطلب الا الموت . انظر ، ها هى يدى ترتجـــف . ليس لدى من الشجاعة ما يجعلني اضرب نفسي بنفسي . لمعان هذا النصل يخيفني . اما بالنسبة اليك ، فالامـــر سهل ، سهل جدا . انت ابرع الناس في فن القتـــل . استل سيفك ، واجعلني سعيدة .

كارل : اتريدين ان تكوني وحدك السعيدة ؟ اذهبي ، انـــا لا اقتل امرأة .

امالیـــا : آه ! يا سفاح ! انت لا تعرف ان تقتل الا السعداء ، وتمر عابرا بجانب اولئك المتعبين من الحياة . (زاحفة نحو اللصوص) ارحموني اذن ، انتم ، يا تلاميذ هذا

الجلاد . يقرأ في نظراتكم المصبوغة بالدم شفقة تعزى البائسين . ان زعيمكم ليس الا فشارا جبانا .

كارل : يا امرأة . ماذا تقولين ؟

(اللصوص يشيحون بعيونهم)

اماليـــا : ولا صديق واحد ؟ ولا صديق واحد بين هؤلاء الناس ! (ناهضة) اذن علميني يا ديدونا (٥٥) كيف اموت ! (تريد ان تخرج ، احد اللصوص يصوب نحوهـــا)

كارل : توقف ! اتجرؤ ؟ حبيبة مور يجب الا تموت الا بيدى مــــور نفسه .

(يقتلهـــا)

اللصوص : يا قائد ، يا قائد . ماذا تفعل ؟ هل فقدت عقلك ؟

كارل : (يتطلع في الجثة بنظرة متحجرة) لقد اصابت الطلقة مقتلا . رجفة اخرى ، وسينقضى الامر . انظـــروا ، هل تطالبوننى بشيء آخر ؟ لقد ضحيتم من اجـــلى بحياة . حياة لم تكن بعد ملكا لكم ، حياة فزع وعار . وانا ضحيت لكم بملاك . كيف ؟ تطلعوا جيدا . هل انتم راضون الآن ؟

جــــريم : لقد دفعت دينك بربا . لقد فعلت ما لم يكن ليفعله احد من اجل شرفه . تعال معنا !

كارل : اتعترف بذلك ؟ اليس صحيحـــا ان حيـــاة الأشرار لا تعوض عن حياة قديسة ؟ اوه ، اقول لكم ، لوصعد كل واحد منكم على المقصلة ، واذا انتزع لحمــــه بكماشة محمية ، قطعة فقطعة ، واذا استمر هـــــذا

التعذيب طوال احد عشر يوما ، فانه لا يساري الدموع التي اذرفها . (بضحكة مرة) الندوب ، غابات بوهيميا . نعم ، نعم ، مؤكد ، كان لابد من دفع ثمن هذا كله .

اشفارتس : اهدأ ، ايها القائد ! تعال معنا ، هذا المنظر لم يصنع لك . قدنا الى مكان آخر .

كارل : توقف . كلمة اخرى ، قبل ان نمضي . اسمعوا ، يا منفذي اوامري الوحشية المسرورين . من الان فصاعدا سأتوقف عن ان اكون قائدا لكم . وهأنذا اضع في العار والفزع عصا القيادة هذه الملطخة بالدماء ، والتي تحت امرتها اعتقدتم ان من المشروع ان ترتكبوا جرائمكم ، وان تدنسوا بتصرفاتكم الفظيعة النور السماوي . تفرقوا ذات اليمين وذات الشمال . لن نشترك معا ابدا بعد الآن .

اللصوص : آه ! يا جبان . اين خططك السامية ؟ الم تكن غير فقاقيع صابون كانت نفخة امرأة كافية لتبديدها ؟

كارل : اوه ! يا لي من احمق ، حين تصورت انني سأصلح العالم بفظائعي ، وسأحافظ على القوانين بالفوضى ! كنت اسمي هذا انتقاما وحقا . وكنت اتفاخر ، ايتها العناية الالهية ، باني ارهف سيفك الكليل واصلح تحيزك . لكن هذه ليست الا صبيانيات عابثة . هانذا الان عند نهاية حياة مخيفة ، واعترف ، ودموعي تنهمر واسناني تصرف ، ان رجلين مثلي يكفيان لتدمير كل بناء العالم الاخلاقي . لطفا ، لطفا بالطفل الذي ادعى

اغتصاب حقوقك . . من حقك انت وحدك الانتقام ولست من اجل هذا في حاجة الى يـــد انسان . مـــن المؤكد انه ليس في استطاعتى بعد ان استرد الماضى : ما ضاع ضاع فعلا . وما دمرته لن تقوم له قائمة ابدا . لكن لا يزال باقيا لى ما يجعلنى اتصالح مع القانون الذى اهنته ، ويجعلنى اعيد النظام الذى افسدته . لابد لهـــذا من ضحية ، ضحية تبين امام اعين كل الناس جلالتهم التى لا يجوز المساس بها . وهذه الضحية هى انا . لابد ان اموت من اجل هذا .

اللصوص : انزعوا منه سيفه . انه يريد ان يقتل نفسه

كارل : ايها الحمقى ! يا من حُكِم عليكم بالعَمَى الابدى ! او تظنون ان خطيئة مميتة يمكن ان تكون تعويضا عن خطايا مميتة اخرى ؟ اتظنون ان هذا النشاز الفاســق سيسهم في انسجام العالم ؟ (يلقى بأسلحته عند اقدامهم بحركة ازدراء) . سأوخذ حيا . سأسلم نفسى بنفسى الى العــــدالة .

اللصوص : اوثقوه ، لقد جن جنونـــه .

كارل : لا لانى اشك في ان العدالة لن تستطيع ان تمسك بي في الوقت الملائم ، لو كانت هذه ارادة القوى السماوية . لكن يمكنها ان تفاجئنى في نومى ، او تمسك بي في هربي او تستولى علىّ قهرا وبقوة السيف ، وهنـــا لن اكون مجردا من الفضل الوحيد الذى استطيع ان ادعيه وهو ان اموت طواعية وبارادتي من اجل العدالـــة .

لماذا استمر ، مثلي مثل السارق ، في المحافظة على حياة الحراس السماويين القائمين على حراسون القانون ؟

اللصوص : دعوه يذهب ، انه مصاب بجنون العظمة. انه يريد ان يضحي بحياته لينتزع إعجاباً لا طائل تحته .

كارل : يمكن ان اكون موضوع اعجاب بسبب هذا الفعل . (بعد لحظات من التفكير) اني لاذكر انني تحدثت ، وانا قادم الى ها هنا ، مع عامل باليومية ، فقير مسكين عنده احد عشر ولدا حيا. وقد اعلنوا عن مكافأة قدرها الف لويس من الذهب — لمن يسلم حيا اللص الكبير . وهكذا يمكن مساعدة هذا الرجل.

(يخـــرج)

انتهت المسرحية

الهوامش

١ ـ سفر « طوبيا » من أسفار العهد القديم في الكتاب المقدس ٠

٢ ـ فرونا : غانية من أثينا عاشت في منتصف القرن الرابع قبل الميلاد ، وكان من عشاقها فيما يقال : الرسام ابلس Apelles واتخذها نموذجا للوحتـــه « افروديت انديومينا » ، والنحات براكستيل الذى اتخذ منها نموذجا لتمثال « افروديت كنيد » ٠

٣ ـ النطار « بضم النون وتشديد الطاء » : الخيال المنصوب بين الزرع لتخويف الطيور فلا تقربه ٠

٤ ـ اي الكتاب التافهين الذين ليست كتابتهم سوى نبش بالحبر عـلى الورق ٠ وبلوتارك Plutarcr « ولد حوالى سنة ٤٦ م ، وتوفى بعد سنة ١٢٠ م » هو صاحب كتاب « تراجم متوازية لليونانيين والرومانيين » ، ويشتمل على سيرة ٤٦ من عظماء اليونان والرومان يعرض حياة كل زوجين منها معا « مثلا : الاسكندر الاكبر ، ويوليوس قيصر » ٠ ويعد من أعظم الكتب العالمية ٠

٥ ـ يوسفوس Josephus « ٣٧ م ـ حوالى ١٠١ م » مؤرخ يهـودى كتب « الحرب اليهودية » و « أخبار اليهود القديمة » ٠

٦ ـ هو الذى سرق النار من السماء لمنفعة الانسان ، فعاقبه زيوس على ذلك بان قيده على جبل فى القوقاز ٠

٧ ـ كناية عن السرقة والنهب ٠

٨ ـ دوق سولي « ١٥٦٠ ـ ١٦٤١ » اقتصادى وسياسى فرنسى ٠ كان كبير وزراء هنرى الرابع ، واصلح المالية بعد ثلاثين عاما من الحروب الاهلية ٠ ولما اغتيل هنرى الرابع استقال وعاش فى ضياعه ٠ وكتب مذكرات مهمة بالنسبة الى تاريخ فترة حكم هنرى الرابع ، ملك فرنسا ٠

٩ ـ قديس يسمى من الشهداء فى عهد اضطهاد ديوكلسيان ، حوالى سنة ٣٠٥ م ، واحد القديسيين الاربعة عشر الذين يستغيث بهم الكاثوليك ٠ وتنسب اليه رقصة جنونية ٠

١٠ ـ اله الحديد ٠

١١ ـ اى مرض الزهرى •

١٢ ـ كان الزئبق هو العلاج الأساسى لمرض الزهرى •

١٣ ـ هذا التعبير ورد فى كتاب « العقد الاجتماعى » لجان جاك روسو •

١٤ ـ كناية عن الفطنة والتعقل •

١٥ ـ فى الاساطير اليونانية : نهر يجرى فى العالم السفلى « الجحيم » •

١٦ ـ هذه الجملة وردت باللاتينية • واذا وضعت الشولة بعد « لن » لصار معناها عكس ذلك : « اذا اتفق الجميع ، فانى لن اوافق » •

١٧ ـ لما كان هو الذى وضع الخطة ، فهو الراس المدبر ، اى هو الجدير بان يكون رئيس هذه العصابة •

١٨ ـ رولر يقصد كارل فون مور •

١٩ ـ ايسوفس Aesopus مؤلف الخرافات الاخلاقية ، عاش حوالى سنة ٥٧٠ ق.م فى اليونان وكان عبدا لرجل من جزيرة شامس ثم اعدم حوالى سنة ٥٦٠ ق.م لسبب مجهول • وقد اشتهر بدمامة الخلقة وتشويهها • ولم يكتب خرافاته ، لكن شاعت باسمه خرافات نثرية فى اثينا • ويقول افلاطون ان سقراط نظم بعضها شعرا •

٢٠ ـ فى الخرافات الشعبية الالمانية ان الكنوز المدفونة تحرسها غالبا كلاب او تنانين •

٢١ ـ يقصد الية استمرار الجسم فى اداء وظائفه ، جسم ابيه •

٢٢ ـ Eumenides : فى الاساطير اليونانية : الهات الانتقام ، وكانت تتشخص فى عفاريت المقتولين وكانت مهمتهن تعذيب من انتهكوا قوانين المجتمع •

٢٣ ـ Furiae الاسم اللاتينى للارنيات Erinyes اليونانيــة وهى الهات الانتقام •

٢٤ ـ فى المآسى اليونانية ، كان ينزل اله بواسطة آلة على المسرح لانقاذ البطل من ورطته •

٢٥ ـ raifort و Meerretich وهو بقل مستقولى معمر من الفصيلة الصليبية تؤكل اصوله الغلاظ مبشورة، وتعد من التوابل والتعبير كناية عن السرعة الشديدة • وهناك تعبير المانى اخر مشابه وبنفس المعنى : « بين الحساء ولحم الثور » اى بسرعة جدا •

٢٦ ـ هكتور Hector : ابن فريام وهكوبا ، وابرز ابطال طروادة ، وهو الذى قتل بتركل Patrocle صديق اخيل واحد القواد اليونانيين فى حرب طروادة • وزوجته هى اندروماخى • واياكس Aiakes هو القاضى فى العالم السفلى ، واخيل حفيده ، وهو المقصود هنا •

وسنثوس Zanthus مدينة فى لوقيا دمرت هى ومن فيها حوالى سنة ٥٤٦ ق.م • ويطلق ايضا على نهر قرب طروادة ، وهو المقصود هنا •

٢٧ ـ اليون Ilion هى طروادة • واستيانكس Styanax هو ابن هكتور واندروماك • والالوزيوم Elysium هى بمثابة الجنة « الفردوس » فى الاساطير اليونانية •

٢٨ ـ فريام Priam هو والد هكتور واخر ملوك طروادة •

٢٩ ـ اللثيه Lethe : نهر النسيان ، ويوجد فى العالم السفلى • والاواذى ، جمع آذى : موج البحر •

٣٠ ـ فيلد مارشال كونت فون شفيرن ، الذى قتل فى معركة قرب براغ فى ٦ مايو سنة ١٧٥٧ واشفيرن اسم مدينة واقليم فى غرب مقاطعة مكلنبورج ، ويقع الان فى المانيا الشرقية •

٣١ ـ يشبه نفسه بيوشع ، قائد الاسرائيليين وصاحب موسى ، الذى عبر بهم نهر الاردن الى أرض الميعاد •

٣٢ ـ ديوجينس Diogenes من سينوب « ٤١٢ ـ ٣٢٣ ق.م » الفيلسوف اليونانى الذى كان يدعو الى التجرد والفقر التام • ويقال انه وجد ذات يوم فى اثينا يحمل فانوسا مشتعلا فى وضح النهار ، فلما سئل عن ذلك قال انه يبحث عن « الانسان » بالمعنى الحقيقى •

٣٣ ـ اشارة الى ما فى انجيل لوقا « ١٦ : ٢٢ » : « وحدث ان مات الفقير وحمله الملائكة الى حضن ابراهيم » •

٣٤ ـ اله الثروة •

٣٥ ـ يقصد به هنا الشيطان ، كما فى « الفردوس المفقود » لملتون وعند كلوبستوك • وهو فى التوراة صنم كان يعبده العمونيون ، يضحون اليه بالاطفال •

٣٦ ـ هى التى تامرت مع كوراه على موسى ، فتنبا لهم موسى بان الارض ستبتلعهم « العدد ١٦ : ١ ـ ٣٥ » •

٣٧ ـ نسبة الى Argo وهو فى الاساطير اليونانية عملاق ذو عيون كثيرة ،

وقد كلفته هيرا Hera بالسهر على ايون ، محبوبة زيوس • ولهذا يطلق التعبير : عيون ارجوسية ـ بمعنى : عين حادة النظر ساهرة واعية •

٣٨ ـ بعد ان فتح بيثارو Pizarro اقليم بيرو « فى امريكا الجنوبية » سنة ١٥٣١ استغل الأسبان وعلى رأسهم رجال الدين اهالى البلاد لاستخراج الذهب وعاملوهم بغاية القسوة والشدة •

٣٩ ـ يهوذا اسخريوط : الحوارى الذى خان المسيح وغدر به ، بأن اعطى لليهود الفرصة للقبض سرا على المسيح •

٤٠ ـ Celadon : راع عاشق فى قصة « استريه » Astree تأليف هونوريه دى اورفيه Honoré d'Urfée « ١٥٦٨ ـ ١٦٢٥ » ، ثم اطلق على العاشق الولهان •

٤١ ـ Basiliskenanblick : نظـــرة الباسلسقوس : والباسلسقوس « تصغير : باسليوس ـ مليك » فى الاساطير اليونانية افعى نظراتها تقتل من تتطلع فيه •

٤٢ ـ Abbadonna : فى « ملحمة المسيح » لكلوبستوك : ملاك ساقط ، يبكى سقوطه ويندم عليـــه •

٤٣ ـ مدينة شرقى نهر الدجلة ، فى نواحيها انتصر الاسكندر الاكبر فى ٣١/١٠/٣٣١ ق.م على الفرس •

٤٤ ـ ذو اللحية الحمراء، وهو لقب فريدرش الاول«١١٢٢ اوحوالى ١١٢٥ــ١١٩٠م» ملك المانيا الذى قاد الحرب الصليبية الثالثة سنة ١١٨٩ ، وقد غرق فى نهر سالف •

٤٥ ـ جمع : ربيع •

٤٦ ـ غير صحيح ، لان العصابة لم تتكون الا منذ عام ونيف فقط •

٤٧ ـ كانت السيرينات فى الاساطير اليونانية فتيات لها اجسام طيور وتسكن جزيرة فى البحر ، وكانت باغانيها العذبة تجتذب البحارة ، ثم تمتص بعد ذلك دماءهم •

٤٨ ـ فيلبى Philippi مدينة فى مقدونيا انتصر فيها انطونيوس واوكتافيوس على بروتس وكاسيوس فى سنة ٤٢ ق.م •

ابن التيبر : التيبر Tiber نهر روما ، وابن التيبر اى : من روما .

روماني • وروما بنيت على سبعة تلال ، فهي المدينة ذات التلال السبعة •
مينوس Minos : احد قضاة الموتى في العالم السفلي • وبروتس
يريد أن يستصدر منه حكما •
البحار الاسود : شارون Charon
حتى تلك الابواب : أبواب الجحيم •

٤٩ ـ أي : من يضمن لي أن هناك حياة أخرى ؟

٥٠ ـ اشارة الى قصة ايليا في السفر الاول من الملوك ، اصحاح ١٧ ، عبارة ٤:
« ستشرب من السيل وامر الغربان باطعامك هناك » •

٥١ ـ لانه خدم فيه طوال اربعة واربعين عاما « انظر الفصل الرابع ، المنظر الثاني »
فان هذا البيت صار كما لو كان ولد فيه •

٥٢ ـ هو خادم النبي ابراهيم « راجع التوراة ، سفر التكوين ، اصحاح ٨ ،
عبارة ٢ » •

٥٣ ـ هذه المقارنة غير موفقة ، لان رتشرد الثالث ، كما في مسرحية شكسبير
بهذا الاسم ، انما يموت في ساحة القتال بعد معركة أبلى فيها بلاء عظيما •
كما ان نيرون انما انتحر بنفسه خوفا من تنفيذ العقاب الذي أصدره مجلس
الشيوخ ضده • وشلر يعرف هذا قطعا • لكنه ربما قصد فقط الى ذكر
طاغيتين معروفين باستبدادهما •

٥٤ ـ بيثارو « حوالي سنة ١٤٧٨ ـ ١٥٤١ » • وقد أبحر الى بيرو « امريكا الجنوبية »
في سنة ١٥٢٦ ، ثم عاد الى اسبانيا بعد ان جمع معلومات عن هذه البلاد ،
وطلب من السلطات الاسبانية ان يقوم بغزو امبراطورية الانكا في البيرو •
وقام بالغزو في سنة ١٥٣٢ ، واستولى على زعيم الانكا غدرا ، ثم قتله بعد
أخذ فدية ضخمة • واسس العاصمة ليما ، وانتهى الامر بقتله •

٥٥ ـ Dido : ملكة قرطاجة التي هجرها ايلياس ، فقتلت نفسها
بالسيف ـ راجع « ايتيادة » فرجيل ، النشيد الرابع ، البيت رقم ٦٤٢
وما يليه •

فهرست

ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١	مانويل جاليتش	سمك عسير الهضم
٢	جان انوى	القبرة (جان دارك)
٣	هال بورتر	البرج
٤	تساو يو	عاصفة الرعد
٥	هارولد بنتر	١ - الخادم الاخرس ٢ - التشكيلة او عرض الازياء
٦	جون ويستر	الشيطانة البيضاء
٧	تيرانس راتيجان	الاسكندر المقدونى او قصة مغامرة
٨	تييرى مونييه	سباق الملوك
٩	جون مورتيمر	استعدوا لركوب الطائرة وغيرها
١٠	فريدريش دورنيمات	النيزك
١١	يونسكو - اداموف - ارابال - البى	دراما اللامعقول
١/١٢	اوجست ستراندبرج	(من الاعمال المختارة) ستراندبرج - ١ ١ - مس جوليا ٢ - الاب
١٣	نيقوس كازندزاكى	عطيل يعود
١٤	بيتر فايس	انشودة انجولا
١٥	اوليفر جولد سميث	تواضعت فظفرت
١/١٦	موليير	(من الاعمال المختارة) موليير - ١ ● مدرسة الزوجات ● نقد مدرسة الزوجات ● ارتجالية فرساى
١٧	دوجلاس ستيوارت	عسكر ولصوص او نيد كيللى
١٨	وليم شكسبير	العين بالعين
١/١٩	اوجست ستراندبرج	(من الاعمال المختارة) ستراندبرج - ٢ الطريق الى دمشق - ثلاثية

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٢٠	رومان رولان	١٤ يوليـو
٢١	انجس ويلسون	شجرة التوت
٢٢	تيرانس راتيجان	روس أو لورانس العرب
٢٣	كارون دى بومارشيه	حلاق اشبيلية
٢٤	وليم شكسبير	هاملت
٢٥	نويل كوارد	الحياة الشخصية
١/٢٦	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل — ١ نساء تراخيس
١/٢٧	جبريل مارسل	من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل — ١ ١ — رجل الله ٢ — القلوب النهمة
٢٨	انريكي خارديل بونثلا	ليلة ساهرة من ليالى الربيع
٣/٢٩	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج — ٣ ١ — الاقـوى ٢ — الرباط ٣ — الجرائم ٤ — موسيقى الشبح
٣٠	بيتر شافر	اصطياد الشمس
١/٣١	جورج شحادة	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة — ١ ١ — حكاية فاسكو ٢ — السيد بوبل
٣٢	هـ . و . فيرمان	انتصار حورس
١/٣٣	جورج برناردشو	(من الاعمال المختارة) جورج برناردشو — ١ ١ — بيوت الأرامل ٢ — العابث
٣٤	فرناندو ارابال	ثلاث مسرحيات طليعية ١ — قرافة السيارات ٢ — فاندو وليـز ٣ — الشجرة المقدسة

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٣/٣٥	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ ٣ ١ ـ اوديب الملك ٢ ـ أوديب فى كولون ٣ ـ اليكترا
١/٣٦	جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيرودو ـ ١ ١ ـ اليكترا ٢ ـ لن تقع حرب طروادة
١/٣٧	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ١ ١ ـ المغنية الصلعاء ٢ ـ الدرس ٣ ـ جاك او الامتثال ٤ ـ المستقبل فى البيض ٥ ـ الكراسى
٣٨	كوبر ـ تشيرشل ـ شارب ـ مانج	مسرحيات اذاعية
٢/٣٩	جبريل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبريل مارسل ـ ٢ ١ ـ روما لم تعد فى روما ٢ ـ المحراب المضىء أو (مصباح النعش)
٤٠	انطون تشيخوف	١ ـ شيطان الغابة ٢ ـ الخال فانيا
٢/٤١	جورج شحادة	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة ـ ٢ ١ ـ مهاجر بريسبان ٢ ـ البنفسج
١/٤٢	لويجى بيرندلو	(من الاعمال المختارة) لويجي بيرندلو ـ ١ ١ ـ ديانا والشال ٢ ـ الحياة عطاء ٣ ـ لذة الامانة
٤٣	جيمس جويس	١ ـ ستيفن « د » ٢ ـ منفيون

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٤/٤٤	ـ أوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٤ ١ ـ الفرماء ٢ ـ الاميرة البيضاء ٣ ـ عيد الفصح
٢/٤٥	ـ سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ ٢ ١ ـ انتيجونة ٢ ـ أجاكس ٣ ـ فيلوكتيت
٢/٤٦	ـ جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيرودو ـ ٢ ١ ـ سدوم وعمورة ٢ ـ مجنونة شايو
٢/٤٧	ـ يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ٢ ١ ـ ضحايا الواجب ٢ ـ مرتجلة الما ٣ ـ سفاح بلا كراء
٢/٤٨	ـ جبريبل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ـ ٢ ١ ـ طريق القمة ٢ ـ العالم المكسور
٤٩	ـ البى شيزجال	١ ـ الحلم الامريكى ٢ ـ الطابعان على الالة
٥٠	ـ ارمان سالاكرو	الارض كروية
٢/٥١	ـ جورج برناردشو	(من الاعمال المختارة) جورج برناردشو ـ ٢ ١ ـ السلاح والانسان ٢ ـ كانديدا ٣ ـ رجل المقادير
٥٢	ـ هارولد بنتر	الحارس
٥٣	ـ مارتنس دى لاروزا	ابن امية او ثورة الموريسكيين

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٥٤	وليم شكسبير	ماساة كريولانس
٥٥	انطونيو بويرو باييخو	القصة المزدوجة للدكتور بالمى
٥٦	يوربيديس	● الكترا ● اورستيس
٥٧	فيكتور هيجو	هرناني
٥٨	ليو تولستوى	المستنيرون
٥٩/٣	موليير	(من الاعمال المختارة) موليير ـ ٣ ١ ـ سجاناريل ٢ ـ المتحذلقات المضحكات ٣ ـ مدرسة الازواج ٤ ـ الطبيب الطائر ٥ ـ غيرة الباربوييه
٦٠	روبرت شيروود	الطريق الى روما
٦١	فيليب بارى	● المهرجون ● قصة فيلادلفيا
٦٢	ماكس فريش	● قصة حياة
٦٣	جون جى	● اوبرا الصعلوك
٦٤	دنيس ديدرو	● الابن الطبيعى
٦٥/٥	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٥ ١ ـ رقصة الموت ٢ ـ الطريق الكبير
٦٦	وليم سارويان	١ ـ ايام العمر ٢ ـ سكان الكهف
٦٧	اندريه شديد	١ ـ العارض ٢ ـ بيرينيس المصرية
٦٨/٢	لويجي بيرندلو	(من الاعمال المختارة) بيرندلو ـ ٢ ١ ـ المعصرة ٢ ـ اداء الادوار ٣ ـ ابو زهرة بفمه

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٦٩	ألبير كامي	حالة طوارىء
١/٧٠	برتولت برشت	(من الاعمال المختارة) برتولت برشت ـ ١ ١ ـ حياة جاليليو ٢ ـ طبول فى الليل
٧١	جراهام جرين	غرفة المعيشة
٢/٧٢	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ٢ ١ ـ المستأجر الجديد ٢ ـ اللوحــة ٣ ـ الخرتيت
٣/٧٣	جورج شحاده	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة ـ ٣ ١ ـ الســفر ٢ ـ سهرة الامثال
٧٤	ثورنتون وايلدر	نجونا باعجوبة
٣/٧٥	جورج برناردشو	(من الاعمال المختارة) جورج برناردشو ـ ٣ ١ ـ تلميذ الشيطان ٢ ـ هداية القبطان براسباوند
٧٦	وليم شكسبير	● الملك لــير
٧٧	وول سوينكا	● الطريــق
٧٨	الكسى اربوزوف	● عزيزى مارات المسكين
٧٩	هوجو فون هوفمانزتال	زفاف زبيدة
١/٨٠	جون آردن	(من الأعمال المختارة) جون آردن ـ ١ ١ ـ مياه بابل ٢ ـ رقصة العريف
٨١	رومان رولان	روبسبيير
٨٢	سينيكا	● أوديب

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١/٨٣	يوجين اونيل	(من الاعمال المختارة) يوجين اونيل ـ ١ ١ ـ ظمأ ٢ ـ عبودية ٣ ـ ضباب ٤ ـ مبحرون شرقا الى كارديف ٥ ـ فى المنطقة ٦ ـ بدر على البحر الكاريبى
٨٤	جان كوكتو	١ ـ فرسان المائدة المستديرة ٢ ـ الابناء الاشقياء
٨٥	تيرانس راتيجان	١ ـ تعلم الفرنسية بلا دموع ٢ ـ الممر المضيء
٨٦	فديريكو غرسيا لوركا	● العرس الدموى
٨٧	كالدرون دى لاباركا	● الحياة حلم
٨٨	وليم شكسبير	● يوليوس قيصر
٨٩	يوربيديس	١ ـ الفينيقيات ٢ ـ المستجيرات
٩٠	الكسندر استروفسكى	● لكل عالم هفوة
١/٩١	جون ملينجتون سنج	(من الاعمال المختارة) جون ميلنجتون سنج ـ ١ ١ ـ ظل الوادى ٢ ـ الراكبون الى البحر ٣ ـ زفاف السمكرى ٤ ـ بئر القديسين
٢/٩٢	جون ميلنجتون سنج	(من الاعمال المختارة) جون ميلنجتون سنج ـ ٢ ١ ـ فتى الغرب المدلل ٢ ـ ديردرا فتاة الاحزان ٣ ـ عندما غاب القمر
٩٣	آرثر ميللر	١ ـ كلهم ابنائى ٢ ـ الثمن

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٢/٩٤	برتولت برشت	(من الاعمال المختارة) برتولت برشت ـ ٢ ١ ـ أوبرا القروش الثلاثة ٢ ـ لوكلوس ٣ ـ بعـل
٩٥	وليم شكسبير	تيمون الاثينى
٩٦	كارلو جولدوني	خادم سيدين
٩٧	اوجين لابيش	رحلة السيد بريشون
٤/٩٨	لويجى بيرندلو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ٤ ● فتاة فى سن الزواج ● مشاجرة رباعية ● تعريف ثنائي ● الثغـرة ● لعبة الموت
٣/٩٩	لويجى بيرندلو	(من الاعمال المختارة) لويجى بيرندلو ـ ٣ ١ ـ ست شخصيات تبحث عن مؤلف ٢ ـ كل شيخ له طريقة ٣ ـ الليلة نرتجل
١/١٠٠	تشيكا ماتسو	(من الاعمال المختارة) تشيكا ماتسو ـ ١ ١ ـ انتحار الحبيبين فى سونيزاكى ٢ ـ معارك كوكسينجا
٢/١٠١	يوجين اونيل	(من الاعمال المختارة) يوجين اونيل ـ ٢ ١ ـ وراء الافق ٢ ـ انا كريستى
٢/١٠٢	جون آردن	(من الاعمال المختارة) جون آردن ـ ٢ ١ ـ الحرية المغلولة ٢ ـ صعود البطل
١٠٣	وليم شكسبير	ماساة عطيل
١٠٤	جايلز كوبر ، كولين فينيو	١ ـ الطلبة المشاغبون ٢ ـ قبل يوم الاثنين الموعود ٣ ـ الليلة يوم الجمعة

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١/١٠٥	برانيسلاف نوشيتش	١ ـ حرم سعادة الوزير ٢ ـ الدكتور
١/١٠٦	دنيس جونستون	١ ـ من المسرح الايرلندي ـ ١ القمر في النهر الاصفر
١٠٧	تيرانس راتيجان	١ ـ بينما تسطع الشمس ٢ ـ المهرجـون
١٠٨	فرانسواز ساجان	● ـ الحصان المغمى عليه ● ـ الشوكة
٢/١٠٩	تشيكامانسو	(من الاعمال المختار) تشيكاماسو ـ ٢ ● ـ الصنوبرة المجتثة ● ـ انتحار الحبيبين في آميجيما
٣/١١٠	برتولت برشت	(من الاعمال المختارة) برتولت برشت ـ ٣ ● الام شجاعة ● السيد بنتلا وخادمه ماتى
٥/١١١	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ٥ ● النضب ● الملك يموت ● العطش والجوع
١١٢	وليم شكسبير	● العاصفه
١١٣	وليم كونجريف	● هكذا الدنيا تسير
١١٤	الفونسو ساسترى	● الدراما الثورية الاسبانية ● فصيلة على طريق الموت ● النطحـة ● الكمـامـة
٣/١١٥	يوجين اونيل	(من الاعمال المختارة) يوجين أونيل ـ ٣ مرحلة الواقعية الاولى رغبة تحت شجر الدردار
١١٦	جان كوكتو	الالة الجهنمية
١١٧	يوهان فلفجانج جيته	جيتس فون برلشنجن

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١١٨	ـ جان راسين	ماساة طيبة أو الشقيقان فيـــدر
١١٩	ـ جان أنوى	ليوكاديا
١/١٢٠	ـ جاك أوديبرتى	● الشر يستطير ● العـابرون
٢/١٢١	ـ جاك أوديبرتى	مضيفة النزلاء
٢/١٢٢	ـ بويرو باييخو	أسطورة دون كيشوت ١٩٦٨
٣/١٢٣	ـ بويرو بايخو	حلـم العقل
١٢٤	ـ وليم شكسبير	مكبث
١٢٥	ـ جوزيف أوكونر	القيثارة الحديدية
١/١٢٦	ـ ادواردو دى فيليبو	١ ـ هاللتى ٢ ـ الاشباح
١٢٧	ـ جيمس بروم لين	● الزملاء الثلاثة
١٢٨	ـ برانيسلاف نوشيتس	(من الأعمال المختارة) برانيسلاف ● ممثل الشعب
١٢٩	ـ آرثر ميللر	● الناشزون
١/١٣٠	ـ ايفان سرجييفتش تورجنيف	● العالة ● خيال مريض
١٣١	ـ روبرت بولت	الكرز المزهر
١٣٢	ـ يوهان فلفجانج جيتة	توركواتوتاسو
١٣٣	ـ المر رايس .	● مشهد فى الطريق
١٣٤	ـ وليم كونجريف	● حبا بحب

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١٣٥	ـ روبرت بولت	● تحيا الملكة
١٣٦	ـ الفريد دى موسيه	● لورانزا الشو
١٣٧	ـ يوجين أونيل ـ ٤	من الاعمال المختارة ● الامبراطور جونز ● الغوريلا
١٣٨	ـ سينيكا	هرقل فوق جبل اويتا
١٣٩	ـ موس هارت جورج كوفمان	دنيا زوال
١٤٠	ـ ليير كورنى	ميديت السيد
١٤١	دونا ماكونا	قفزة فى الخلاء أو العجوز المراهق
١٤٢	ـ براتيسلاف نوشيتش	● المستر دولار
١٤٣	ـ جورج كيلى	● زوجة كريج *
١٤٤	ـ كارلوجولدونى	١ ـ التطلع الى المصيف ٢ ـ مغامرات المصيف ٣ ـ العودة من المصيف
١٤٥	ـ فريدرش شلر	اللصوص

من الاعداد القادمة

١٩٨١ ـ ١٩٨٢ ـ ١٩٨٣

المؤلف	المسرحية	المترجم
من المسرح الافريقى :		
فرديناند اويونو	الخادم	د. نايف خرما
هارولد كمل	الزنزانة	
كويسى كاى	ضحك وصخب فى المنزل	
كوبيناسكى	المتعامون	
وول سوينكا	مجانين واختصاصيون	د. على حسين حجاج
وول سوينكا	الموت وفارس الملك	
وول سوينكا	السلالة القوية	د. سليم الأسيوطى
جيمس توجوجي	الناسك الأسود	د. سليم الأسيوطى
توم أومارا	الخروج	
سام توليامو هيكا	ولد للموت	
من مسرح الخيال العلمى :		
راى برادبورى	عمود النار الكلايدوسكوب نفير الضباب	رؤوف وصفى
المر رايس	الآلة الحاسبة	د. طه محمود طه
ج كوفمان ، م. كونيلى	شحاذ على صهوة جواد	
ميوريل سبارك	حملة الدكتوراه	د. احمد النادى
ادواردو دى فيليبو	عيد الميلاد فى بيت كوبيللو اصوات الاعماق	د. سلامة محمد محمد سليمان
جون هاردى	القلب المحطم	د. منير الأصبحى
تورجينيف	الاعزب ـ الريفية شهر فى القرية	د. سمية عفيفى

تابع من الاعداد القادمة

المؤلف	المسرحية	المترجم
ف. جريلبارتسر	الجدة الاولى ـ سابفو	د. باهر الجوهرى
ب. نوشيتش	المستر دولار ـ المرحوم	د. فوزى عطيه محمد
تولستوى	أول من صنع الخمر سلطان الظلام	د. فوزى عطية محمد
كارل تسوكماير	نقيب كوبنيك	د.عبد السلام اسماعيل
جورج كيلى	زوجة كريج	محمد الحديدى
جولدونى	ثلاثية الاصطياف	سعد أردش
يوجين اونيل	الاله الكبير براون	د. عبد الله عبد الحافظ
روبرت بولت	النمر والحصان	الشريف خاطر
شون اوكيس	المحراث والنجوم ـ ورود حمراء من اجلى ـ ظل مقاتل ـ نهاية البداية	فوزى العنتيل حسين اللبودى
شــلر	اللصوص ـ فلهلم تل	د. عبد الرحمن بدوى
اليوت	حفلة كوكتيل جريمة فى الكاتدرائية	صلاح عبد الصبور
اريستوفانيس	السحب	د. احمد عتمان
يوريبيديس	عابدات باكخوس آيون هيبولوتوس	د. عبد المعطى شعراوى
يوريبيديس	اندروماخى الطرواديات افيجينيا فى اوليس افيجينيا فى تاوريس	اسماعيل البنهاوى

المترجم :

د . عبد الرحمن بدوى .. من مواليد دمياط .. ج . م . ع

..أستاذ الفلسفة فى جامعة الكويت .. كما كان أستاذا لها فى كل من جامعات : القاهرة ، بيروت . عين شمس ، السوربون ، بنغـازى وطهران .. له مائة وعشرون كتابا .. خمسة منها باللغة الفرنسـية والباقى باللغة العربية .

الثمــن

الكويت	١٥٠ فلسًا	ليبيا	١٥ قرشًا	مسقط	١٢٠ بايا
السعودية	٢ ريال	المغرب	٢ درهم	اليمن الجنوبية	١٢٠ فلسًا
العراق	١٥٠ فلسًا	تونس	٢٠٠ مليم	اليمن الشمالية	٢ ريال
الأردن	١٥٠ فلسًا	الجزائر	٢ دينار	البحرين	١٥٠ فلسًا
سوريا	١,٥ ليرة	القاهرة	١٥٠ مليمًا	الخليج العربى	٢ ريال
لبنان	١,٥ ليرة	السودان	١٥٠ مليمًا		

في العدد القادم

* **ثلاث قبعات كويا : ١٩٥٢/١٩٣٢ تاليف ميجيل ميورا**

هذا وجه آخر للمسرح الاسباني المعاصر الذى يسر السلسلة ان يتعرف عليه القارىء العربي . فبعد ان قدمنا نماذج من المسرح الواقعى المأسوى الملتزم الذى يمثله الفونسو ساسترى (العدد ١١٤) وبويرو باييخو (العددان ١٢٢/١٢٣) على تفاوت فى المنهج بينهما . نقدم فى هذا العدد الجديد أهم ممثل للكوميديا الاسبانية المعاصرة وهو ميجيل ميورا الذى ولد فى مدريد عام ١٩٠٥ ولم يزل يتابع انتاجه المسرحي حتى الان وبعد بلوغه الخامسة والسبعين من عمره .

بسبب حادث ألم به الزمه الفراش بعد إجراء عملية فى ساقة اقعدته ثلاث سنوات سرى عن نفسه بكتابة هذه المسرحية التى فرغ منها فى نوفمبر ١٩٣٢ . قال له كل من قراها حينئذ انها جيدة لكنها لا تصلح للمسرح ، ثم قال له احد اصدقاء ابيه انها جريئة فى شكلها وسياقها ، وانها لو قدمت على المسرح فاما ان تنجح نجاحا منقطع النظير واما تسقط الى درجة ان الجمهور سيحرق مقاعد الصالة ، ونصحه بنشرها فى كتاب اولا حتى اذا عن للقارىء ان يختار الموقف الثاني لم يكن امامه سوى ان يحرق مقعده فى منزله . ولم يقدّر لها ان تعرض الا بعد عشرين عاما وظفرت بالجائز القومية للمسرح فى موسم ١٩٥٢/١٩٥٣ .

في هذا العدد

● اللصوص ١٧٨٢ **تاليف : فريدرش شلر**

مضى عام على اصدار السلسلة (العدد ١٣٢ : اول سبتمبر ١٩٨٠) لمسرحيــة **توركواتو تاســو** لقطب الأدب الألماني يوهان فلفجانج جيته ، ونقدم هذا الشهر مسرحية لقطب آخر عاصر الأول فى النصف الثاني من القرن الثامن عشر : فريدرش شلر . انعقدت بين الاثنين اواصر صداقة متينة ، وتعاونا معا فى بعض الانتـاج الأدبى المشترك ، وان اختلف مزاج كليهما : ففى شلر حرارة وحماسة للمثل العليا ، وفى جيته سجو اوليمبى فيه رصانة واحساس عميق بالواقع . وجيته ظفر بالجاه والسلطان فى حياته الدنيا ، اما شلر فلم ينعم بواحد منهما وان كان هذا لم يؤثر فى مكانته الادبية .

عندما تم طبع المسرحية فى مايو ١٧٨١ دون ذكر اسم المؤلف ظهر على غلافها عبارة من عبارات بقراط الطبيب (٤٦٠ ق.م.) هى :

ما لا تشفيه الأدوية ، يشفيه الكى ، وما لا يشفيه الكى ، تشفيه النار ،،

ويقول شلر فى الاعلان عنها لجمهور المشاهدين :

« مسرحية **اللصوص** لوحة تصور نفسا عظيمة ذات مواهب من كل نوع لكنها ضلت وبسبب حماستها غير المنضبطة وصحبة شريرة ، افسدتا قلبه ، واستدرجتاه من رذيلة الى رذيلة ، حتى صار اخيرا على رأس عصابة من القتله ومشعلي الحرائق .... لكنها نفس سامية جليلة وعظيمة فى المحنة ، هذبها الشقاء وأعادها الى النبل . »

المغزى النهائى للمسرحية فى خاتمتها : ان الضال سيعود فى النهاية الى سبيل القانون الأخلاقى .